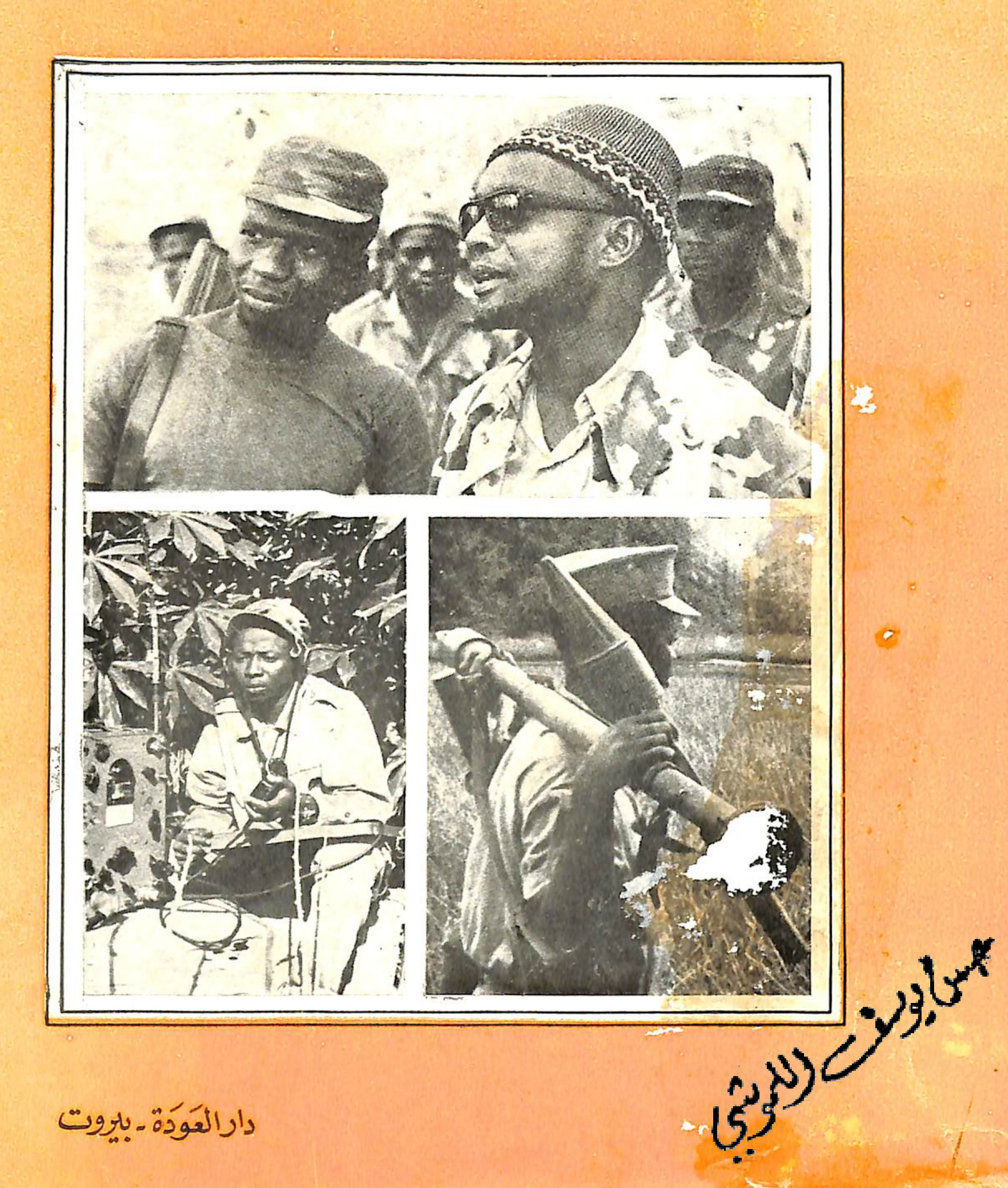
تاليف: بربارة ليساريدس

ترجمة وتقديم: عبد الوهاب الزنتاني

ثورة الأدغال



دار العودة - بيروت

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

ثورة الادغال

بارباره ليساريدس

ترجمة وتقديم

عبدالوهاب محمّد الزنتاني

Arabic Translation of

The bush rebels; a personal account of Black revolt in Africa

by Barbara Cornwall Lyssarides

ثورة الأدغال

دار العودة - بيروت

[illegible] ابو يوسف الكويتي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعـة الاولى

١٩٧٨/١/١

دار العودة ـ بيروت ـ عمارة الرفيرا سنتر ـ كورنيش المزرعة

تلفـون : ٣١٠٨٤٠ ـ ٣١٨١٦٥

المقدمة

من البديهي ان دراسة التاريخ تشتمل على فائدة فكرية بالاضافة الى القيمة النفعية التي يمكن ان يكتشفها اولئك الذين ينظرون الى الامور من وجهتي نظر السياسة والاخلاق .

ان التاريخ الذي يعيش الانسان احداثه ويراه رؤيا العين ويشارك في صنعه جدير بالدراسات الدقيقة المحكمة التي تتيح لنا استخلاص المبادىء المنظمة التي تضيء بدورها الكثير مما هو غامض ومشوش وملتبس .

ان تقديمي لترجمة هذا الكتاب الذي تقول مؤلفته انه مبني على الواقع والمشاهدة اليومية ، يجعلني اتجه مباشرة الى احداث التاريخ الذي عايشته في الفترة الاخيرة معايشة يومية .. هذه الاحداث التي تشكل منعطفا خطيرا في حياتنا .. مما يستدعي البحث عما هو حقيقي فيها .. ومما هو مفيد في مغزاه ودلالاته البعيدة المدى .

يمكن ببساطة وصف ما نحن فيه بأنه مر ومترد .. العالم العربي مقفر مجدب تتخلله الشروخ والمهاوي ، وتنبت وتتنامى فيه بشكل شيطاني الخصومات والاحقاد .. وما يمكن ان يستخلص من هذا الواقع هو اننا ـ ما لم نفير او نتفير ـ صائرون لا محالة ، وفي اقل من نصف قرن ، من النكبة الصغرى الى النكبة الكبرى فنتشتت من جديد وتذهب ريحنا !

في كتابي (وثائق الوحدة) قلت بأنني لا اؤرخ .. لانني اتحدث عن امور عشتها وشاركت فيها فلم يعد بامكاني ان اكون موضوعيا في تأريخي لها ...

ان الحياد الذي افتقرت انا اليه توفر للسيدة باربارا بسبب من كونها اميركية تكتب عن افريقيا وبيضاء تحدثت عن السود ومع ذلك حافظت في كتابها على صدق وامانة نادرين . ظهرا في امور كثيرة اهمها :

- انها لم تكن طرفا في هذه الاحداث التي تكتب عنها .
- انها انصفت الثورة السوداء على ارض افريقيا وهي ثورة غزاة بيض من خارج القارة .
- انها ابدت حيادها وكانت صادقة حين روت عن ابناء جنسها .
- انها حاولت ان تستكشف ملامح المستقبل السياسي في المنطقة على ضوء التطور التاريخي .

في هذا العصر عصر الارتجاجات والتحولات السياسية الكبرى ... عصر جمال عبد الناصر وشارل ديغول وهوشي منه وتيتو وغيفارا ونهرو.. حيث الثورات المتلاحقة وانهيار العروش ونبذ الخونة والعملاء .. في هذا المناخ المكفهر والمضيء في نفس الوقت عاش جيلنا مرحلة المخاض بين ايمان مطلق وكفر مطلق وبين اقدام وتردد لان قانون التناقض الذي يحكم العالم جعل الانسان يتيقن من ان ما يؤمن به الآن قد يكفر به غدا .. فالخشبة تهتز باستمرار والاوضاع المتشككة المتغيرة ابدا تجعل النضال الثوري في حالة يقظة دائمة ازاء تكالب الاستعمار وجشعه وسعيه الدائم لابتلاع العالم .

بلى ان اكثر حركات النضال الثوري قد ضربت بشراسة لكن كثيرا منها ايضا قد نجح واستمر .. وفي كلتا الحالتين فان دماء الشهداء المراقة ستظل تهدر في صحارى العالم وارواحهم ستظل تشتعل لتضيء طريق المناضلين من اجل الحق والحرية والسلام .

انني اؤمن ايماني بقدري اننا معشر الناصريين ، نحن الذين عشنا عصر جمال وعايشنا نضاله سوف لن نكفر ولن ننتهي مهما كانت الرياح عاتية ومهما بالغ الطغيان ضد الناصرية والناصريين لاننا ندرك جيدا ان كل عمل وكل تحرك ثوري في العالم الثالث وفي افريقيا بصورة خاصة ان هو الا نتاج طبيعي وامتداد حقيقي صادق لفكر وثورة جمال عبد الناصر .

وهكذا فان ثوار الادغال هم رجال يناضلون من اجل حرية جزء من

التراب الافريقي وهم يمثلــون دائما عنصر الرفض والثورة والقــدرة على مواجهة القوى المدعومــة بالدولار لانهم يؤمنون بافريقيــا ، وبحرية وحق الانسان في العيش الكريم على تراب بلاده .. ان انوفهم تشمخ الى السماء لانهم يؤمنون بقدرة الشعوب المستغلة على تحرير نفسها .

ثوار الادغال هم رجال الغد المشرق لافريقيــا . وهم الصخرة التي يتحطم عليها غرور جنوب افريقيا وغطرسة روديسيا وكل قوى الاستعمار العالمي .

و « ثورة الادغــال » هو كتــاب الفتــه السيدة « باربارا » مـــن خلال المعايشة والمشاهدة اليومية لما يقوم به الثــوار في هضاب ووديــان وجبال افريقيا . وهو ، كما تقول الكاتبة ، مبني على الحساب الشخصي وهي تقدمه الى قراء اللغة العربية مساهمة متواضعة منها ، ان لم يكن واجبا مقدسا ، ذلك انها تؤمن بأن اللعنة سوف تحل بأيــة امراة افريقية لا تلد ثائرا مثلما تحل اللعنة الآن بأولئــك الذين يتبولون على جــدار الهــرم ، ويحاولون اخفاء السد العــالي ، ويصرخون بأن الاشتراكية والتأميم نهب لاموال الشعب !!؟ (تجدر الاشارة هنا الى ان التحالف اليميني الرجعــي الامبريالي الذي قاد الانقــلاب الانفصالي لاول وحدة عربيــة في التــاريخ الحديثهو اول من استخدم هذا المصطلح وذلك في الوثيقة رقم (١) الصادرة في دمشق بتاريخ ١٩٦١/١٠/٢ . ولعل ممثلي الرجعيــة الجدد في مصر لا يختلفون كثيرا عنهم وان اختلف الزمان والمكان) .

لكن السلاح مرتد في النهاية الى نحور المعتدين الظالمين .. ففيالوقت الذي يترجم فيه كتاب « ثورة الادغال » في المستعمرات البرتغاليةوالافريقية يحدث التمرد العسكري في البرتغــال وتتزايــد التفجيرات في (لشبونة) العاصمة ..

ان شواهد تاريخية كثيرة تنهض لتؤكد انتصار الشعوب المستغلــة والمضطهدة ، لكن الجالسون على كراسي الحكم لا يعتبرون من الماضي ولا يتأملون فيما حولهم ولا ينظرون الى مواقع اقدامهم الى ان يحدث الزلزال فتنهار الكراسي ويغرق كل شيء في الدخان الداكن العنيف الذي يتقــدم لحظة النصر .

فتحيــة لثــوار افريقيــا عن كل قطــرة دم زكي سالت على التراب

الافريقي . وتحية تقدير السيدة التي رافقت ثوار الغابات من اجل نصرة الحق والعدل والحرية .

**

وهنا لست اعتقد انه يمكن فصل الاحداث والتطورات السياسية في افريقيا عنها في الشرق الاوسط وبلدان العالم الثالث بنفس الدرجة التي لا يمكن فيها فصل تأثير الثورة الجزائرية في المنطقة ولا تأثير النضال الشعبي في فيتنام عن كل ذلك .. ولا بد من الاشارة ايضا الى ان الاحداث والتحولات الجارية في منطقة البحر الابيض المتوسط والشرق الاوسط . وان النظر الى المستقبل السياسي يلزمنا بالعودة قليلا الى الوراء .. الى حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ هذه الحرب التي تمثل حجر الزاوية في كل الاحداث التي تلتها والتي تشكل نتائجها غطاء كثيفا لستر كل التسويات القادمة .

وفي تصوري هناك ثلاثة احداث متتابعة ومرتبطة ببعضها البعض وهي :

١ ـ حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ بين العرب واسرائيل .

٢ ـ مشكلة بحر ايجه بين اليونان وتركيا .

٣ ـ الحرب الاهلية اللبنانية بين التقدميين والانعزاليين .

فعندما قامت حرب اكتوبر ١٩٧٣ كانت هنالك عدة عوامل توضح وتؤكد اسبابها ونتائجها .. ويأتي على راس هذه الاسباب انه لا يمكن للعرب ، وخصوصا العسكريين منهم ، ان يقبلوا بأي صلح او تسوية ما لم يُعطَ لهم نصر مهما كان،ثم يضخَّم ويعظَّم هذا النصر الى ان يمسي كل شيء الى جانبه غير ذي قيمة مما يسمح للقادة السياسيين ان يقبلوا بأي اتفاق سياسي وعسكري دون اي خوف من شعوبهم .. وقد حدث هذا فعلا . والسبب الثاني هو ان هذا النصر سوف يؤثر بشكل مباشر على المعنويات الاسرائيلية ويشل اليد الطولى للجيش الاسرائيلي بحيث يمكن ايضا لمن بيدهم زمام الامور السياسية ان يقولوا ان العرب يمكنهم تحقيق نصر عسكري على اسرائيل . والسبب الثالث هو ان يكون للولايات المتحدة الاميركية القول الفصل في الحلول المستقبلية بحيث يمكن للحكام العرب ان يدّعوا بأنهم منعوا (بضم العين) من تحقيق النصر العسكري الكامل على اسرائيل بسبب الدعم الاميركي المباشر لها . ويمكن للاسرائيليين ان يقولوا نفس الشيء .. وهذا ايضا حدث .. فلقد ذكر الرئيس السادات في اول

خطاب له بعد ايقاف القتال مباشرة انه لا يستطيع ان يحارب اميركا وتحدث مطولا عن الجسر الجوي الاميركي والامدادات الاميركيــة .. واكــدت ذات الشيء غولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية ايــام حرب اكتوبر او حرب الغفران كما تزعم في كتابها (حياتي) الذي صدر بعد مرور سنتين تقريبــا على حرب اكتوبر .

لقد كان عبور قناة السويس اذن مقدمة للانتصار العسكري العــربي يقابله اقتحام ثغرة الدفرسوار مــن قبل الاسرائيليين مما حقــق التــوازن العسكري والسياسي المنشود والممهد للحل الذي سيتفق عليه . لقد كان عبور القناة مفاجئا والثغرة كانت كذلك . وكلتا المفاجأتين جزء من تأكيــد الحل السياسي وكلتاهما تأكيد للدور الاميركي الذي ظهر فيما بعد جليا .

بالنسبة للحدث الثاني فانني اذكر مقابلتي للجنرال جيزيكس وهو احد الجنرالات الثلاثة الذين كانوا يحكمون اليونان وقتئذ، وكانت الصحف الاميركية قد بدات تكتب عن احتمالات وجود كميات هائلــة من النفط في منطقة بحر ايجه ، وكان اول مقال كتب في هذا الموضوع ذلك الذي جاء في مجلة « النيوز ويك » الاميركية في اوائل سنة ١٩٧٢ .. لقــد قابلت هذا الجنرال في بيته وحضر المقابلة وكيل وزارة الخارجية القبرصية وشقيقــة الجنرال التي كانت تملك شركــة لصنع الادويــة ويهمهــا تطوير العلاقات الليبية اليونانية لتتمكن من دخول السوق الليبي .

قال الجنرال جيزيكس ان اليونــان لا ترغب في تطوير العلاقات مع ليبيــا لانها سوف تحصل على كل احتياجاتها من النفط خلال فترة قد لا تزيد على ثلاث سنوات وسيكون باستطاعتها ، فوق ذلك ، تصدير النفط الى الخارج . ولذا فلا حاجة لليونان للتعامل مع القذافي ! قلت : الا تعتقد ان هذا سوف يضع اليونان في مواجهة عسكرية مع تركيا ؟؟ قال : لا يهم . فنحن وضعنا قواتنا في حالة استعداد !! وخرجت دون ان اتفق على شيء معه لانه لا يرى الامور الدولية الا من فوهة البندقية .

بعد حوالي شهرين اعلنت تركيا انها صاحبة حق في جزر بحر ايجه . وقد اكد تقرير لجنة تقصي الوضــع السياسي في منطقــة شمالي البحــر الابيض المتوسط التي كلفها الكونغرس الاميركي باعداد دراسة عن الوضع ومدى تأثر المصالح الاميركية بذلك . « ان الحكم العسكري في اليونان يجب الا يستمر طويلا لانه وان كان اميركيا فان غباء وغطرسة هؤلاء الجنرالات سوف يجعل اليونانيين ضد اميركا ومصالحها في المنطقة وان الديمقراطية لا بد من عودتها للشعب الذي يعبد الديمقراطية ويتغنى بها » .

كان هذا التقرير قد أعد بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٧٤ وقدم للكونغرس بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٧٤ وهو وان كان لم يذكر شيئا عن كيفية تغيير نظام الحكم في اليونان الا ان المخابرات الاميركية ، كما ظهر بعدئذ ، قد وجدت النقطة الحساسة. تلك هي مشكلة قبرص ، القائمة بين الجاليتين القبرصية التركية والقبرصية اليونانية منذ عشر سنوات .

فاذا كان الحكم العسكري اليوناني قد حشد عساكره في منطقة بحر ايجه التي تبعد حوالي الف ميل عن قبرص فهو لن يستطيع القيام بواجبه تجاه اليونانيين القبارصة فيما لو حدث عمل عسكري في الجزيرة . هذا وقد كانت المخابرات القبرصية قد حصلت على وثائق تؤكد بالارقام والاسماء تواطؤ الضباط اليونانيين مع منظمة ايوكا الارهابية التي تعمل ضد الرئيس مكاريوس منذ استقلال قبرص **وابعاد زعيمها الجنرال قريفاس عن الجزيرة** . وهنا قرر مكاريوس ابعاد جميع الضباط اليونانيين عن قبرص وكتب الى الحكم العسكري في اليونان في بداية سنة ١٩٧٤ يطلب سحب جميع الضباط اليونانيين العاملين في قيادات الحرس الوطني القبرصي من قبرص فورا .. وكان الرد بالرفض اذ قيل للرئيس مكاريوس ان هؤلاء الضباط قد ارسلوا بقرار من اثينا ولا يمكن سحبهم الا بنفس القرار ولنفس الاعتبار .

وتوتر الوضع .. فقد اصر مكاريوس على قراره .. وهنا قام هؤلاء الضباط بانقلاب عسكري على مكاريوس (١٥ يوليو ١٩٧٤) (ولقد تأكد اخيرا ان هؤلاء الضباط قد حصلوا على اموال من وكالة المخابرات المركزية دفعوا منها للجنود الذين ساعدوهم في انقلابهم .. كذلك ظهرت وثائق اخرى تؤكد ذلك عند محاكمة السيد (سامبسون) الذي عينه الانقلابيون رئيسا للجمهورية بدلا من مكاريوس وبقي في هذا المنصب حوالي اسبوع واحد) .

واذا كانت المخابرات المركزية قد ساعدت هؤلاء الانقلابيين بأموالها وهيأت لهم فرصة الانقلاب .. فانه من شبه المؤكد ان الوكالة ذاتها قد سربت اخبار الانقلاب قبل حدوثه لتركيا وبالتالي شجعتها على القيام بالغزو العسكري الذي قامت به بعد الانقلاب مباشرة . ولا يعتقد ان تركيا كان بمكنها القيام بهذا الغزو لولا المعلومات الدقيقة التي توفرت لها عن وضع الجيش اليوناني . كذلك فانه من المشكوك فيه من وجهة النظر العسكرية ان يكون الجيش التركي قادرا على القيام بمثل هذا الغزو العسكري الكبير ما لم يكن قد استعد له في متسع من الوقت (جاء الغزو بعد حوالي اربعة

او خمسة ايام من الانقلاب) .. ثم أن كثافة الغزو تؤكد ان الاستعدادات العسكرية كانت منذ خمسة شهور على الاقل .

نجح الغزو العسكري التركي وفشل الانقلاب العسكري اليوناني القبرصي وخرج مكاريوس من الجزيرة بطائرة بريطانية .. وعندما لم يتمكن الحكم العسكري اليوناني من مواجهة تركيا سقط وجاء بعده السيد كارامانليس وهو سياسي وديمقراطي واقرب الى اوروبا الغربية من غيرها .. وتألق السيد اجاويد في قمة نصر عسكري تركي هو الاول من نوعه بالنسبة للجيش التركي في العصر الحديث .

وهكذا انتهى الحكم العسكري اليوناني وجاء حكم مدني ديمقراطي وبقيت القواعد والمصالح الاميركية في اليونان وقوي الحكم المدني في تركيا واعتبر الاتراك اجاويد زعيم الحزب الحكم (اتاتورك الثاني) .. ثم اخيرا عاد مكاريوس رئيسا لجمهورية قبرص .. وبقيت القواعد العسكرية الاميركية في كل من اليونان وتركيا وراحت تلعب اميركا دور الوسيط بين الجاليتين القبرصيتين حيث قام السيد فانس وزير الخارجية الاميركية بزيارة الشرق الاوسط في شهر فبراير ١٩٧٧ وزار السيد فالدهايم الامين العام للامم المتحدة قبرص بتاريخ ١٢ فبراير ١٩٧٧ ثم المبعوث الاميركي السيد كليفورد الجزيرة بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٧٧ ..

ولنا هنا ان نتساءل لماذا يستهوي اميركا ان تلعب دور الوسيط دائما حيث «لها في كل عرس قرص» فهي الوسيط الاول بين العرب والاسرائيليين وتابعت هذه الوساطة قبل الحرب الاهلية اللبنانية وثابرت عليها بين الجاليتين القبرصية التركية والقبرصية اليونانية بعد الحرب الاهلية اللبنانية ... فلماذا يحدث كل ذلك ؟؟

في الاجابة على هذا السؤال يتأكد الترابط بين القضايا الثلاث كما اشرنا آنفا .

ولعلنا نذكر ان لقاء خيمة الكيلو متر ١٠١ ثم فك الارتباط بين العسكريين المصريين والاسرائيليين وتبادل اسرى الحرب ثم اقتراح مؤتمر جنيف .. كل ذلك تم من خلال رحلات السيد هنري كيسنجر وزير الخارجية الاميركية وقتئذ .

ان ظهور فكرة مؤتمر جنيف ادى الى ظهور القوى العربية الرافضة متمثلة في بعض الانظمة العربية وبعض فصائل الثورة الفلسطينية وانعكس هذا الرفض على الشارع اللبناني وبرز جليا في الصحافة اللبنانية بسبب تمتع هذه الصحافة بحرية كاملة .. وقد كان الراي العام اللبناني مؤثرا

كذلك الراي العام العربي وما كان يمكن اسكات الصوت الوطني اللبناني بقرار من ملك او رئيس او امير مثلما حدث اخيرا في الكويت .. ولا كان ممكنا القيام بحركة انقلابات على النظم العربية الرافضة في وقت واحد .. وهكذا فلم يكن للحلول السلمية ان تمر بهدوء دون اخماد الصوت الوطني اللبناني والصوت الفلسطيني وصوت صحافة لبنان الحرة .. فقرر ان يكسر القلم ويلجم حماس الجماهير الوطنية وتنكس البندقية .. وهنا ايضا وجدت نقطة الضعف .. الصراع الطائفي والخلاف العقائدي والسياسي بين المسلمين والتقدميين من جانب وبين المسيحيين والانعزاليين من الجانب الآخر .. فتفجرت حرب اهلية مدمرة لم تشهد المنطقة مثيلا لها ولا عانى العرب ما عانوه منها .. وانطلقت البندقية العربية ضد المواطن العربي فقتل الابرياء وذبح الاطفال والنساء ودمرت البيوت الى ان ركع الجميع وبدا ان اي قرار ، مهما يكن ، يدعو الى وقف القتال والتدمير سيكون مقبولا .. وهنا صدر قانون الرقابة على الصحف في لبنان وسحبت الاسلحة من جميع الاطراف او بعض الاطراف وحظر (بضم الحاء) التظاهر وجاءت السلطات الاستثنائية لتحول الصحافة التي كانت حرة الى وريقات تحاكي بعضها كما لو انها منسوخة على الكربون .. واسكت الكل وتحول الفلسطينيون من جديد الى لاجئين لا يجوز لهم ولا يمكنهم المشاركة في اي قرار بل يجب عليهم ان يقبلوا بما يمكن ان يقرره الآخرون لهم .. وصار مؤتمر جنيف مرغوبا ومطلوبا وصار الحديث عن الاتفاقات والمساومات يدور في الهمس توجسا وخوفا من اجهزة الحكم .

من هنا يتضح جليا الترابط بين القضايا الثلاث التي تشكل موضوعا يمكن ان يفرد له كتاب بعينه يحمل التفاصيل والوثائق .

والآن ماذا بقي ؟ لقد اخمد صوت الانسان في لبنان !! وكسر القلم !! ونكست البندقية ! وبقيت الانظمة العربية الرافضة .. هذه التي سيأتي دورها قريبا .. وما افظع ان يأتي هذا الدور وتشتعل الحرب بين العرب !؟

عبد الوهاب الزنتاني

نيقوسيا في ٢٣ يوليو ١٩٧٦

محمد يوسف الكويتي

الاهداء

الى الرئيس مكاريوس رجل الدين والدولة

مكاريوس الصديق ..

صديق جمال عبد الناصر وصديق العرب ، نصير القضية العربية .

الى روح هذا الرجل الذي افخر بأن كانت لي معه حظوة وصداقة.

أهدي هذا الكتاب الذي كتبته صديقة امريكية

وساعد على اخراجه صديق قبرصي

وترجمه صديق عربي .



شيء عن سيرة حياة المؤلفة

باربارة ليساريدس ، زوجة زعيم الحزب الاشتراكي القبرصي، ولدت وتعلمت في ديترويت (متشيغن) في الولايات المتحدة ـ وكان والدها ، ليونيل كورنوويل ، ربان طائرة لاحدى الشركات قبل ان يتقاعد وكانت والدتها محاسبة وربة منزل .

وفي سن الثامنة كانت السيدة ليساريدس مغرمة بالخيول وكانت مسؤولة عن خطتها لتصبح أبان بلوغها سن الرشد اول فارسة في ركوب الخيل في امريكا . وقد غيرت هذا القرار بعد تردد وهي في سن الثانية عشر عندما اصبحت طويلة واثقل من معدل الفارس في ركوب الخيل ، وهذا مما اراح عائلتها .

واثناء تعليمها الثانوي في مدرسة دير وبعدها في مدرسة عليا عامة قررت السيدة ليساريدس ان تصبح طبيبة بيطرية ولكنها تخلت عن هذه الرغبة بعد ان عضها حصان سيرك كبير عندما ربتت على ظهره بطريقة ودية ورفسها حصان آخر والقاها في الفراش طيلة ايام الصيف .

وقد بدأت رغبتها في الكتابة والصحافة اثناء عمل اختياري قامت به في صحيفة مدرستها الثانوية وربحت جائزة وطنية لنشرها قصة اخبارية ـ وكان قرارها النهائي الذي بقي بدون تغيير هو ان تصبح صحفية وبشكل خاص مراسلة اجنبية .

وقد دخلت السيدة ليساريدس جامعة واين Wayne في ديترويت وتخرجت منها عام ١٩٥٦ بشهادة بكالوريا في التاريخ والصحافة ، وفي نفس الوقت حصلت على خبرة عن طريق عملها في صحيفة محلية • وعند تخرجها قررت السفر الى الخارج من اجل تمرين اوسع في اعمال الصحافة على امل ان تحصل على معلومات اولية عن اوروبا والشرق الاوسط •

وقد عاشت في بيروت لمدة سنتين وعملت في صحيفة محلية وعلّمت الصحافة في الجامعة الامريكية هناك •

وخلال وجودها في بيروت اصبحت مهتمة بمشاكل الشرق الاوسط وقضية فلسطين وقد جذبت فترة العصيان ما بين ١٩٥٥ و ١٩٥٩ في قبرص ضد الانجليز اهتمامها ووجدت عملا لها في صحيفة التايمس القبرصية حيث بقيت ثلاث سنوات تكتب تقارير اخبارية •

وخلال هذه الفترة التقت بزوج المستقبل الدكتور ليساريدس الذي اجرت معه مقابلة لجريدتها — وقد تزوجا عام ١٩٦٣ اي قبل اسبوع من بدء النزاعات الطائفية وضرب تركيا شواطيء قبرص بالقنابل — ومنذ تلك الفترة انحصر اهتمامها بشكل رئيسي في قبرص وايضا في حركات التحرير الافريقية واجتمعت مع معظم رؤسائها باستمرار خلال مؤتمرات حركة التضامن الافرواسيوي حيث كانت تسمع اراء اولئك الزعماء — ان كتابها « ثوار الادغال » كان نتيجة ذلك الاهتمام •

ان طموحها هو في المساعدة على تحرير قبرص واصدار كتاب كل سنة والحصول على مزرعة — وهي تعتقد ان النساء يجب تشجيعهن للحصول على تعليم عال والتدرب على المهن اذا اخترن ذلك •

استهلال

حرب العصابات الافريقية (*) تغيرها غالية وخطيرة ومقلقة،مجدها في تأمل الماضي الطيب . اما الرواية فهي للاجانب مثلي ممن يأتي ويذهب ولا يذكر الا كل ما في خيال او تصور الانسان لحرب العصابات. فهناك الرجال المسلحون الذين يسيرون على ارض جرداء ويطوفون على ضوء القمر في القرى . الرفاق المرهقون بعد كمين مضن . وكأن جميع الثورات قد ورثت المثل القائل (السر في الطلقة الاولى) (*) الطرق الطويلة الوعرة التي لا يمكن تجنبها اذ لا توجد وسيلة أخرى وتحت حرارة مذهلة . وهناك دائما ينتظر العدو شبح الثوار الزاحفين من ممرات القرى .

وتحتاج اية عملية فدائية ناجحة تخطيطا دقيقا وجلدا على تقبل حدوث مفاجأة قد تجعل اي شيء يسير في الخطأ . وفي هذه الحرب يعتمد النجاح على النظام الدقيق والمساندة والتحصينات الارضية . وحرب الفدائيين في افريقيا لا تصنع عددا من الفدائيين او فيما بعد القوات المسلحة فقط ، لكنها تكوّن جماعات من المفكرين والمخططين والخبراء السياسيين والاسعافات وفرق التغذية التي تحمل اطعمة الارز على ظهورها عبر الاوحال والصخور لمئات الاميال في غابات وعرة . وهذا يقع على عاتق السيدات اللواتي يقمن في قرى مكونة من اكواخ القش . وفوق

★ الحرب الشعبية حسب التسمية الحديثة ــ المترجم
★ اسمته المؤلفة الحادثة الاولى ــ المترجم

ذلك فلقد كانت كلمات احد الاصدقاء الرفاق . ان جماعات الفدائيين هؤلاء هم من المواطنين العاديين ونحن لا نولد جميعا ثوارا ولكن المعاناة هـي التي تجعل المواطن يلتصق بهذا العمل ثم من خلال ذلك يحس به .

ان الثورة هي الطريق الى الحياة ومع الزمن فهي الحياة ذاتها التـي يعيشها الثائر . والثائر يعيش الثورة لان غـيرها لا يلائمه ، وهـو دائم الاستعداد ولا يملك شيئا غير ما يحمل على ظهره، وليس له مـن تعويض سوى رفيقه الوحيد في ميدان العمل الفدائي وجماعته الفدائية التي تنطلق من مكان واحد ولغاية مشتركة .

وكل ما في حياة الفدائي يتم بحـذر وخصوصا عندما يكون هـذا الفدائي في غير مكانه الطبيعي وهو الغابة بينما في مكان آخر وحتى فـي وسط شعبه كل شيء محسوس ومحسوب . ولا يختلف هؤلاء الفدائيون عن المواطنين العاديين عندما يكونون في المدن لكن الحال يختلف تمامـا عندما يعود الفدائي الى ميدان عمله ، الى غابة القتال . ولقد شاركت في حياة الغاب هذه، لمدة ثلاثة اشهر اعيش مع الفدائيين السود في موزمبيق شرق افريقيا وغينيا البرتغالية بغرب افريقيا . كلاهما مستعمرة برتغاليـة وهي كانغولا شر واضطهاد بينمـا لا يعرف الا القليـل عن الحرب التي تدور يوميا بين المقاتلين السود وقوات مشتركة برتغالية قوامها ١٦٠ الف جندي هؤلاء الذين يحرسون افريقيا التي اعتبرت ضمن بلادهم بشكل او آخر منذ حوالي خمسمائة سنة ابان عصور تجارة الرقيق الى بداية الزحف الاوروبي على افريقيا .

وهذه الحرب ليست حربا عادية ولا تعرف حدودا ولا نظاما ، عدد من المقاتلين السود ضد جيوش لا عد لها باسلحة متقدمـة عبر الاحراش والجبال والوديان والارض الجرداء لان البرتغال تحارب الافارقـة فـي

بلادهم رغبة في استنزاف خيرات هذه البلاد ، ويلاحظ ان المقاتلين السود بدأوا يسيطرون على مواقع كثيرة تلك التي يسكنهـا اصلا المـواطنون السود وهذه تعرف الآن بالمناطق المحررة بينما بدأت الادارة البرتغاليـة تنكمش في المناطق التجارية تاركة بعض المواقع التي نست فيها ادارة اهل البلاد ولقد كان هؤلاء الافارقة قد اجلتهم الطائرات الحربية التي تقصف كل المناطق •

وتذكر حكومة لشبونة الآن ان رجالها يقاتلون في هذه المناطق التي تتصل ببلدهم الام وان هدفهم هو الصينيون والشيوعيـون والمتمردون السود بينما حقيقة الامر هي ان المقاتلين هم وطنيون ينتمون الى وطنهـم وشعبهم •

لدى البرتغاليين كل الاسلحـة المتقدمة ، طائرات نفاثـة وطائرات هيلوكبتر وقاذفات مساندة بينما الافارقة المقاتلون قليلو السلاح وهم في الغالب حفاة يهاجمون بقوة وينسحبون بسرعة يضاف الى هذا مسانـدة الشعب كله لهم في المناطق المحررة ، كذلك معرفتهم الدقيقة لبلادهم التي عرفوها طولا وعرضا منذ الولادة وفي النهاية ليس هناك ما يرهقهم •

وبعد خمسمائة سنة من الوجود الاستعماري •• البرتغالي، ما يزال المواطنون السود يمثلون ٩٧ ٪ من المواطنين يعانون المرض ومتـوسط العمر الذي يعيشه الانسان الاسود هو ٣٥ سنة بينما يموت الطفل الاسود في الغاب قبل عمر السنوات الخمس بسبب المرض • واثناء وجود الادارة البرتغالية لم تكن هناك الا مدارس تبشيرية قليلة وعدد ضئيل من الاطباء والممرضات ، لا مياه عذبة وكهرباء ولا هواتف ولا طرق معبدة ، لا متاجر فيما عدا حانات تجارية صغيرة يديرها في الغالب الاجانب ومع هـذا فان المدارس التبشيرية ما تزال في الجانب الذي يسيطر عليه البرتغال بينمـا لا توجد في المناطق المحررة •

والجنود البرتغاليون الذين صدرت اليهم التعليمات بالحرب في بعض المناطق هم جميعا محاصرون ولا يمكن تمويلهم الا بواسطة طائرات الهيلوكبتر او القوارب المسلحة بينما تتكاثف عليهم هجمات المقاتلين،واي محاولة منهم تعني الموت وفي المقابل تقوم قوات البرتغال بالهجوم على المناطق المدنية المحررة بالطائرات المقاتلة ، لتحرق الحقول المثمرة وتدق المواطنين العزل وهم في الحقول بهدف اجلاء هؤلاء المواطنين الذين سيساندون الثوار . واذا ما نظرنا على ضوء هذا الى نتائج الموقف فان الجيش البرتغالي في وضع محرج ويشاع بين الجنود البرتغاليين ان القبض على اي جندي بواسطة الثوار يعني الموت مطبوخا في اناء ، وهذا يعني بلا شك ان هؤلاء الذين يقاتلون بلا هدف لا يوجد ما يدفعهم الى هذا القتال .

والآن ، من هم هؤلاء الثوار ؟ كيف يفكرون ، وفيما يعتقدون ؟ كيف يعيشون ، ماذا يأكلون وماذا يقولون ؟ هل يستطيعون القتال ، واذا كان كذلك فبأي أسس ولماذا ؟ ماذا عن المدنيين تحت ادارتهم في المناطق المحررة ؟

لقد قضيت مع الثوار في موزمبيق وغينيا البرتغالية رحلات عبر القرى ، حضرت الاجتماعات السياسية ومعسكرات الثوار في اغوار البلاد، رافقتهم في عمليات ضد البرتغاليين ونمت في اكواخ القش بعد مسيرةطويلة عند حلول الظلام . ان هؤلاء الثوار هم من اكثر الثوار قدرة وصبرا . يبدأون مسيرة القتال منذ الفجر حتى اختفاء الشمس واحمالهم فوق ظهورهم في اوزان لا تقل عن خمسة وعشرون كيلوغراما وغالبا بلا ماء ولا أكل .

كيف يكون فعلهم مع صحفية بيضاء فجأة وجدوها بينهم ، امرأة كل ما يمكن ان تفعله هو زيارة مكتب البريد او احد المتاجر القريبة !

هـذه ملاحظاتي ورؤياي .. في وقـت عشته بين هؤلاء المقاتلـين السود . بعضه سجل في دار السلام وكوناكري ، لكن كثيره ، كتب فـي الميدان تحت اكواخ القش . ولقد بدأت القصة في دار السلام تانزانيا وهي مقر حركات التحرر الافريقية ومفتاح النضال في سبيل الاستقلال يقابلهـا في الجنوب نهر روتوما وحدود موزمبيق .

محمد يوسف الدويشي



مدخل

كان لا بد لي وانا اترجم كتاب السيدة باربارا كورنويل ، هذا الكتاب الذي صدر في الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٧٢ بينما تعد ترجمته هذه السنة ١٩٧٧ الى اللغة العربية ، كان لا بد وقد مضى على صدور هذا الكتاب عدة سنوات وتطورت الامور خلال هذه الفترة في افريقيا وتغير كل شيء على هذه الارض التي انكر عليها حقها طويلا ، لا بد لي ان أفي القارىء ، حقه ، وهكذا فلا بد من الالمام بما حدث في كل من انغولا وموزامبيق وغينيا بيساو ، او ما سمي بالمستعمرات البرتغالية الافريقية ، وبذا فأن حق المؤلفة قد تساوى مع حق القارىء ، فاذا كانت ترجمة كتابها قد جاءت متأخرة فمن الواجب ان يلحق بالكتاب ما حدث بعد صدوره •

هبط البرتغاليون على شواطيء انغولا خلال النصف الاول من القرن الخامس عشر ولقد شهد هذا القرن تقاسم افريقيا بين البلدان الاوروبية ، وكان البرتغاليون مثلهم مثل بقية الاوروبيين قد استغلوا الخلافات القبلية والتخلف الثقافي والحضاري في افريقيا وشجعوا هجرة البرتغاليين واستيطانهم في افريقيا وقهر الافريقيين بمختلف الطرق ، ولقد استمر البرتغاليون ــ رغم ما حدث من تغير على حياة الشعوب في المنطقة بصورة خاصة وفي العالم بصورة عامة ــ استمروا في انكار حقوق الافريقيين في البلاد التي استعمروها وحرمانهم من ابسط حقوق الانسان ، ولقد حاولت اخيرا المجموعة الافريقية والاسيوية ان تطلب تطبيق المادة (٧٣) من ميثاق الامم المتحدة ، هذه المادة التي تنص على ضرورة ان تقوم الدولةالمستعمرة

بتقديم المعلومات الى الامين العام للامم المتحدة عن الشعوب التي نستعمرها تلك التي لا تتمتع بالحكم الذاتي وكان هذا سنة ١٩٥٥ ولكن حكومة البرتغال رفضت تقديم اية معلومات ، وكانت القوى الوطنية في كل من البلدان الثلاث قد بدأت تقلق المستعمرين منذ الاربعينيات وان كانت هذه القوى لم تنظم وتأخذ الشكل السياسي والايدولوجي والعسكري الا في بداية سنة ١٩٤٩ ، وبعدها ، ففي انغولا ظهرت منظمة التحرير الشعبية لتحرير انغولا وفي موزامبيق منظمة فريليمو وفي غينيا بيساو الحركة الوطنية ، وبينما استمرت هذه المنظمات في النضال من اجل تحرير البلاد من هؤلاء المستعمرين كانت مجموعة الدول الافريقية والآسيوية تحاول جاهدة في الامم المتحدة وخارجها فرض مدلول المادة (٧٣) من الميثاق وفي ديسمبر سنة ١٩٥٩ قررت الجمعية العامة للامم المتحدة تشكيل لجنة من ثمانية اعضاء لتقديم المعلومات عن هذه البلدان وفي ديسمبر سنة ١٩٦٠ قررت الجمعية العامة للامم المتحدة ان على البرتغال ان تقدم المعلومات الدقيقة عن مستعمراتها ثم تبلور هذا القرار فتحول الى اقرار استقلال الشعوب المستعمرة وهكذا تشكلت لجنةالاربعة والعشرين في نوفمبر سنة ١٩٦١ ، وفي سنة ١٩٦٣ طلبت منظمة الوحدة الافريقية من جميع اعضائها مقاطعة البرتغال سياسيا واقتصاديا ثم شكلت لجنة منها للمساعدة على التخلص من الاستعمار الاوروبي في افريقيا، وفي اكتوبر سنة ١٩٦٤ حصلت زامبيا على استقلالها من بريطانيا وهي التي كانت تدخل ضمن اتحاد روديسيا قبل استقلالها ، ثم حصلت نياسيلاند على استقلالها سنة ١٩٦٤ ايضا وسميت مالاوي واستقلت زانجيبار وتانجانيكا ، وسميتا تانزانيا ، والحقيقة انه برغم قرار منظمة الوحدة الافريقية فان كلا من الرؤساء موبوتو وكاموزو [١] تملصا من الالتزام بالقرار بينما اعتبره الرئيس نيريري والرئيس كواندا واجبا وطنيا .

(١) كاموزو باندا رئيس جمهورية مالاوي .

ولقد تصاعدت العمليات العسكرية التي يقوم بها ثوار موزامبيق وانغولا وغينيا بيساو وزاد تبعا لهذا التورط العسكري البرتغالي فلقد وصل عدد القوات البرتغالية المقاتلة سنة ١٩٧٣ مائة وخمسون الف مقاتل مزودون بجميع انواع الاسلحة المتقدمة الا انه بينما كانت هذه القوات متفوقة في معداتها العسكرية فان الصواريخ التي بدأ يستعملها الثوار مع بداية سنة ١٩٧٣ قد اثرت كثيرا في مسرح العمليات العسكرية وان كانت زائير قد واصلت غلق حدودها مع انغولا فان ثوار موزامبيق قد مدوا حدودهم مع مالاوي وعبر زامبيبوي وفي سنة ١٩٧٢ اجرى الوطنيون في غينيا بيساو انتخابات في المناطق التي قاموا بتحريرها وأقاموا المجلس الوطني الغيني الذي سرعان ما اعترفت به دول كثيرة •

ومع ما يمارسه النظامان العنصريان في افريقيا « نظاما سميث وفورستر » وبرغم ان النظامين لا يملكان القدرة والامكانيات على الاستمرار في تحدي الارادة الوطنية الافريقية ومقاتلة كل الافارقة فأن جنوب افريقيا وهي التي تفوق روديسيا في كثير من الامكانيات وخصوصا العلمية منها كانت ولا تزال الى وقت قريب تحظى بالعطف الاميركي وبالتعاون الالماني الغربي والبريطاني والفرنسي • وكانت جنوب افريقيا تعتقد انها تستطيع ان تطمئن على امكانية استمرار البيض في تسيير دفة الحكم فيما اذا أقدمت على بعض المسكنات التي يمكن ان تقدمها للاغلبية الافريقية السوداء في جنوب افريقيا خصوصا وان النجاح الذي حققه الوطنيون في كل من غينيا بيساو وانغولا وموزامبيق يمثل ضغطا هائلا في الاتجاه المعاكس لمصلحة الفئة البيضاء الحاكمة ، فحاولت ان تعطي بعض الحقوق للسود مثل حق الالتحاق بجهاز الشرطة وكان امامها ثلاثةخيارات تعتقد انها قد تمكنها من الاستمرار في السيطرة ، خاصة ان البرتغال قد

قررت تصعيد عملياتها العسكرية في اول هذه الخيارات ان تستمر جنـوب افريقيا في تقديم العون العسكري والبشري والمادي لروديسيا والبرتغـال والقيام باعمال عسكرية رادعة ضد زامبيا وتانزانيا والثاني ان تقحم قوى خارجية اخرى في قارة افريقيا بحيث يظهر الصراع على النطـاق الاقليمي وتتمكن بالتالي من ان تصور النضال الوطني على غير حقيقته والثـالث الاعتراف بالامر الواقع واعطاء الاغلبية السوداء في جنوب افريقيا حقوقها الوطنية وكذلك التخلي عن مناصرة نظام روديسيا •

ويظهر ان حسابات النظام العنصري في جنوب افريقيا كانت قائمـة على ابدية الوجود العسكري البرتغالـي واستمرار التجاهل الاوروبـي لحقوق شعوب افريقيا ، ومن هنا كانت الحسابات خاطئة وكانت الاختيارات اكثر خطأ فعندما اجرى فورستر الانتخابات في ابريل سنة ١٩٧٤ وهـي التي جاءت قبل وقتها توقع ان تكون السنوات القادمة عصيبـة بالنسبة لجنوب افريقيا وانه بتقديم موعد الانتخابات يريد حكومـة قوية يسكنها تسيير الامور في البلاد وانجاز الاستقرار السياسي وبالتالي الاقتصادي والاجتماعي ويظهر من الاتجاه الذي قرره فورستر انه كان يريد الاختيار الاول والقاضي باستمرار المناصرة والمساعدة لروديسيا والبرتغال والاعتماد على الاقلية البيضاء في الحكم •

ولم يكن يتوقع بالتأكيد ان انقلابـا عسكريا قد يقع في البرتغـال وبالتالي سوف تنسحب البرتغال مرغمة من افريقيا وتتغير مجريات الامور في افريقيـا وبالتحديد في جنـوب شرق افريقيا وهكذا فاجـأ الانقلاب العسكري البرتغالي حكام جنوب افريقيا وجعل فورستر يواجه السنـين العصيبة التي توقعهـا ، وفقدت جنوب افريقـيا الضمانات العسكريـة البرتغالية للطيران في انغولا وجزر الـرأس الاخضر وكذلك فقدت اهـم الموانيء في موزامبيق وفقدت ايضا اليد العاملة في منـاجم الذهب والقوة

الكهربائية الهائلة من سد كابوراباسا في موزامبيق واكثر من هذا كله الدعم المعنوي ويمكن حتى المادي والسياسي الذي سيظهر لدى الاكثرية السكانية السوداء في جنوب افريقيا بسبب استقلال بلدين افريقيين مجاورين ، ففي موزامبيق حوالي مائتي الف مواطن ابيض مقابل ثمانية ملايين من المواطنين السود وحتى هذه الاقلية البيضاء في موزامبيق كانت تتعاطف مع حركة التحرير في موزامبيق قبل الاستقلال « فريليمو » وفي انغولا عدد لا يزيد على ثلاثمائة الف مواطن ابيض مقابل عدد خمسةملايين ونصف من المواطنين السود هذا البلد الذي لديه ثروة نفطية وزراعية وتعدينية كبيرة وعلى ضوء المتغيرات التي كان من الضروري ان تحدث بعد انقلاب سنة ١٩٧٤ في البرتغال اضطر فورستر ان يلجأ الى الاختيار الثالث وهو اعطاء بعض الامتيازات للاغلبية السوداء من المواطنين وان يتخلى عن مساندة ومناصرة النظام العنصري الثاني في روديسيا .

لقد انسحبت قوات البلد التي رفضت تقديم اية معلومات عن مستعمراتها في افريقيا انسحبت هذه القوات لتعود الى بلادها بعد استعمار واستعباد للافارقة دام قرابة خمسة قرون ولم تنسحب لانها استجابت لحقيقة العصر والتطور التاريخي ولكنها انسحبت لتواجه المشاكل والخلافات والصعاب التي ظهرت في برشلونه ، والقوات المستعمرة انسحبت لانها لا تريد ان تواجه نتائج استغلالها ـ واستعبادها للناس مع مرارة الهزيمة وانتصرت الثورات الافريقية وهي ايضا لا بد ان تواجه صعاب المرحلة الثانية صعاب الاستقلال والبناء الجديد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وما يمكن ان يظهر من خلاف او خلافات ايديولوجية بين قياداتها التي ناضلت طويلا ولم يكن ممكنا لها في مرحلة التحرر الوطني ابراز الخلاف العقائدي ولا نعرف ما اذا كان هؤلاء القادة سوف يستفيدون من تجارب الآخرين في الحكم او في ما بعد الاستقلال مثلما استفادوا من تجارب

الآخرين في الحرب الشعبية واذا كان النصف الاول من القرن العشرين قد شهد مرحلة التحرر والنضال وسيطرة الشعوب على امرها ومواردهـا في العالم الذي كان مستغلا « بفتح الغين » فان نصف القرن العشرين الاخـير قد يشهد عصر التقاتل الوطني والاقليمي وتحلل القوميات •

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الفصل الاول

موزامبيـق

تقع مكاتب حركـة التحرير في شارع نيكروما في دار السلام وهو شارع ضيق مكتظ تكاد تنعدم فيه التهوية . الا ان هذه المكاتب مخصصة من قبل حكومة تانزانيا بلا ايجار استضافة لحركة التحرير الافريقية، ودار السلام من المدن التي تتطلب الحياة فيها تكاليف كثيرة لكن الحياة لـدى هؤلاء الثوار لا تتمثل في كماليات .

شارع نيكروما . حيث تقع هذه المكاتب ، فيه عمارات تسكنهاعائلات هندية وافريقية فقيرة وتتكاثر فيه سيارات النقل الثقيلة الكثيرة الازعاج ، وبه المطعم الصيني الوحيـد الذي يقدم المأكولات في صحون ملونة مع البيرة الوطنية (توسكير) تحت مراوح كهربائية معلقة في السقف .

العناوين الرئيسيـة في الصحف تبرز آخر خطـاب للرئيس نيريري مؤكدا ان حريتنا من اجل خدمة جميع الافارقة ، وفي الصفحات الداخلية تعدد الفنادق الممتازة الواقعة في مواجهة البحر ، وتدعو المستثمرين الى المشاريع الانمائية الطموحة مؤكدة للقراء ان الشركة التانزانية لمكـافحة الآفات سوف تتولى أية مشكلة تتعلق بالفئران وسوس الخشب .

الحائك الهندي الذي يجلس القرفصاء حافي القدمين في مكان كالعلبة المربعة ، وفي آخر الشارع تاجر الجملة والقطاعي الذي يكاد يدير الكثير من تجارة المدينة .

مرحلة التحول هذه بالنسبة لتانزانيا سريعة وهي مصحوبة بالانجازات والاخطاء والمشاكل الاجتماعية والاقتصاديـة الموروثـة التي لا يمكـن تصديقها والتي من خلالها تتج ان الاقلية الهندية هي التي تقـوم باعمـال المقاولات والخدمات وشق الطرق ، وكالجالية الاوروبية المتضائلة التـي بدأت تشعر بقلق على مستقبلها لان تأثيرها قل بسبب تخوفها من الافريقي الذي يشعر بانه بمجرد ان تتاح له الفرصة سوف يخدم بلده بما لا يقـل عما تقوم به •

هذا التخوف ناتج عن غموض في عدم قناعتها بأن الافريقي لا يعرف في الحياة وعديم القدرة على العمل بسبب تلك القرون من الاهمـال التي يجب ان يعوضها تدريجيا في عصر التكنولوجيا • وفي الحاضر فان فشل افريقيا يتمثل في سلسلة من الجدال في صحافة تشرف عليها الحكومة حول تقليعات الملابس الاوروبية وبعد مساجلات لاسابيع يبرز من يقـول ان اعتماد اللباس الاوروبي غريب عن ميراث افريقيـا بينما من يدافعون عن اللباس يقولون ان رجال القبائل كانوا نصف عراة لقرون ، وهناماذا تعني الملابس لماضي الانسان ؟ وفي النهاية هل الافريقيون يبحثون عن هوية بعد قرون من الاستعمار الثقافي والاهمال •

وكل جالية تسكن خلف خط غير مرئي يفصلها عن غيرها • ويظهر ان الافارقة والهنود الفقراء يسكنون منطقة الشقق الحارة والشوارع المظلمة والاحياء ذات الازدحام التي تحيط بالمدينة ، ويسكن اغنياء التجار الهنود المدينة حيث تجد اسرهم الخدم والبيوت الخاصة •

وتسكن الجالية الاوربية التي تعمل في المقاولات او الحكومـة او الاعمال الحرة منطقة العمارات الجميلة • وفي كل انحـاء المدينة يـلاحظ الزائر الفروق بـين الافارقة والهنود الفقراء مـن جهة ، واغنيـاء الهنود والاوروبيين من جهة اخرى •

وعلى بعد مئات الاميال هناك الخبراء الصينيون الـذين يتكلمـون السواحيلي انهوا مسح المنطقة وبدأوا في مد خط سكة حديد يصل بـين زامبيا وشمال روديسيا سابقا بسواني‌ء تانزانيا . وهناك زانجبيار التي كانت اكبر حقل للرقيق على الساحل الافريقي الشرقي والتي ما تزال تنتج القرنفل والنحاس المزين للصدور وتبعد زانجبيـار خمسة وعشرون ميلا من دار السلام وكانت قد الحقت سياسيا بتانزانيا الارض والام بعد الانقلاب على سلطانها .وفي الوقت الحاضر فان تانزانيا هي من بين الدول الافريقية التي تساند علنـا حركات التحرر الافريقية ضد جنوب افريقيـا وروديسيـا الجنوبية والمستعمرات البرتغالية وهذا التأييد يأخذ شكلا وحجما مختلفين وعلى ضوء الاحداث الداخلية والضغوط الخارجية وهي في النهاية تهيء لمجموعات المقاتلين مكاتب يعملـون منها في القـارة وتوافق على تصدير السلاح والاغذية والملابس اللازمة للمناضلين في الحدود ، بالاضافة الـى ساحات لمعسكرات تدريب الثوار .

ودار السلام ايضا تحتضن منظمة التحرير الافريقية الساعد العسكري لمنظمة الوحدة الافريقية باعضائها الثمانية والثلاثين من الدول الافريقيـة التي تعهدت بالمساعدات المالية والسياسية لحركـة النضال الافريقيـة . « بعضها لم يدفع ما التزم به » .

الفصل الثاني

في شارع نيكروما المظلم تقع القيادة العامة لجبهة تحرير موزامبيق (فريليمو) الحزب الثوري السياسي العسكري الذي تعهد بتحرير الارض الام من البرتغال والذي يسيطر على خمس البــلاد الآن وهو وان كــان موجودا في تانزانيا فهو لا يتدخل بامورها السياسية ويركز باهتمام على مختلف الفروع في قيادته التي تهتم بأبعــاد الثورة في الامور الداخليــة والامن والدفاع والعلاقات الخارجية واعادة اسكان المواطنين وهو يمثل حكومة على رأسها لجنة مركزية ، شعاراته سوف نربح سوف نحتل سوف تنتصر افريقيا سوف نكسب سوف نهاجم •

ادوارد موندلين زعيم فريليمو قتــل في سكن احد اصدقائــه على المحيط الهندي حيث اعتــاد ان يذهب الى سكن هذا الصديق عندما كان يذهب من وقت لآخر ليكتب بعيدا عن الضوضاء بينما القاتــل لم يعرف بعد • وقد ترك ادوارد بعده زوجة امريكية بيضاء وثلاثة اطفال ، وفــي المبنى المقابل لمكتب زعيم فريليمو مكتب الثائر اريا سيمانقو الــذي ترك منصبــه كوزير ليلتحق بالثورة وهو يقول ربما كنت كوزير استطيع انقاذ ارواح مئات من الناس ولكن كثائر يمكن ان انقذ ملايين الا ان سيمانقو هذا كان قد فصل من حركة الثورة لادعائه بان هناك محاولة لاغتياله اقحم فيها عددا من رفاقه وعلى مقربة من مكتب سيمانقو يقــع مكتب جورج ربيللو رجل العلاقات الخارجيــة في الحزب وهو رجل دائما يظهر وجهه الرقيق الشاعري على مطبوعات فريليمو اذ انه الذي يضع برامــج اذاعة الثوار التي توجه الى موزامبيق •

وقبالة مكتب جورج ريبللــو مكتب سكرتير فريليمــو للشؤون الخارجية مارسيلينو دور سانتوز وهو ايضا شاعر ومن ابوين احدهمــا ابيض وكان مارسيلينو ثائرا من ايام الجامعة في لشبونا وباريس • وعندما زرته سألني متى تكونين جاهزة لعبور الحدود ، وهل تستطيعين السيرعلى الاقدام واشار الى ان الاكل لا يتوفر في بعض الاحيان • هــل تتكلمــين الفرنسية او البرتغالية او السواحيلية أو الماكــوندية ؟؟ سوف تواجهــين صعوبة بشأن اللغة ، واضاف ان السير على الاقــدام متعب وصعب وان الطقس حار وسوف تنامين تحت الشجر وان الاكل ليس كالاكل عندكــم وقد لا يناسبك •

ولقد تعلمت ان أمشي عدة اميال كل صباح من أجل أن أتهيأ لعبور الحدود وهذه المسافة محددة ولا بد من قطعها ذهابا وعودة كل صباح لمدة معينة وذلك لاتمكن من مرافقتهم • وفي هذه الفترة بدأت اتعرف عــلى وجوه العاملين في مكاتب القيادة بين اسود وقمحي ونصف ابيض وكنــت ازور مكاتب حزب التحرير الافريقي وحركة زامبابوي التي تعمل لتحرير روديسيا الجنوبية •

وكانت رؤية الافريقيات اللواتي يضعن اطفالهن على ظهورهن دومــا شيئا مألوفا في تلك المكاتب ، وقبل رحلة عبور الحــدود ما تزال امامنــا بضعة ايام وهكذا اقترح سكرتير الشؤون الخارجية في حركة فريليمــو أن اقوم بزيارة بعض المدارس في الغابات المحيطة •

لقد بدأت حركة فريليمو منهج التعليم بشكل ثوري فلا يجــوز ان يهتم رجالها فقط بالقتال بل بالتعليم والصحة الخ •

وهكذا تقوم فريليمو باحضار الاطفال بعد فترة تعليم لمــدة ثــلاث سنوات في مدارس داخل الغابات الى مدارس تعليم متقــدم ، المــدارس

الابتدائية في مناطق الاحراش وتحت حراسة المقاتلين ــ وينقل الطفل الى هذه المدارس عبر ممرات مستوية تحت اشراف ورعاية رجال فريليمو وقد يحتاجون الى مدة اسبوع للوصول الى تلك المدارس في احراش موزامبيق. وهنا في بافاميو عادة يفصل الطفل عن أبويه لعدة سنوات والاطفال يجدون التشجيع لأن التعليم هو املهم الوحيد وهؤلاء هم امل وطنهم عند انتهاء الثورة .

المكان هو ساحة تدريب عسكري تستعمل للدراسة والسكن . والمساكن تتكون عادة من اكواخ خشب يقوم الاطفال ببنائها بانفسهم ، ولقد شاهدت ثلاث فتيات عمر كل منهن حوالي عشر سنوات يقمن بطهي الاكل لبقية الطلبة وهذا الاكل يتكون من بعض الخضروات والقصب مع بعض الخبز ، بينما اللحم مرتين في الاسبوع فقط .

ولكن هناك مشاكل كثيرة مثل امراض التيفوئيد والملاريا والامراض الجلدية ويوجد في المكان اسعافات اولية ولكن لا توجد ادوية كافية ولا ملابس ولا اكل مناسب . ومع ذلك قال لي احد المدرسين هؤلاء هنا احسن من وضعهم مع ذويهم في القرى والغابات .

هؤلاء يتعلمون ويحصلون على بعض الملابس ولقد قصدت احد فصول السنة الرابعة لتدريس الجغرافيا والتاريخ التي كانت تدرس باللغة البرتغالية . كانت هناك خارطة لافريقيا الجنوبية وكان المدرس يتابع خطوط الحدود بمؤشر خشبي وعندما دخلت برفقة مارسيلينو وقف الطلبة وتحدث اكبرهم تحية لنا .

علمت ان كثيرين داخل موزامبيق يتطلعون الى الالتحاق بهذه المدرسة ولكنهم كثيرون والامكنة قليلة جدا ، عجز في المدرسين وفي الكتب والاقلام والورق والملابس والاكل والسكن . واذا كان هناك من يتمنع عن التعليم

فان هناك مئات سوف يأخذون مكانه ، ولقد كانت بافاميو خطوة ممتازة نحو التعليم المتقدم في بلاد مساحتها تعادل مساحة فرنسا مرة ونصف فيها عدد لا يزيد على اصابع اليدين من الخريجين الافريقيين •

ولقد تعود الطلبة ان يقوموا بصنع اسرتهم بانفسهم بينما توضع على السرير بطانية تستخدم كما لو كانت فراش وهي فيالغالب جاءت بمساعدة او تبرع من الخارج ، وتوضع قطع رقائق الحديد على اسطح هذه الاكواخ لتمنع مياه الامطار من التسرب لداخلها •

ولقد رأيت ان شباك الحماية من البعوض يوضع على بعض الاسرة بينما يعلق الاطفال صور زعماء نضالهم التي ينتزعونها من الصحف على الحيطان الخشبية ورأيت صور موندلين وصور زعيم فريليمو وصور تشي غيفارا وماو وكاسترو •• الخ •

اغلب كتب التدريس اعدها المدرسون انفسهم وراجعها مكتب الحركة البرتغالية ، اللغة المستعملة وهي لغة المعلمين وهي في الواقع ليست مشكلة الا ان المشكلة تتمثل في تحديث التعليم اذ يحتاج الى مكاتبحديثة وطرق واساليب تدريس ايضا ، ويقولون اننا بلد ثورة وهذه مرحلة حرب ولا بد ان تكون الكتب تأخذ هذا في الاعتبار ، نحن نريد ان نعلّم تاريخنا وجغرافيتنا وليس البرتغال فقط • قبل الحرب كان اطفالنا لا يعرفون حتى اين تكون انهارنا •

الفصل الثالث

بعد ثلاثة ايام كنت في معسكر يقع في منطقة معمية على الحـــدود وكان الامر يقتضي ان ارتدي لباس الكاكي وهذا يمكن الحصول عليه من متجر صغير بالبلدة يبيع خردوات الحرب العالمية الثانية ووجدت في هـــذا المتجر ملابس جنود انجليز من اعقاب الحرب وعندما حصلت على المطلوب وجدت ان « اكمام القميص تصل ركبتي » ولما كانت الملابس الكاكي هي بلون الاشجار الخضراء والتي يحصل عليها المقاتلون من كوبا او الجزائر فقد كنت اظهر بملابس تصلح لاحراش الصحراء حول طبرق بـــدلا مـــن الغابات الغنية الخضراء • وكان علينا ان نجتاز الحدود عند الفجر وهكذا فقد رؤي أن ننام لبعض الوقت ، ولقد نمت في حجرة صغيرة مقامـــة من الاسمنت بينما كنت اسمع من خلال سكون الليل اصوات كما لو كـــانت في معسكر قريب وكذلك صوت هطول امطار ، واذا هي في الواقع أصوات الرياح تصدم نخيل جوز الهند ، وعند تمام الساعة الثالثة فجأة ظهر ضوء مصباح يدوي وكان احد المقاتلين يقول اننا يجب ان نبدأ السير • وهكذا ارتديت الملابس الكاكي وعندما خرجت من الحجرة وجدت اعضاءا مـــن الفصيل العسكري الذين سوف ارافقهم عن طريق اجتياز النهر الى داخل الولاية الشمالية في موزمبيق وهي ولاية (كابـــو ديلغادو) وعلمت انهـــا مسافة بسيطة سيرا على الاقدام الا انني من التجربـــة عرفت ان المسافـــة البسيطة هذه هي رحلة ثلاث ساعات على الاقل سيرا على الاقدام اذا لـــم يكن المقاتلون يحملون تجهيزات واسلحة ثقيلة مع ذخائرها ، واذا كـــان الامر كذلك فان الوقـــت يطول ولحسن الحظ التقينـــا سيارة لاندروفر

فتوقفت ترب صف من الافريقيين الحفاة وهـم (ماكونيديس) [1] مـن احدى القبائل في كابو ديلغادو وهي قبيلة ذات بأس تعلو وجوه افرادهـا شقوق متقاطعة تعرف بها كعلامة مميزة ، وهذه الشقوق تعمـل بواسطة شفرات حديدية حادة وفي احتفال عام بالنسبة للرجال والنساء على حـد سواء ، وبعد حفر هذه الشقوق في الوجه تدعك بالفحـم الحجري لكي تكون داكنة السواد .

ولقد اعتقد هؤلاء ان هذا التصرف يعفيهم من تجار الرقيق اذ قد لا يباعون بسبب هذا التشويه .

الحدود لم تعد بعيدة وعرفنا ان غارات الطائرات الحربية البرتغالية مستمرة على المناطق التي يسكنها هؤلاء الناس وهي عادة منـاطق سكنية تتكون من اكواخ الطين الا ان تأثير القصف الجوي على هؤلاء النـاس قليل لانهم يهربون للاحتماء بالاشجـار المحيطة بهم . افرغت سيـارات الجيب ما بها من المأكولات في هذه المحطة التي تعتبر آخر منطقة قبل ان تحتوينا الاحراش وهي ايضا آخر منطقـة بها بعض الطرقات الصالحـة للسير . وفي هذه المحطة قابلت اثنين مـن المزارعين وهما اللـذان سوف يرافقانني طيلة الرحلة بينما بقية الرفـاق يأتون وينصرفون تبعا للمهـام المكلفين بها .

احدهما شاب يدعى كونيلو مابوميلا وهو الذي يقوم بالترجمـة ، موزامبيقي نشأ في تانزانيا وكان يأمل ان يتخصص في مجـال الهنـدسة الميكانيكية، وهو احد خبراء المدفعية الا ان مهمته هذه المرة هي مرافقتي وواجبه يتلخص في الترجمة من الانجليزي الى البرتغالي فالماكوندي ثـم

---

(١) الماكونيديس قبيلة افريقية من موزامبيق تسكن منطقة كابو ديلغادو ـ المترجم .

العكس باللغات الثلاث وفي بعض الاحيان يستخدم الفرنسي ولقد انهى فقط كما عرفت ، الدراسة الثانوية وهو يقوم ببعض الرقصات الافريقية في المناسبات وفي العادة يرتدي سترة من الفرو وقبعة من الجلد تغطي اذنيه • وكانت الرفيقة الثانية سيدة فدائية تدعى ديوليندا سيماتتو تبلغ من العمر ٢٤ سنة تحمل دائما بندقية نصف اوتوماتيكية صنع الماني وجراب عسكري مليء بالعتاد يتدلى على كتفيها طيلة الرحلة التي تبلغ مائتي ميل سيرا ولم اسمع منها شكوى اطلاقا •

ديوليندا فتاة سمراء جسمها مثل السكر المحروق وكذلك وجهها الا ان قوامها ممشوق ولقد تركت بيتها في مقاطعة مانيكا سوفالا في الجنوب عندما التحقت بالثورة قضت شهرين كاملين في الغابات عن طريق مالاوي وتانزانيا ثم أخيرا دار السلام عندما تطوعت في الواجب العسكري بحركة فريليمو وهكذا فقد قطعت حوالي ثمانمائة ميل سيرا على الاقدام قبل ان تصل مقر الثورة والغالب انها قطعت كل هذه المسافة على رجليها سيرا •

أعدت ديوليندا الشاي وقد تناولناه في اكواب هي عبارة عن علب قديمة فارغة الا انها مع ذلك تفي بالغرض • كان علينا جميعا ان نتحرك الى النقطة الاخرى حيث سوف نجتاز النهر وبمجرد تنظيف الاسلحةوتفريغ الذخائر في الجرابات ، وضع كل شيء داخل سيارة صغيرة هي سيارة (جيب) وقطعنا الطريق الى النهر ، هناك وجدنا قارب يستخدم بالمجاذيف وهو أيضا مصنوع من جذع شجرة كبيرة حمولته ستة اشخاص فقط يجتاز النهر ، اذا واتاه الحظ ، ولم تلاحظه طائرة برتغالية ولقد قطعنا النهر وكان على صاحب القارب ان يقوم باكثر من رحلة لتوصيل بقية الرفاق الينا ، وفي رحلة ما بعد النهر فان الحماية الوحيدة من قنابل النابالم المحرقة هي أن يدفن الانسان نفسه كاملا في الرمال اذا استطاع قبل ان تقتنصه الطائرات وما اكثرها ، وعلينا ان نقطع الاميال في العراء قبل ان نصل الى

مكان امين تحت شمس حارقة كلهــم يحملون البنادق الاوتوماتيكيــة والرشاشات والذخائر على ظهورهم بينما كنت لا أحمل الا زجاجــة ماء وكانت فارغة لانني نسيت ان املأها ، كانت الحرارة شديدة بحيث تصل تسعون درجة وكذلك الرطوبة .

بدأت اشعر باسف شديد واتألم فلقد بدا حذائي واسعا ثقيلا تدخله الرمال وكنت أتألم منه في كل خطوة وهذا قبل ان نقطع الميل الاول بينمـا كان هناك من يتقدم الكل وهو محمل بالذخائر وحافي القدمين ، وبــدت الشمس وكأنها تكثف اشعتها وتركزها على عيني واشعر بها كشظايا قنبلة يدوية وفيما انا احاول التوقف في مكان لاحزم نفسي من جديد ، بــدأت أدرك انني لست من نفس المــادة التي صنع منها الثــوار هؤلاء ، ولقد تذكرت كلام احد الثوار المفكرين الذي يقول ، اذا تخلف احد في الطريق فهو يبطىء المجموعة ويعرضها للخطر ، لان العدو وراءهم ومن المستحيل ترك الرفيق او ارساله الى بيته ، وتوقف الامر على ان احد الرفاق قد يؤثر مساعدة هذا على قطع كل الطريق ، وفي جميع الاحوال فهذا عائق .

وطالما انهم يحملون كل شيء بينما لا احمل الا زجاجتي الفارغة فلم يبق هناك ما يمكن ان يحملوه معي . لقد بدت انفاسي وكأنها تتوقف ورجلاي لا تقويان على حملي ويداي مصفرتان ، وفكرت في ضربة الشمس والموت المفاجيء ، حــاولت ان اصرخ انكم مسؤولون عني ، انتم الثوار وانتــم المسؤولون عني .

وعلى بعد أرى اولئك الناس باحمالهم بينما اسمع كورنيلو يترنــم باغنية ، والفدائية ديوليندا خلفي وكأنه وضع استراتيجي . بدأت افكر في هذا القبر الذي يظهر وحيدا في هذه الرمــال ، وعلى القبر حجر واحــد كطريقة (الماكوندي) [1] وسوف يدفنونني ورجــلاي ملتصقتان بحلقي

(١) يقصد قبيلة الماكوندي ــ المترجم .

وكذلك حـذائي ، هؤلاء لم يروا مثلي في حياتهـم ، هذه الانسانة ذات الوجه الاحمر الغريبة بحذائها الذي يثير العجب ، ربما قد لا يدفنونني ؟؟

نظرت خلفي الى ديوليندا وخجلت ، على وجهها عرق اسود وهـي تقاوم حملها الثقيل مع سلاحها فوق ظهرها فاغرة الفاه وعيونها نصف مقفلة في تعاسة ، العرق يتقاطر من وجهها ورقبتها ولقد تبسمت عندمـا نظرت اليها رغم كل ذلك وهكذا شعرت بأنني لا بد أن أتغلب على نفسي .

سرنا مدة ساعة اخرى كاملة كنا نفكر فقط في كيفية تحريك رجـل قبل الاخرى ولقد بدأت اجسام هؤلاء الرجال كلون الحطب في المدفأة . توقفنا عن السير امام اشجار كثيفة ولقد جلست من فوري عـلى الارض متمنية ألا تتحرك بعيـدا عن هذا المكان ولقد بدأ الكل ينظر الي بقلق ، تخيلت ان رجليّ لا تمتدان وان اصابع يديّ كالعيدان . بدأت احاول خلع حذائي الذي يحتاج لجهد لا املكه ، الا ان الفدائية ديوليندا قد بـادرت بمساعدتي ثم قدمت لي كوبا من الشاي وعندها ابتسمت وهي تقـول ، عندما يحدث ارهاق للانسان فهو يجب ان لا يشرب الماء ، ثم شعرت بقليل من الراحة بينما كنت أقف لآخذ مكاني وسط الصف الذي يتهيأ للسير .

الفصل الرابــع

وصلنا قرية كانت قد تعرضت للقصف بالنابالم منذ يوم مضى،وكان العديد من الاكواخ قد حرق بينما شاهدت بعض السيدات يبحثن بين الانقاض عن الاواني الطينية التي لم تتحطم ، ولم تحدث وفيات بين سكان هذه الاكواخ انهم تعودوا الهرب باطفالهم الى الاشجار القريبة عند سماع ازيز الطائرات البرتغالية ، الا ان مخزون الارز وما كان يتوفر من ملابس قد احترق •

وكان بعض رجال فريليمو هذه الاثناء يعقدون اجتماعا مع بعض المشرفين والمسؤولين على تنظيم التجارة ، فبادروا بالحضور الى القرية لتقدير الخسائر وبينهم السيد سيمانقو الذي يشغل نائب رئيس منظمة التجارة وكذلك السيد مارسيلينو الذي التحقنا بمجموعته المقاتلة بعد عبورنا النهر والسيد ماريانو ماتسينغي المسؤول العام عن التعبئة داخل موزامبيق •

تقرر ان نبقى حوالي ساعة قبل ان نواصل السير ولقد نام الجميع على ظهورهم لفترة الراحة هذه على الارض •

وعرفت ان هذه القرية قد قصفت لان سكانها يساندون حركة التحرير الاهلية واردت ان اعرف كيف امكنهم ان يلتحقوا بالحركة التي كانت نتائجها هذه الاعمال • عرفت ان اهم ما كان يواجههم من البرتغاليين هو اعمال السخرة بقليل من الاجر او بدون مرتبات والضرب لاتفه الاسباب والسجن لمن يشتكي او يحاول الاحتجاج ، الضرائب العالية على تلك

الاشياء القليلة التي يملكونها ، عدم وجود المـدارس او المستشفيات او برامج التنمية ، المجاعة والفقر الذي لا ينتهي والاهمال واظهار ان القروي الافريقي يجب ان لا يشجع ليصل الى حياة افضل ، ورغم ان الافريقي لا يحصل على فرص التعليم فهو ايضا مطالب ان يقدم ما كان قد كسبه عند الاحتياج الى السلطة المحلية بقليل من الجزاء او بدونه ، بالاضافة الىهذا فان القرويين الافارقة لا يجدون سبيلا لبيع منتجاتهم الا عن طريق المحتالين الحكوميين الذين يفرضون زراعة نوع معين ثم يحصلون عليه بالثمنالذي يحددونه هم . ومع هذا كانت الانتفاضات تحدث بين هؤلاء وان كـانت تخمد في وقتها وهي التي كونت بذور الثورة ، الا ان ما اشهده الآن هو في الحقيقة ليس انتفاضة يسكن اخمادها او تدميرها ولكن عمل منظم لان المناضلين يتوقعون حربا طويلة وهم يحظون بعد كل هذا بمساندة الشعب، وليس المهم تسليح او اعداد رجال العصابات ولكن المهم هو اقناع وافهام هؤلاء القرويين الذين كانوا قد يئسوا مـن الانتفاضات السابقـة كيف يؤيدون الثورة مهما كان مقدار التضحية ومهما كانت الخسائر .

وهكذا استطاعت فريليمو ان تنظم الثورة ولقد كان الاهتمام يتركز في افهام هؤلاء المزارعين واقناعهم بذلك قبل اطلاق اول طلقة في سبتمبر سنة ١٩٦٤ وقبل السلام وبداية عبور مجموعات فريليمـو الحدود الى شمال موزامبيق المكان الذي بدأت منه ثورة الفلاحين الجديدة .

وما كان لهذه الثورة ان تعيش لولا هؤلاء الفلاحين الذين ساندوها والذين كانوا مصدر تمويلهـا في أيامهـا الاولى . فهؤلاء يمثلون الملجأ والمعلومات عن تحركات العدو والمتطوعين لنقل المعدات الحربية وفي كثير من مثل هذه المجالات لا تزال الثورة تعتمد عليهم فيهذهالاعمال واساليب التعبئة درب عليها الفلاحون باساليبها الفنيـة بواسطة حركة فريليمـو وقياداتها في تانزانيا ومطبوعاتهـا الزرقاء . ولقد ركزت هذه كلها عـلى

دروس الماضي وما يحتاجه المواطن الفلاح الافريقي ، ما شاهده السجناء في معتقلات البرتغاليين وما عاشه الافارقة اللاجئون او المطرودون . لقد كان هؤلاء المقاتلون بعد التدريب يكلفون بالاعمال العسكرية في المناطق التي كانوا يعيشون فيها والتي يعرفونها ويعرفون عادات وتقاليد سكانها ولان كل السود الافارقة في موزامبيق لا يفهمون القراءة او الكتابة وهذا يعني ان أسلوب التعبئة او التدريب لا يمكن ان يصلهم بطريق المنشورات او الاشياء الاخرى المكتوبة مثل الجرائد السرية ولا يمكن ايضا لهؤلاء ان يلتقوا بالفلاحين مباشرة وعلنا ولهذا فلا بد ان تصل دروس التعبئة والتدريب شفاهة .

لقد ارتفعت الصيحة القائلة « لقد ملكت ارادتي » ولكن كيف يمكن ان تستمر هذه الصيحة وكيف يمكن ان تصل الفلاحين المقيمين دوما في الغابات والذين لم يعرفوا قراءة ولا كتابة ، بل انهم لم يتمتعوا بأي نوع من الحرية او يبدوا رأيا لانهم لا يملكون الرأي ولا يدركون معنى الحرية الشخصية . كانت هناك البعثات التبشيرية وتجار الرقيق في وقت واحد والتبشير هو في الواقع تجارة سياسية ، فلقد عرف هذا الافريقي شيئا اساسيا واحدا وهو انه اسود وانه جاهل وان تاريخه كله جهل وسكون ، وهكذا فان منظمة فريليمو عندما اقامت شبكتها السرية وبدأت تتغلغل شمال موزامبيق وجدت الافريقي الاسود الذي يعيش حالة اليأس المطلق. وكان عليها ان تعمل سرا وبكل حذر وعليها ان تصل هذا الافريقي الاسود مباشرة . فلا هو يكتب او يقرأ وليس هناك وسيلة مواصلات غير المشافهة، غير الكلام المباشر ، وهي مهمة صعبة وخطرة في وقت واحد على الفدائي وعلى المزارع الفقير الخائف الذي يرتعش عند سماع اي صوت لانه يتوقع دائما القصف من الطائرات القاذفة البرتغالية ، ومنظر الكوخ الحقير المتهدم والاطفال العراة المبعثرون في الغاب .

وكان على رجال فريليمو فيما اذا حدث أي قصف ان يثبتوا لهذا

المزارع انهم قادرون على الثأر في الوقت المناسب ، هذا على الاقل اذا لم يتمكنوا من حمايته ، وهذه مهمة صعبة جدا ، وبدونها لا يمكن توفر المساعدات والتعاون من قبل هؤلاء الفلاحين بينما في الحقيقة يواجه هؤلاء الفدائيون انفسهم ذات المصير والتخوف لان جنود البرتغال في كل مكان والمخبرون والعملاء منتشرون في المناطق وبين الاكواخ وليس هناك اسهل من تدمير القرى وحرق كل الناس تحت بقايا أكواخهم . بالاضافة الى هذا كله فان رجال التعبئة في منظمة فريليمو يواجهون بالاضافة الى مهامهم الصعبة جدا ، طمع بعض الفلاحين الذين يبلغون السلطات البرتغالية فور اعتقادهم بانهم سوف يكافأون ببعض دولارات ، وبضعة الدولارات هذه قد تساوي ما يحصل عليه هذا الفلاح لسنة كاملة ـ هذا اذا كان رجل التعبئة التابع لمنظمة فريليمو هو من نفس القبيلة والتي يبشر فيها بضرورة تأييد الثورة السوداء ، اما اذا كان غريبا اي من قبيلة سوداء اخرى فهذا سيعني اشياء اخرى اكثر خطورة من مجرد ابلاغ السلطات . ومع مرور الوقت فان هؤلاء المبشرين بالثورة ورجال التعبئة الذين يلقون محاضراتهم في كل مكان وهم في الكثير لا يملكون احذية ولا ثياب تأكد لديهم ان محاولاتهم بدأت تفيد . هؤلاء الرجال يتحدثون الى الفلاحين عن اسباب الفقر والعوز وموت الاطفال قبل سن الخامسة ، الجهل ولماذا فرض على الافريقي الاسود .. الخ والاكثر ايلاما ان السلطات البرتغالية رغم كل هذا قد فرضت ضرائب حتى على الاكواخ التي يسكنها هؤلاء الفلاحين وهذه الاكواخ التي اقاموها في الغابات بجهودهم ومن اعواد الخيزران والقش ويدفعون الضرائب على كل جذع شجرة لان الاشجار تعتبر ملك حكومة البرتغال ، بل ويدفعون ضرائب على احتفالات القبيلة التي تعتبر التسلية الوحيدة لهؤلاء الفقراء . يدفعون الضرائب من محاصيل زراعتهم الموسمية او من دولارات حصلوا عليها من اعمال السخرة الخ .

ولهذا كله كان كلام رجال فريليمو يلقى آذانا صاغية وهكذا بدأت الثورة تكسب التأييد ، وهكذا ايضا تزايد القصف والقهر والتعذيب البرتغالي اذ اكتشفت السلطات البرتغالية ان رياح الثورة بدأت تهب .

وكما قال لي مريانو ان القرويين كانوا ينظرون وينتظرون وكثيرا ما يهملون ما يقوله رجال فريليمو الا انهم يتذكرون ذلك عندما تهدم قراهم او يقتل اقرباؤهم وبذلك يعرفون تماما ما كنا نقوله لهم عن الادارة البرتغالية . لقد بدأنا نعمل علنا واستطعنا ان نقنع بعض رجال القبائل وعمدهم في القرى ولقد استخدمناهم لنشر افكار منظمة فريليمو لان لهؤلاء العمد، قدرة على التأثير في القرويين اذ يوجد تقليد في طاعة هؤلاء والاستماع اليهم . لقد كان البرتغاليون يستعملون هؤلاء العمد بذات الطريقة . وعندما تحول هؤلاء الينا فهذا يعني ان اعدادا كبيرة من القرويين قد تحولوا الى جانبنا . ان عمال السخرة والذين استخدمهم البرتغاليون في المزارع وعذبوا بسبب الاستغلال البرتغالي هم اكثر الناس قربا الينا وتأثرا بافكارنا ثم في الانضمام الى صفوفنا . لقد كان رجال البوليس البرتغالي يجمعون هؤلاء الفلاحين من قراهم عنوة وينقلونهم الى الاعمال في المشاريع الصعبة لمدد تتفاوت من ستة شهور الى سنتين بلا مرتبات حتى صارت كلمة « شيبالو » اي السخرة معروفة للجميع بينما تقول السلطات البرتغالية عن هذا العمل انه خدمة تطوعية للدولة . واذا ما اظهر اي عمدة او شيخ اي احتجاج فهو يستبدل بآخر فورا . وقد بدأ تقبل رجال فريليمو من قبل القرويين وبدأوا يخفون هؤلاء الرجال في اكواخهم ثم بدأوا يتدربون على السلاح وبالتالي بدأوا يحاربون الذين يمثلون القهر والاستغلال وبدأت الثورة تنتشر كالنار في الحطب .

الآلاف من السود بدأوا يهربون ويلجأون الى حدود تانزانيا ومالاوي وزامبيا من شمال موزامبيق وكثيرون لجأوا الى منظمة فريليمو ومع الزمن

تغيرت النظرة من وضع القبيلة الى وضع الامة وتغير الموقف بشكل عام •

ان الافريقي فقير وجاهل وتريده السلطات البرتغالية ان يبقى فقيرا وجاهلا ولا يوجد بين الاغنياء اكثر من ٥ ./. من السود وكانت السلطات البرتغالية تهمل اقل الحقوق التي يجب ان تتوفر للانسان وبذلك كانت المطالب كلها تضيع ادراج الرياح وتؤكد ان الطريق الوحيد هو حمل السلاح ، وبدأت الثورة • ومن المهم ان نعرف ان قادة حركة فريليمو السياسيون وقادة الحركة العسكرية في الميدان هم من بين صفوف هؤلاء الناس البسطاء وان كان بعض رجالنا في الميدان هم في الحقيقة نصف اميين•

وبينما كانت حركتنا تقف على رجليها في الميدان كان رجالها ينتشرون في العالم طلبا للسلاح والعون وهذه الحركة هي في حقيقة الامر جبهة نضال وليست حزبا او تنظيما ولا هي لشرق ولا لغرب والشرط الوحيد للعضوية في هذه الحركة هو ان يكون المتقدم للعضوية مواطنا مؤمنا وقادرا على القتال من اجل استقلال موزامبيق •

والقيادة في حركة فريليمو تدرك من خلال كل التجارب الماضية ان الانتماءات السياسية لا تخدم الهدف ولا توحد القوى الوطنية بل كثيرا ما تكون السبب في بعض الخلافات والتفرقة وهكذا فنحن لا نهتم بمن هو الى جانب اليسار او اليمين •

وفي الخارج فنحن نحصل على التأييد المادي والمعنوي من الغرب ومن الحكومات الشيوعية على السواء وبصرف النظر عن كل ما يمكن ان يقال فان السبعة ملايين اسود موزامبيقي ما كانوا يساوون شيئا من الناحية السياسية في الخارج وفي حركتنا فاننا لا نبغي طرد البيض البرتغاليين الذين يبلغ عددهم مائتي الف مواطن والذين يعتبرون موزامبيق موطنهم،

الا ان الظروف التعسة التي تعيشها الاغلبية السوداء في موزامبيق لا بد ان تنتهي ويجب ان يحل محلها النظام الذي يمكن ان يستفيد من الاستثمارات الاجنبية لصالح الامة بكاملها .

في السابق كان زعيم حركة فريليمو السير ادوارد مودلين ، وهو الذي يحمل مؤهلا جامعيا من جامعة امريكية وقد عمل في لجنة الامم المتحدة ، كان يأمل بامكانية اقناع الحكومات الغربية بمساندة حركة تحرير موزامبيق ولو معنويا . لكن الغرب لديه التزامات في منظمة حلف شمال الاطلسي وهذه المنظمة تضم البرتغال كعضو فيها بالاضافة الى وجود بعض الاستثمارات الغربية في المستعمرات الافريقية البرتغالية وفي جنوب افريقيا ، الجارة الجنوبية والحليف للبرتغال وبكل مرارة يلاحظ الافارقة ان اسلحة حلف شمال الاطلسي التي كانت مخصصة للاستعمال المحلي في البرتغال تنقل الى المستعمرات الافريقية البرتغالية وان طيارين برتغاليين يستخدمون طائرات حلف الاطلنطي ضد القرويين السود الافارقة ، ومع هذا فلقد كنا نأمل بالمساعدات من الغرب الا ان هذا لم يحدث وتأكد انه لن يحدث ، ولقد فقد الغرب المبادأة بينما كان المعسكر الشرقي قادرا ومستعدا للمساعدة مثل الاتحاد السوفياتي والصين ودول الشمال الافريقي والدول الافريقية الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية ، هذه المنظمة التي اظهرت تأييدا ومساندة بالسلاح والمال لثوار منظمة فريليمو .

وايا كانت الاسباب فان الحقيقة التي لا يمكن انكارها ان دول عدم الانحياز والمعسكر الشرقي قد اظهرت مساعدات كبيرة للجماهير المناضلة يمكن للجميع ملاحظتها . واما الغرب باستثناء بسيط فقد تجاهل الثورة او هو عمدا ساند البرتغال في حربها الافريقية .

ان الفلاح الافريقي العادي لا يمكن له ان يقدر التزامات حلف الاطلنطي تجاه البرتغال بينما يشاهد قريته تدمر وتحرق بالنابالم وزملاءه مقطوعي الارجل يتحركون حوله بعربات آلية لا يمكنه الا ان يشعر بالامتنان والشكر للذين ساعدوه ومكنوه من ان يقاتل •

ورغم مساندة الدول الحيادية والاشتراكية للثورة السوداء في موزامبيق فاننا لم نستوحي شيئا من الخارج على الرغم من الاتهامات البرتغالية بل على العكس • لان الثائر لا يسأل من اين يأتيه السلاح ولولا المساعدات الخارجية والتعبئة الجماهيرية في الداخل فان الثورة في افريقيا وبنفس حجم الثورة في موزامبيق سيكلف مبلغا لا يقل عن خمسة وعشرون مليونا من الدولارات سنويا • وبديهي اننا لا نستطيع توفير مثل هذا المبلغ لاستمرار الثورة ، وتقدر الشحنة الواحدة من الاسلحة كمدافع البازوكا مثلا بمبلغ اثنين ونصف مليوندولار مضاف اليها الملابس والاحذية والعلاج لاعضاء الثورة وكذلك المصاريف المكتبية •• الخ مكاتب المعلومات في الخارج ، الوقود والسيارات ، العلاج في الخارج للمصابين الذين يتعذر علاجهم محليا من مدنيين وعسكريين الخ ولحسن الحظ فاننا لا ندفع مرتبات لرجال الثورة ومقاتليها وكذلك الفلاحين ، ان هؤلاء يزرعون الارض ويجنون محاصيلها مثلما يؤدون واجباتهم تجاه الثورة بلا مقابل ، هذه الواجبات التي لا يمكن ان تقدر بثمن • ان البرتغالتصرف مبلغقدره تسعون مليونا سنويا لتقاتلنا في موزامبيقمضافا الى المبالغ الهائلة التي تدفعها في مستعمراتها الافريقية الاثنتين انغولاوغينيا البرتغالية ونحن نقاتل يوميا ، ولم يخف سيسنقو تألمه من الغرب وموقفه من الثورة في افريقيا ، وقال من المؤسف ان الغرب المسيحي الذي كان يدعي انه بطل الحرية لم يستطع ان يثبت ذلك في وقتنا الحاضر وتجربتنا ، وقال لعل هناك تفسيرات اخرى واختلافات فيما يستحقه الانسان ، وماذا تعني كلمة الحرية لانسان فقير جاهل عندما يقال له انه حر في ان يجد

العمل وطريقة العيش ؟؟ وكرجل كنيسة يعمل في خدمة الرب بين قومه يجد نفسه مقحما في امور سياسية وهذه الاختيارات ، وبتجربتي الشخصيـــة كان علي ان اميز واختار ، فلقد كان علي ان اختار بـــين ترك الكنيسة او الانضمام الى صفوف الثورة ، لكنني سأظل مسيحيا •

الفصل الخـامس

في تلك الليلة بعد سبع ساعات من السير ، المسافة التي كان يمكن للفدائيين ان يقطعوها بدوني خلال ساعتين توقفنا في معسكر من الاكواخ وعلى طول الطريق كان رجال الميليشيا المدنية يحرسون الممر • كنت الاحظ رجال الميليشيا هؤلاء يخرجون من بين اشجار الغاب بينما كنت احاول جاهدة أن ألحق بالركب الذي يسير أمامي • انه تذكار صامت اذ يمثل أمة تذهب الى الحرب في خرق بالية ، انهم يتلقون التعليمات بكل جد ويقفون في استعداد حافي الاقدام مسلحون بالبنادق او الاقواس والنبال، بقمصان ممزقة تكاد لا تغلق على اجسامهم وسراويل مهلهلة فقدت الكثير من أزرارها • ما شاء الله ما شاء الله ، ردد هذه العبارات أحد الرجال المقاتلين بينما كنا نمر امامه ، احد رجال الميليشيا يصفر ردا لتحية اهالي قبيلة الماكوندي ، هؤلاء القرويون الذين ولدوا على حصيرة من القش ويموتون على حصيرة من القش ذاته هم العمود الفقري للثورة السوداء المسلحة وهم ، القرويون والفدائيون ، يعرفون ذلك • كنا نمر على الاسر المدنية ونشاهد السيدات اللواتي يحملن اطفالهن على ظهورهن واكتافهن عارية، كانوا كثيرا ما ينظرون الينا ويتساءلون بالماكوندي ما اذا كانت هذه السيدة البيضاء التي ترتدي اللباس الكاكي هي اسيرة حرب برتغالية • كان مقررا أن نبقى في المعسكر هذا حوالي ثلاثة أيام وأردت آن أرى القرويين الذين يحوطون المعسكر وأرى رجال فريليمو في مناطق التدريب وامكانيات منظمة فريليمو التي تعد لحرب كاملة •

الى جانب القصف الجوي والتدمير والى جانب الجهل والفقر فهناك

ايضا نقص في المعدات التي تعوّد المزارعون استخدامها في عزق واصلاح الارض وايضا فليس لدى هؤلاء ابر حياكة ولا خيط ولا آلات حياكة او معدات اصلاح احذية ولا شيء من مقومات الحياة وهذا ايضا سيجعل البناء المطلوب صعبا ولا يعرف هؤلاء الا الامور التقليدية للقبيلة الاشياء التي يستخدمون كافرشة للنوم هي تلك الاعوام الرطبة التي يقطعونها بامواس حادة معوجة تسمى (بانقا) • اما العناية بالبيت فهي في الواقع لا تمثل مشكلة اذ ان جميع الاكواخ تتكون في الغالب من شبه حجرتين اي كوخين متصلين تكنس في الصباح بثلة سعف النخيل ، أما الملابس فهي تغسل في النهر ثم تنشر على اعراف الاشجار الخ واذا ما هوجمت القرية او مجموعة الاكواخ هذه فسرعان ما تعاد اقامتها في مواقع اخرى ولكن بشكل غير كثيف ولكي لا تكون الخسارة كبيرة فيأي قصف مجددا الخ• اول مرة اغتسل فيها في هذه الغابة ، اذ للمياه مشكلة كبيرة فهي تنقل من النهر الذي يبعد في الغالب ميلين عن المخيم عبر الجبل او الوديان ومن العادة ان يقام كوخ منفرد لهذا الغرض وتغلى الماء ثم تنقل في اناء حديدي في الغالب • والكوخ هذا جوانبه الثلاث من الخيزران بينما مدخله قطعة قماش او حصيرة قش وعلى المستحم ان يقف على حجر وضع في وسط الكوخ لكي لا يعلق الرمل في رجليه ، وهكذا ليس من السهل على من لم يتعود على حياة الغاب ان يخلع ملابسه ويستحم في مثل هذا الكوخ لان أعواد الخيزران على جوانب الكوخ غير متلاصقة ، لذا يخيل لمن بداخل الكوخ ان الذين خارجه في المنطقة القريبة يشاهدونه بينما الحقيقة ان هذا لا يحدث الا ان ضرورات الحياة تفرض الكثير ، وقد عرفت وتعلمت الكثير ايضا تبعا لذلك ولقد تناولنا طعام العشاء وكان فيه بعض اللحم فقال الرفاق ان الله كان معنا فهناك بعض من اللحم الليلة •

والحقيقة ان حركة فريليمو دربت بعض الناس على الصيد البحري وكذلك الصيد البري وذلك رغبة في توفير الاحتياجات •

وسرعان ما تم طهي بعض الطيور والخنزير البري الا انني لم استطع تناول شيء ولعل اسباب عدم شهيتي للاكل تعود الى شعوري بالتعب ، الا ان الرفاق الحوا علي في ان اتناول بعضا من اللحم واعتقدوا انني لا احب طريقتهم في اعداد الاكل • وعلى كل حال فلقد تناولوا هم الاكل واتـوا على اللحوم كلها اذ قد لا تتاح فرصة أخرى كهذه الا بعد عدة أيام • ولقد حاول الرجل الجالس في ظلمة الليل امامي ان يغير صحن الاكل الحديدي الذي امامي عدة مرات لعله يوقظ شهيتي دون جدوى وكان هذا الرجل هو كانيلتو ماجيقو قائد مقاطعة كابو ديلغادو وقتئذ ، وهو الذي كان عليّ ان ارافقه الى ان ينظم عمليته العسكرية في الجنوب •

وكان عليّ اذا اردت الاستمرار في السير ومرافقتهم ان آكل ، وهذا ما قاله ماجينو دوسينا ، وهذا صحيح فلقد كانوا يلحـون دائما علي ان اتناول بعض الاكل ، ولقد شعرت بأنني بامتناعي عن الاكل أسبب ازعاجا لهؤلاء الرفاق الذين يعتقدون اني لا احب أكل الافارقة • وهكذا بدأوا يحاولون الحصول على اكل اوروبي • والواقع ان الاكل جيـد ولـكن التعب مؤثر بشكل يجعلني لا اقدر على الاكل، فهم يعدون الاكل ويلحون علي ان آكل ، بعض اللحم والارز يوضع في طبقي فاذا تناولت قطعة لحم سرعان ما توضع قطعةاخرى بدلها واذا تناولت ملعقة ارز يضاف الىصحني ما يعوض الذي تناولته، فاذا كان هناكلحم فراخفان الرفيق ميجيفو يسرع بتقطيع الدجاجة بيده ليضع في صحني • الحقيقة ان هذه ليست حيـاة الفـدائيين ولقد بدأت اخشى انهم يكلفون انفسهم اكثر من الحدالمعقول يبحثون عن الاكل ويعدونه لاوروبية يعتقدونانها اعتادتعلى تناوله،وهذا ما يضايقني• لقد عرفت ان هؤلاء الرجال من اقوى المقاتلين الفدائيين على الارض واصعبهم ، ومع ذلك فهم يعاملونني بلطف زائد ويحاولـون ان يوفروا لي الراحة الممكنة وانا أرافقهم في أصعب المهام القتالية وفي بعض الاحيان لا نجلس لتناول الاكل بسبب المسير اذ يتقرر قطع مسافة معينـة بينما نجلس في الليل جميعا في شكـل دائري ويرى الجالس مـع هؤلاء

المقاتلين اناسا سوداً في ليل اسود وقال لي احد المقاتلين انه في عهد الحكم البرتغالي لا يمكن للافريقي ان يجلس على مائدة او يستخدم (فركـة) شوكة او ملعقة او موسى ، لان هذا اذا حدث سوف يقول لنا البرتغاليون اننا نرتفع عن مستوانا .

●

واذا تعثرت على طريق وعرة كانت الايدي اللطيفة تمتد حالا لتعيد التوازن مع ذكر كلمة « آسف » ــ وعندما تتوجه الى قرية متعبين وجائعين بعد ما يبدو لي انه سفر طويل دون ان احمل شيئا فان البيض الثمين الذي يقدمه القرويون ترحيبا بنا في اوراق المـوز يذهب الى السنيـورا (اي السيدة) لعمل العجة . واذا رأوا اني مشيت فوق الطاقة ، فـان الرجال يوقفون الموكب على حافة الغاب ويوضع حرس على النقـاط الخطرة ــ وقد كانوا يساعدوني لتسلق الجبال الصعبة والمجاري السريعة وذلك عدا المداعبة والنكات او الابتسامـة او شرب الشاي ، وهي اشياء بسيطة اذا قوبلت بوسائل الراحة في المدن ولكنها مهمة عندمـا تعالج الصعاب في الغابة .

ان معسكرات الفـدائيين تصحـو في الساعة السادسة او السابعة صباحا بعد صرخات تحضير الافطار والموسيقى العسكرية من محطة الاذاعة السرية تسمع في راديو ترانزستور . ويوجد عادة القليل ممن يقومـون باكرا عند بزوغ الضوء يتحدثون ويشربون القهوة على موائد الخشب مع حرس الليل حتى يشعل الطباخ (العشي) النار ــ وهناك اخبار وموسيقى شعبية وبلاغات عن معارك وبرامج روائية موجهة الى المدن والقرى فـي مناطق الحرب .

ان الصوت يذهب الى مدى بعيد في الغابة وان المعسكرات عـلى حدود مناطق النزاع تخفض من صوت الراديو والحديث والضجـة غير

الضرورية الى ادنى مستوى وجميع المعسكرات مهما كان مركزها تحتفظ بحراسة طيلة ال ٢٤ ساعة وعلى نصف قطر يبلغ طوله عدة اميال .

وكنا نسبيا في منطقة آمنة وكانت الزمامير المسماة (كويلاس) من جوهانسبرج ولورنزو ماركيز تلعب بدون توقف خلال برد الصباح الباكر بينما كان الرجال يغسلون ثيابهم وينظفون معداتهم ويتحدثون وبينما كان زعماءهم في القيادة يجتمعون في كوخ معزول في رأس الهضبة .

وكانت هناك مشكلة تجارية يجب حلها ، وقد استغرق الاجتماع يوما آخر قبل ان تتمكن من التحرك ـ وتشاطرنا انا وديوليندا كوخا صغيرا في الليلة السابقة وقد نمت جيدا على فرشة هواء كانت قد نفختها ووضعتها على سريري وقد استحصلت على قطعة من القماش قصيرة طوتها ووضعتها كشرشف ـ وكانت هناك بطانية منسوجة لي ايضا تستخدم في الليالي الباردة . ديوليندا التي تدربت على جين فراليمو لم تترك امتعتها مبعثرة هنا وهناك في الكوخ مهما طال بقاؤنا في مكان واحد كانت كل الثياب تطوى بترتيب وتحشى في جربنديتها مع زيت الشعر والصابون والاشياء الخاصة التي لها . وكان لها بدلتان من الكاكي وجارزة وكلسات ولباس تحتاني وزوج من الاحذية المعمول من قماش الكنفاس وهي دائما على استعداد اذا تقرر فجأة ان يتحرك الركب .

وكنت اتضايق من جربنديتي لاني اقترفت خطأ بحملي اشياء لم تكن ضرورية جدا فقد كانت محشوة كثيرا وناتئة واحيانا كانت اشياء تغطس الى القاع مما يستوجب تفريغ جميع المحتويات لايجادها .

وبدون تغيير فان الاشياء المستعجلة كانت تذهب الى القاع وكنت غالبا اجد نفسي اتعارك مع الجربندية عدة مرات كل يوم ـ وكانت عندي صعوبات اخرى وهي جيوب عميقة ليس لها حد من الخارج حيث كنت

اضع اشيائي وكانت الدهونات وزيت الشعر وادوات تطبيبيــة وكريمات ضد الشمس التي اضعها لأتمكن مــن الوصول اليهــا • وكانت بعض المواسير تسقط الى القــاع وتتسرب محتوياتها الى الخارج • وهنــاك زجاجات البلاستيك مطعوجــة ولها اغطية مفتوحة لــم يكن من الممكن ايجادها مرة اخرى •

وقد تعلمت انه اذا كنت تريد ان تضع يــدك بسرعة على الشيء فان الجربندية يجب ان تحشى كل مرة بنفس الطريقة لان ذلك سيسهل بعض الدقائق الثمينة في الظلمة التي تسبق الفجر حيث جميع الركب يتجمــع حول كوخك بالانتظار للتحرك وانت لا تزال في لباس الليل وان البطارية في مصباحك قد فضيت وانك قد نسيت في اي اتجاه سيكون التقدم •

ان اكبر المشاكل لي ولنساء الثورة هو ايجاد حقل قريب مــن اي معسكر او مكان استراحــة يكون صالحــا للتقهقر ـ وهو اصطــلاح يستعمله البرتغاليون ليعني غرفة الاستراحة (اي بيت ماء) ـ ويجب ان يكون هذا المكان على مسافة الصوت فيما اذا صادف وعضت حية خائفة الشخص او عضه اي شيء في الغابة ، ولكن في نفس الوقت يجب ان يكون بعيدا بما فيه الكفاية عن مرور اي ركب او اي مدني متجول ـ ان الطرق المعوجة يجب ان يتذكرها المرء جيدا حتى يتمكن من ايجاد طريقه في الليل اذا كان ذلك ضروريا حيث ان كل معسكر يشبه الآخر ـ فقد كنت اصرف وقتا طويلا لايجاد غايتي الخاصة وفي الليل كانت ديوليندا تصحبني دائما على مسافة بعيدة للتفتيش عن الحيّات بالمصباح الكهربائي • وتدريجيــا اصبح الشخص اقل اكتراثا اذ ان الرجال كانوا يتحاشون غرف الاستراحة التي للنساء ومع الوقت اصبح كل رجل يعرض عن رؤية اي شخص يطل رأسه من الغابة الكثيفة ـ وقد اصبحت بدرجة غريبة على علم بالحيــاة الخاصة في المعسكرات نظرا لمواقف ساكنيها وحياتهم الطبيعية وعدم رغبتهم في بحث شؤون بعضهم البعض الخاصة ـ

وصلت فصيلة نسائية الى المعسكر ذلك اليوم بقيادة قائدة عمرها سبعة عشر عاما اسمها بولين ماتيوس ــ وهي ومساعدتها اريكتيبيا جوا وعمرها عشرون سنة وكانت تقود ٢٠٠ أمرأة من الفدائيات باعمار تبدأ في الخامسة عشر وقد سكنوا في مجموعة من الاكواخ اخليت من اجلهن من قبل الميليشيا واقاموا أماكن لهن للطعام ومقرا في حقل من المانجو (فاكهة هندية الاصل) ــ وكانت بولين سمينة ووديعة ولكن كان لها سمعة عالية كقائدة وتتمتع بقدرة خاصة للتعبئة •

قالت لي بولين انها التحقت بالثورة وهي في الثانية عشرة من عمرها بعد سماعها لرجال فريليمو يلقون المحاضرات في قريتها • وفي الاشهر الاولى عملت في قاعدة للفدائيات كطباخة ومساعدة اولى، وبعد التدريبات العسكرية في تانزانيا اشتركت في دوريات استطلاعية مع الرجال • ومع النساء تدربن على القتال اذا فوجئن بكمين ــ الا ان استعجالهن في القتال كان يستبعد بقدر الامكان ــ وقد تبين انهن كن نافعات كمعبئات سياسيات وتجنيد الرجال المترددين ليكونوا رجال قتال ــ وقد تم ذلك عن طريق تحويل النساء وهؤلاء بدورهن يضغطن على رجالهن للاشتراك ــ ان بعض الرجال ليس لهم مقدرة على القتال حسب قول بولين ــ انهم اما خائفون او لا يريدون ترك عائلاتهم وحقولهم ، ولكن عندما تقول الامرأة لرجلها انه يجب ان يذهب للقتال فانه عندئذ يشعر بميل لذلك •

ان نساء العصابات عندهن جدارة في تحضير الطعام واعمال الميليشيا ونقل المقاتلين المجروحين ــ انهن قادرات على القيام باية بعثة سياسية او عسكرية ويمكنهن السفر لمسافات بعيدة •

ان تدريبهن الاولي على اعمال القتال هو شاق وبدون رحمة ــ اننا نتدرب على نفس برنامج الرجال لاننا سنقوم بأعمال الرجل ، اننا أحيانا نبقى في نفس المعسكرات ونعتبرهم كاخوة لنا ــ اننا نتألم من الجوع

والعطش والحر مثلهم وتتعلـم ـ كيف نستعمل جميع انـواع الاسلحة وعندما نبدأ اول تدريباتنا نعتقد بأننا سنموت من الجوع والتعب ـ ونحن والرجال نمر باماكن فيها ماء وانهر ولا يسمح لنا مدربونـا أن نشرب مع اننا على وشك الموت من العطش ـ ان ذلك من اجل تدريبنا على الخشونة وعلى الاوقات التي يمكن خلالها ان نحتاج الى الشرب من ينابيع يشتبه بانها مسمومة من قبل الاعداء •

واخيرا قالت بولين ـ وعندما نصبح اقوياء بما فيه الكفاية للتغلب على كل هذه التجارب فاننا نجد انه بامكاننا ان نتألم ونسافر لمسافـات طويلة مثل اي رجل وحتى بما نحمله من البنادق والمعدات واحيانا كنا نمر من فوق الرجال الذين يتداعون •

وبعد ان نحـل مشكلة التحمل فماذا عن حوادث الجنس التي ربما نطرأ بسبب القرب من العديد من الرجال ؟ كانت هناك فترة مـن التفكير عندما كانت بولين والبنات يمعن في هذا السؤال ـ

يبدو انه كانت هناك بعض الحالات الغرامية احيانا واذا حبلت الامرأة فان الاثنين يتزوجان ـ ان صعوبات حرب العصابات مع استمرار التنقل لم يتركا وقتا كافيا للمواعيد في الغابة ، واذا لم تكن البنات مرسلات في بعثات فانهن يعشن في معسكرات منفصلة •

وهناك العديد من الرجال المتزوجين ولهم زوجات في القرى المجاورة او في مناطق اخرى ـ ان اصعب مشكلة هي عندما يكون تصرف رجـال القتال والبنات المحليات مخالفا للعادات القبلية السائدة في منطقـة معينة وسواء اكانت هذه القبائل مسلمة او كاثوليكية او ملحدة فانهم جميعـا متشددون في مسألة العلاقات الجنسية •

اما بشأن فتيات الثورة اللواتي جندن من عدة مناطق ، فـان الامر

يتوقف على الشخص ليقرر حياتها الخاصة ــ وقد لاحظت انه مع وجود علاقات ودية بين مختلف الجنسين فانهما يتبعان بعض الرسميات العسكرية .

وكمنظمة ثورية فان فريليمو وضعت نفسها في حالــة التزام مستمر كمثال ، وكانت على علم بان عمل الرائد هو تحت التدقيق ــ وحيث انها تعتمد على حسن نية القريــة ومساعدتها في العديد من الطرق كان محتما على المنظمة ان تراعي الطقوس المحلية وتحث محاربيها لضبط انفسهم بقدر الامكان وحتى ولو شجعتهم بعض الفتيات المحليات اللواتي ينظرن اليهم كابطال .

وقالت لي بولين ان موقف الرجال تجاه نساء الثــورة كان ودودا بشكل عام ولكن اخوي وان علاقتهم كانت عائلية اكثر منها جنسية ــ اما اذا كان ذلك بسبب احجام الاناث او ضبط نفسهن عن الرجال فان هــذا غير معروف . ولكني تعلمت انه في هذا الاقليم بشكل خاص يعتبر الرجل مسؤولا مثله مثل المرأة عن مخالفة المحظورات الجنسية خاصة اذا نتج عن ذلك طفلا ــ وفوق ذلك فان الفتيات قلن لي ان الامور كلها تحت التدقيق .

وتحدثت معظم اليوم التالي مــع رؤساء المجموعات الثورية ومــع كورنيليو تقريبا بدون انقطاع لان هذه ليست حربا عادية ولا توجد هناك حدود معينة للجبهة وان قوات الثورة المتقدمة غالبا ما كانت تتوغل الــى أبعد من طوق الدفاعات الذي أقامه البرتغاليون بشكل مناطق للدوريات او تحصينات ــ فقد قطع الثوار طرق واسعة الى منتصف الثلاث مقاطعات ، كابوديلغادو ونياسا في الشمال وتيتي في الغرب . ولكن بما انهم جماعات « اضرب واهرب » لا يمكن الابقــاء على المدن او الشطوط لمدة طويلة عند احتلالها ــ وبالنسبة للثورة فان المنطقة التي تسيطر عليها حركة التحرير فريليمو تعني ان الجبهة قد اسست ادارة فعالة لجميع الامور الهامة بما في ذلك التجارة والعدالة وان البرتغاليين لا يجرؤون على الدخول اليها الا في

هجوم مباغت من قبل طائرات الهليكوبتر ــ ان هذه المناطق كانت دائما عرضة للضرب الشديد بالقنابل ــ ان المنطقة المتنازع عليها بحسب رأي الرجال هي التي لا تزال تحتفظ بنقاط ادارية محضة او قلاع ولكنها عرضة لهجوم قوات الثوار المتواصل ــ وهنا كان البرتغاليون غالبا يجبرون على تموين قلاعهم المعزولة بالهليكوبتر لان الطرق الارضية العادية دائما مهددة بالخطر مثل الالغام والكمائن ، وعندما تفتقد السلطة او الادارة بسبب صعوبة وصول السكان اليها فان القلاع تهجر بالمرة وتتجمع الجيوش في منطقة اخرى ــ

ان هذا يعني ان فريليمو يمكنها ان تتجمع في هذه المناطق المفرغة وتؤسس ادارتها وتستعملها كنقطة انطلاق وارسال رجال الى المناطق المجاورة والتي لا تزال في ايدي البرتغاليين للبدء في اعمال الاضطرابات هناك ومرة ثانية تدعى مجموعات من المدنيين الفقراء والجهلة ويطلب منهم اختيار أمرين ، هل سيخبرون قائد القلعة على بعد بضعة اميال على طول النهر بان هناك غرباء ينوون القيام بثورة ، او انهم يحضرون اجتماعاتهم السرية كمرتدين ؟ وأحيانا كانوا يقومون بالامرين ــ ان صعوبة الحياة عند المجندين كانت احيانا تعطل الهدف الذي كانوا يأملون في الوصول اليه عندما كانوا يظهرون بشكل ممزق وقذر وذوي لحى بعد بقائهم في مخابئهم لعدة اسابيع مما يجعل الفلاحين يهربون منزعجين وظانين انهم أرواح تأتي من الغابة .

وبالنظر لهذه الصعوبات والى الفكرة ان الثورة في المدينة ستساعد على النصر السريع ، قال ادوار دولي ان المنظمين ينوون اثارة الثورة في موزمبيق ولكن الانتقام الذي جرى في مدينة ساحلية عندما قتل ٦٠٠ شخص بعد ان طلبت منهم السلطات للاعلان عن ظلاماتهم جعل الثوار غير قادرين على حماية المتعاطفين معهم ، وكان البوليس السري البرتغالي

المسمى بايد Pide على حذر بشكل خاص في المدن وغالبا كان يدفع للملونين ليخترقوا المنظمات السرية وكانت هناك ايضا صعوبات ناتجة عن توقف نظام المواصلات السري وقد ضاعت عدة سنوات للتجمع خارج البلاد ولكن لم يكن هناك من خيار آخر اذ ان ذلك اعطى الوقت للقيادة للنظر في الاخطاء السابقة ــ ان المخطط الجديد لاختراق الريف الموزمبيقي يحتوي على بعض النقاط الايجابية ــ ان الغابات الواسعة تحمي المدنيين والثوار على السواء وتجعل البرتغاليين يلجأون للدفاع ــ وان المجندين الجدد سوف يبقون في المدن ــ ان ذلك سيعني ايضا ان الثورة ستكون مبنية على الفلاحين بدلا من ان تكتشفها جماعة البروليتارية السود، وهي اقلية من السهل القضاء عليها ، ومع ان الاسلوب الاخير ربما يقصّر بدرجة كبيرة مدة الحرب اذا نجح فأن الطريقة الحالية ربما تكون اكثر فعالية في الآخر لان اي نظام في المستقبل للحكومة سيشمل الاكثرية السياسية وهي الفلاح الافريقي. ان الفلاحين عادة يكونون اكثر تحفظا وترددا من سكان المدن ولذا فانهم يشكلون العنصر التقدمي الذي سيجعلهم الموالين للثورة مع السنين بسبب الاحتكاك بها .

وبالنسبة للمقاتلين فان هذا يعني سنوات من التضحية . ان حياة العصابات ليست مريحة وبشكل خاص متعبة في الغابة الافريقية لانه لا يوجد هناك الا الاسعاف الضروري في القرى القريبة ــ ان سكان الغابات الذين يعتمدون عليهم هم ايضا مشغولون منذ بزوغ الشمس لغاية غيابها في اطعام انفسهم وعائلاتهم وتنظيف الاراضي وقطع الخشب واطعام حيواناتهم ــ ان الطرق الى السوق طويلة ولا توجد دكاكين قريبة ــ وتحت الادارة البرتغالية يوجد تجار يسافرون احيانا ويجلبون الاشياء الضرورية للقرى ولكن معظم الصفقات كانت تجري على بعد عدة اميال من المشي والى اقرب مدينة محصنة حيث يسكن شراءالحاجيات او مبادلتها

وحتى هذا الامر الملائم نوعا ما كان يختفي عندما ينسحب البرتغاليـون ويحل محلهم رجال الثورة . وفي نفس الوقت الذي تجري فيه العمليات الحربية هناك حاجة الى نظام تجاري ، ولكن مع من ؟ ان المشكلة تبدو احيانا بأنها لا تحل .

ان متوسط الفلاح الافريقي قد عاش في حالة من الفقر المدقع لعدة قرون كان فيها كحصان للعمل ، وان وراثته للملاريا ومرض النوم والتايفوئيد كان مضايقة بسيطة للسلطة وكان بالامكان استبداله من نبع العمال في الريف .

ولكن الثوار قد وعدوه بشيء افضل واعطوه الفرصة لتغطية ظلاماته بطريقة غير متوقعة ولبوا رغباته في الاشياء التي كان يحلم بها دون ان يصلها ــ وكان من مهام فريليمو هو ان الثورات لا تأتي حالا وان التحسين يأتي تدريجيا وان الحرب طويلة ــ وكانت الاكثرية ترغب في الانتظار بما في ذلك الذين لم يلتجئوا الى البرتغاليين وكانت الاكثرية تؤيد فريليمو في السنين الاولى التي لا ترحم من اعادة الاستيطان والضرب بالقنابل والتجويع والانتقام الدموي .

وعندما كان الانتقام يزيد من المقاومة ، كان البرتغاليـون يغمرون الغابات بمنشورات تلقى من الطائرات وتدعو الفلاحين الى التخلي عن القتال وتسليم سلاحهم مقابل ثمن العيش برغد مع اخوانهم البرتغاليين ــ وكانت هناك صورا تظهر تلطف الجيوش عند تسلمهم الرشاشات من عائلات الفلاحين في الغاب ، بينما كان افريقيون يلبسون لباسا حسنا ويبتسمون في مؤخرة الصورة وكان معظم القرويين يعرفون معنى ذلك ولهذا كانوا يسلمون هذه المنشورات الى فريليمو ــ ومع انهم جهلاء الا ان ذاكرتهم قوية ــ وكان اول منظم سياسي في شمال موزمبيق عمره ٣٧

عاما وهو علي توماس تشيدود الذي كان يعيش كرجل قبيلة ماكوندي تحت الادارة البرتغالية وبعدها اصبح طريدا بعد ان قرر الالتحاق بفريليمو •

وكان يتكلم بصراحة ويشير الى الآلام التي كانت في الايام الاولى الى انها صعوبات ومشاكل وقال « اننا كنا نتألم من صعوبات كبيرة ابان السيطرة البرتغالية ــ كانوا يضربوننا دون ان يكون هناك سببا لذلك • كانوا يأتون الى قرانا ويقولون للاهالي ان يقوموا بالزراعة دون مقابل واذا جعلونا نعمل لهم مقابل المال فانهم كانوا يدفعون لنا احيانا ما يعادل دولار ونصف في الشهر ولمدة ستة اشهر وكان هذا يعد عملا دون مقابل ــ كانت العملة تكتب على كرت وفي آخر كل شهر كان يخصم النصف كضرائب ، وكان علينا ان نبقى في منطقتنا ولم نكن نتمكن من الذهاب لغيرها الا كعمال بحسب عقود ــ وكنا نستلم اعاشة كل شهر من الدقيق وفول الصويا أو الحمص ولكن دون البسة ــ لم تتمكن عائلاتنا من مصاحبتنا وكنا دائما قلقين حول كيفية عيشهم انفسهم في غيابنا ــ لم تكن هناك مدارس حكومية •

واضاف تشيدود قائلا ، ولكن الارساليات كان لها بعض المدارس في الاقاليم وقد تركوها عندما بدأت الحرب ــ وكان اطفال السيميلادو (جماعة صغيرة تعادل ٢ ٪ من مجموع السكان الافريقيين الذين كانوا ينضمون الى الحياة البرتغالية الاجتماعية والنظام الثقافي كموظفين مدنيين) تمكنوا من دخول المدارس الحكومية في المدن ، حيث كان يذهب البيض اذا دفعوا قيمة معينة ولكن معظمنا لم يتمكن من ذلك •

وعندما بدأت الحرب وعلمت الحكومة بانك ربما ستشترك فيها ، كان يلقي عليك القبض وتعذب ، وقد مات البعض منا ــ ولغاية ذلك الوقت كان الشعب يكره الادارة بسبب ماضيها ــ واخيرا قررنا القتال

لان البرتغاليين كانوا يدمروننا ويقتلوننا ، وكان ذلك هو الشيء الوحيد الذي يمكن عمله •

وعندما بدأت اولا في عملية التنظيم ، لم يكن الشعب يعلم شيئا عن السياسة ــ ان الذي كانوا يعلمونه هو ان حياتهم كانت تعيسة كل الوقت •

وفي ذلك الوقت كانت عندي مشاكل كثيرة وكنت اتنقل فقط في الليل لان البرتغاليين كانوا يعرفون اسمي وكانوا أحيانا يفتشون عني وكانوا يسمونني باني من رجال العصابات • وفي النهار كنت ابقى مختبئا في الغاب وكان رجل في القرية يجلب لي الطعام وكنت اعيش غالبا على طعام الميلي / الذرة / والكسافا وجرذان الغابات ــ وكنت أعقد اجتماعات في الليل ، والذين كانوا يجتمعون معنا كانوا يذهبون الى قرى اخرى للتنظيم ــ وقد عملت هكذا لمدة سنة ونصف قبل ان تبدأ الحرب عام ١٩٦٤ وكنت اعيش دائما في الغابة • وكنت قد تعرفت على تشيدود سابقا وهو رجل هادىء وكان يجلس وايديه مطوية في آخر الصف عندما كنا نأكل ، وكان يظهر في كل قرية ندخلها في المرة الثانية ــ وكان نادرا ما يتكلم او يبتسم وقيل لي انه لم يتفوه الا ببعض الجمل منذ ان تجند ــ وكان المرء يتصور حياته بانها تشبه الشبح في الادغال وفي الليل الافريقي وخوف من المخبرين ومن القبض عليه وانتصاره في صيد جرذون للعشاء والبؤس التام بدون مأوى في شتاء ليس له نهاية وثياب لا تنشف والالحاح من اجل المساعدات الانسانية التي لم تأت وربما لن تأت ، والامور الاخرى التي تضغط على هذا الشبح مثل الاكل والنوم والركض والتفكير كل ذلك لوحده ــ له ايدي خشنة ومستديرة وبرنيطة من القش ونظارات كانت تستعملها جدته وكان دائما ينظفها بطرف قميصه ويفحصها لئلا تكون مكسورة او يوجد اي خراب في المعدن الذي يعلق على الاذن ــ ان حياة الغاب كانت صعبة

على النظارات بسبب فروع الاشجار المعلقة على طول الطريق التي كـانت احيانا تخطفها من لابسها ، فاذا كسرت او ضاعت في الغابة فمن المستحيل الاستعاضة عنها لان اعمالا دقيقة مثل عمـل نظارات غير موجودة فـي البراري •

ان وجه تشيدود لا يوجد عليه اي تعبير من وراء حواجبه . وكـان اسمر ويشبه الجلد وله اسنان صفراء وكان يأكل بدقة وبدون تسرع بيديه وكان لا يعرف القراءة وكان يبدو عليه بانه عاش بعـد اختبار صعب ولا توجد اية توقعات على وجهه وكان يأكـل طعامه ويلبس لباسه وكأنـه لا يخصه واذا تكلم كان يمرر سبابته على تقاسيم وجهه الذي عليـه آثـار الجروح ويحاول التكلم عن الظروف المفزعة التي كان يعمل بها والتي يبدو بانه يفكر بها •

الفصل السادس

تركنا المعسكر عند اول ضوء في صباح اليوم التالي ودخلنا حالا في صحراء باردة ومعتمة ، وكنا تتحسس طريقنا على طول طريق ضيق وعلى ضوء المصباح ـ وكان الركب نعسانا ولا يزال دافئا بعد خروجه من ثكناته . ومشى الرجال بشكل ميكانيكي وفي حفيف خفيف وصرير تحت الاشجار ، وكحيوانات صغيرة انطلقت مسرعة الى مخابئها ـ وكان من المبكر بعد استعمال راديو الترانزستور . وكان الصوت الوحيد المسموع من الركب هو الصوت المنطلق من خشخشة قماش الكاكي والاحذية المصنوعة من قماش الكانفاس على الطريق غير المنظور تقريبا ـ وكانت بعض الاحيان تصدر أصواتا عندما يدوس احدهم على طرف زحافة مختفية ولم يكن هناك وقت للفطور ولكن زجاجات الماء كانت ملآنةوكذلك الشاي جاهز في التيرموس ومع وجود حبوب الغلوكوز التي كانت معي فان ذلك يعطي نشاطا على المشي الطويل الى الامام ـ ولم اشأ ان اوقف الركب بدون سبب لان ذلك يعني التفتيش عن مكان آمين للاستراحة بينما هناك ٢٥ من رجال الثورة وسلسلة من الحاملات والمدنيين الذين يلتحقون بنا وهم في مهام خاصة تتعلق بهم وسيطلب منهم الانتظار بينما الركب يتناول الشاي الذي يعطيه الحياة .

وقد لاحظت في سفر سابق والاحظ الآن انه عندما يأتي رجال جدد وبعد فترة الاستراحة تكون الساعات التالية متعبة جدا لان العضلات الضعيفة ستتحمل ضغطا آخر ولا يبدو ان هناك اوكسجين كافيا في الرئة ـ ففي هذه الفترة تنتفخ الايدي وتحمر الاوجه البيضاء ويبدأ الذباب

يعض بضراوة . وعندها يحن المرء الى العالم الذي فيه مشارب مثلجة وجنائن باردة ـ والغريب انه لا يجوع احد بالرغم من عدم تناول طعام الافطار .

ان استراحة لمدة عشر دقائق ستنفس الروح المتعبة وبعدها يمكن للرجل ان يمشي لعدة ساعات ثم تبدو الارجل وكأنها منفصلة عن الجسم، ويبدو ان قدما موضوعة امام الاخرى وكأنها لرجل آخر .

ومع ان الشمس اصبحت احمى فان الجسم يتحملها افضل ويفكر المرء في كل شيء ما عدا الرحيل ـ ان هذا هو احد الاسباب التي لا يرغب رجال القتال في ايقاف الركب وهو سائر ـ

ان هدفنا الاخير هو القيادة العسكرية ومعسكر للتدريب في الداخل، ولكنهم ارادوا اولا ان ارى مزروعات الغذاء التي لفريليمو وهناك نلتقي بمارسيلينو وميجيغو اللذين اتخذا طريقا آخر للتفتيش على مقر عيادة طبية في الغاب .

بالاضافة الى الامور القتالية ، فان المقاتل عليه ان يقوم باعمال التنظيف وزراعة الارض التي تخصص لحاجات فريليمو وهو مشروع يهدف الى اغاثة الفلاح بقدر الامكان ومساعدته لاطعام رجال العصابات بينما هم متحركون ـ ومهما كان الفلاحون راضين عن ذلك ، الا انه كان عبئا على دخل الفلاح الضئيل .

مشينا لمدة ست ساعات في ذلك الصباح ومررنا في ارض احرقها القرويون من اجل تحسين التربة لزراعتها مرة ثانية . ان هذه عادة معروفة في افريقيا واذا اجريت باعتناء دون تدمير العناصر الحيوية في الاسفل فانها تزيد من خصوبة الارض ..

وبينما كان الركب متجها بثبات تجاه الانهار والتلال الى الامام،كانت تشتم رائحة ثمار المانجو وما يسقط من الغاب في الوديان ــ وكان الضباب فوق الوديان وكان بالامكان سماع صوت الينابيع في الصباح الباكر ــ وعند ظهور الشمس كان شجر الوكست يشير الى يوم آخر حار ورطب •

كان ركبنا طويلا بقيادة نائب القائد العام ميجيغو ــ بدأ الحراس في الامام والخلف يعرقون من ثقل الرشاشات التي يحملونها ــ وبدأ المدنيون المتعبون والنساء الموشحات (بالخنفاس) يظهرون على طول الطريق من قرى غير منظورة على الارض وانتشروا وراء الركب يصرخون « ما شاء الله » او باللغة السواحيلي (جامبور) وكان ذلك اليوم يوم سوء وكان المدنيون يعتمدون على رجال العصابات لحمايتهم لعبور طريق فيه كمائن برتغالية ليست بعيدة منهم •

مشينا بثبات في الوديان وكانت الشمس تخترق قمصاننا وتعمل حلقات في ظهورنا وكانت رائحة السمك المحفوظ والذي وضعه المدنيون في اوراق الموز وفي سلاتهم تنبعث في الانف واردت ان اكم نفسي ــ كان الذباب يسكر انوفنا واعيننا وكنا نقطع اوراقا من الشجر لطرد الذباب بها ــ مشينا بسكوت وبنغمة واحدة وكان العرق يصب في اعيننا وافواهنا ــ ومن المعروف ان اجسام السود تلمع لان الزيت المحفوظ في تلك الاجسام يقوم بتزييت الجسم في الحرارة القاسية وهذا هو السبب ان السود يبدون احيانا اصغر مما هم في الواقع ــ وقد تأسفت كثيرا عندما اضعت زيت الشمس الذي كان معي والمخلوط بين حاجياتي الاخرى ــ وقد تحجرت رجلي وحتى ساعة يدي اصبحت عبئا علي ــ وكان لبدلتي رائحة منبعثة من قماش الكاكي المليء بالعرق والتعفن والتي كانت نظيفة قبل بضعة ساعات ــ ربطت ساعتي بحزامي وشعرت اني اصبحت في حالة افضل ولكني لم اتمكن من مقاومة طلب الراحة ــ لقد مشينا حوالي ساعتين حتى

بدأت رجلي ترتجفان •

صرخت ديوليندا بكلمة « كانادا » البرتغالية فتحرك الركب تجاه حوش بارد وجلسنا على شجر عال له عروق تشبه الكراسي بينما انتشر الحرس في دائرة واسعة ضمن ربع ميل وعندما يجلس رجال العصابات للراحة او قرب ينابيع ماء على طول الطريق يضعون حرسا ليرقب الدوريات البرتغالية المترجلة ولا يقفون ابدا في ارض مفتوحة ـ ومهما تكن المنطقة آمنة فان اسلحتهم تبقى في احضانهم او الى جانبهم بينما تبقى الاسلحة الاوتوماتيكية على مفتاح نقطة الامان لمنع الحوادث ـ ولاحظت انهم لا يلعبون بتاتا باسلحتهم او يسحبون مخزن الذخيرة او يطلقون النار على صيد في الطريق •

وفي حالة الكمين فاني اعتمد كلية عليهم لاني كنت بدون سلاح وأشعر بالحر والتعب وقد أعطام ميجيغو أوامر لحماية « السنيورة » أي السيدة بارواحهم بينما كانت « السنيورة » ذات الوجه الاحمر وتلبس الكاكي القذر وتأكل الغلوكوز وتكش الذباب عن وجهها • وكان هناك وقت لشرب الشاي مع بعض البسكويت الذي خبأته ديوليندا لي، وحديث مع فرناندو راؤول الامين الاداري لدائرة دفاع فريليمو وعمره ٢٩ عاما (والذي تزوج فيما بعد من ديوليندا) ـ وكان عمله يقوده احيانا الى اقليمي كابو ديلغادو ونياسا وكان دائما يحمل مدفع رشاش من طراز مارسيب وراديو ترانزيستور ـ وكان مساعده الشاب النحيل يتبع خطواته ويضع محفظة من الجلد على رأسه • ان هذه الطريقة في التنقل محببة بين الافريقيين الذين تكون ايديهم عادة تحمل جرادل ماء واطفال ويكونون قادرين على حمل احمال ثقيلة على رؤوسهم لمسافة عدة اميال بدون اي حادث سيء •

وقال لي راؤول من الناحية العسكرية كيف تسكنت فريليمو من

دراسة الاعماق والطبيعة والاساليب الضرورية في الظروف القائمـة فـي موزمبيق ــ ان القيام بحركة تحررية من هذا النوع يجب عليك أولا ان تقرر اذا كانت ستشتمل على رجـال عصابات او امور حربية تقليديـة هجومية او دفاعية وهل ستكون طويلة ام قصيرة وكم من المراحل يحتمل ان تكون هناك •

ان هذا التخطيط مهم وهـو يعني مستوى المنجزات العسكريـة والادارية الذي من المحتمل ان تصل اليه الحركة في وقت معين والتنسيق الموجود ضمنا ــ يجب ان لا يكون هناك فراغ بل يجب ان يندفع الثوار الى الامام بينما ينسحب البرتغاليون ويجب توقع العراقيل ليس فقط في الاوضاع العسكرية بل في مجالات اخرى كتلك التـي تشمل السكـان المدنيين ــ وبالنهاية فان الاسلوب يتحول من حرب عصابات الـى حرب تقليدية • نحن نعلم انه يجب علينا بناء البلد بينما تتقدم ، واذا اهملنا هذا فأننا نخلق فوضى بدلا من التحرير عندما ينتهي كل شيء •

وفي كل خطوة يجب ان نجعل الشعب يفهم سياسة الحزب ولماذا نحن نقوم بما نقوم به في وضع معين ولماذا حربنا طويلة الاجل •

نحن نعلم ان كل منطقة لها عوايدها الخاصة ويجب ان نأخذ ذلـك دائما بعين الاعتبار ــ ان هناك دائما نقصا في الطعام والملبس ، وان شعبنا يضرب بالقنابل وتطلق عليه النار من بنادق الاعداء او يجبر على ترك قراه، ان العديد من هؤلاء الناس قد اضاعوا كل شيء حتى الملبس القليل الذي كان لديهم قبل الحرب ، وان ما تبقى للآخرين قد ضاع عنـدما تتحسن الحرب من الناحية العسكرية ، ان كل منطقة نستولي عليها تعني انها كانت أرضا لتعويض ما خسروه ــ وكمنظمة فان ذلك من اهم واجباتنا •

وقال راؤول انهم في الوقت الحاضر يحصلون على المساعدات مـن

الخارج اكثر مما يحصلون عليها بحسب نتائج عملهم ، وبالرغم من الكميات الضخمة من المعدات والاكل والالبسة المستولى عليها من جنود الحكومة.

وهناك مسألة التزويـدات العسكرية للمقاتلين ، كـل شيء يجب احضاره من الخارج على رؤوسنا وعلينا ان نخطط لهذه الطريـق بحسب موقعنا الجغرافي ، ان معظم البلدان المجاورة غير صديقة لنا وهذا يعني بأن مهمتنا صعبة جدا ـ وحتى الآن فان نقل صندوق من الذخيرة الى اقليـم نياسا من الحدود مثلا يأخذ شهرا لان المسافات بعيدة جدا . وحيـث لا يمكننا الركوب علينـا ان نمشي وعلى الطريق فان المقاتلـين والناقلـين يتصارعون مع الجوع والعطش والمرض . ومنذ عام ١٩٦٤ ، انتشر الحزب في اقليمـين آخرين بالاضافـة الى الثـلاث الثـائرة اليـوم . اقليـم موزمبيق وهو اسم البلد نفسه والثانية زامبيريا ، ولكن مشكلة الامـداد تبدو صعبة في ذلك الوقت وقد انسحبت قوات فريليمو ـ وكان علينا ان نقطع مسافات طويلة جدا عن طريـق نياسا للوصول الى اقليم موزمبيق ، وان موقف حكومة مالاوي قد اوقف النشاطات في زمبيريا ـ

وقد القي القبض علي وعلى رجال آخرين من فريليمو في ملاوي في ذلك العام بينما كانوا يحملون ذخائر داخل البلاد لنقلها الى زامبيريا وتيتي، وهو اقليم آخر هام ـ لقد فتشونا واخذوا امتعتنا وامضينا شهرين فـي السجن ـ لقد اوضحنا الاسباب في عبورنا البلاد وان السيد باندا (رئيس ملاوي) اطلق سراحنا اخيرا مع ان البرتغاليين دفعوا مبالغ كبيرة لتسليمنا لهم ـ ولكن حكومته احتفظت باسلحتنا وذخيرتنا وكنا نعلم ان الطريـق سيبقى مقفولا امامنا .

وبعد ذلك سحبت فريليمو باقي رجالها وعززت كابو ديلغادو ونياسا وبعدها امتدت الحرب الى تيتي ، وهو موقع سد كابورا باشا ـ ان هذا

السد الذي يكلف ٣٠٠ مليون دولار لبنائه سيكون اكبر مشروع كهربائي في افريقيا ، وان الزراعة والتعدين قربه ستكون واسعة • وحسب احصاءات صحيفة افريقية جنوبية فان البرتغاليين يأملون في توطين مليون مهاجر ابيض من البلد الام حول هذا السد الذي سيولد طاقة كافية في المرحلة الاولى لتمتد الى ٨٠٠ ميل في جنوبي افريقيا وعند اتمام السد سيكون اكبر بـ ٧٠ ٪ من سد اسوان المصري وضعفي سد كاريبا بين زامبيا وجنوب روديسيا — وبوجود طاقة مثل هذه تحت تصرف البرتغال فانها مصممة على الاحتفاظ بموزمبيق لانها تتوقع تغيير الوجه الاقتصادي لاقليم تيتي والمستعمرة كلها — وتتوقع ايضا مساعدة المهاجرين الفلاحين من البلد الام لطرد العصابات التي تشن غاراتها •

اما الافريقيون فيتوقعون تغييرا طفيفا في مستوى معيشتهم نتيجة السد ، وقد طلب من الفلاحين السود القريبين من السد ان يجدوا محلا آخر •

وتدعي فريليمو ان النظام الدفاعي البرتغالي في تيتي قد تعزز باضافة عدة فرق من جنوب افريقيا الذين اشتبكوا في السابق مع الثوار قرب السد — اننا نعتبر ان هذا التطور محتم لان جنوب افريقيا ستشتري الكثير من الطاقة في كابوراباشا • ان الثوار وبعض الدول الافريقية ينظرون الى السد بانه محاولة جديدة لفرض السيطرة البيضاء في افريقيا الجنوبية بطريقة مباشرة او غير مباشرة — ان الصناعات الجديدة التي ستنشأ نتيجة المشروع سيسيطر عليها البيض او حكومات التفرقة العنصرية التي يؤيدونها وبالاضافة الى مليون مهاجر برتغالي بشكل فلاحين مدنيين ولكنهم وحدات من الميليشيا — سيعني ذلك بكل تأكيد وجع راس جديد لحركة التحرير — انهم اي الثوار يتساءلون عما اذا كان المستوطنون

الجدد ، ومعظمهم من الفقراء في بلادهم ، قد اخبروا بما يجب ان يتوقعوا عندما يحضرون أنفسهم للسفر الى حيـاتهم الجديدة في الخارج ـ انهم يعلمون ماذا سيقال للمستوطنين من قبل حكومتهم عندما يهاجم هؤلاء ـ ان المهاجمين هم صينيون او شيوعيون او عصابات مـن الغاب او الثلاثة معـا .

الفصل السابع

اندفعنا الى الامام بدون حوادث وعند الظهر كنا قد دخلنا منطقة فريليمو التي تنتج الاغذية بعد صعود شاق الى التلال التي تلت الطريق الناشف بين الصخور الجبلية ومجاريها الى قرية صغيرة ـ ان المقاتلين كانوا ايضا تعبين عندما جلسنا تتمعن في مدرسة القرية المبنية من القش ـ كان هناك لوح اسود صغير عليه بقايا درس لغة برتغالية وبنكان من الخشب وطاولة صغيرة للمعلم في الوسط ـ وقام هنز بمناداة الرجال الذين تجمعوا وملأوا الكنتين من جرار نساء الفلاحين المليئة بما احضرن بها ـ وقد حمل الينا طفل في الشهر العاشر من العمر لنراه وهو ابن مقاتل قتل مؤخرا في الجنوب • وكانت امه ما دون العشرين من العمر وقد البسته امه رداء ابيض مطويا ومغسولا ومكويا وقد صاح بفزع عندما رآني بوجهي الابيض الذي رآه لاول مرة وكان صبي صغيرا يبصبص من بعض الفتحات في السقف الواطي• منذ وصولنا طرح السؤال الذي كان يشغل ذهنه؛ هل انا جندي برتغالي؛ واذا كان الامر كذلك فاين تم القبض علي ـ فضحك الرجال وبدت على الصبي الحيرة وكان يحوم حولنا على مسافة ما عندما تناولنا طعام الغذاء من الشورباء والرز وكان ينظر الي بحيرة ـ ويبدو انه كان غير مقتنع باني امرأة تزور البلاد وقرينته لاني لم اكن اشبه الامرأة التي يعرفها فقد كنت كجندي برتغالي ربما ألقي عليه القبض واني ربما أنقض عليه في اللحظة التي يدير الثوار ظهورهم ـ واخيرا توجه الى كوخه ولم أعد أراه •

وصل مارسيلينو وميجيغو مع حرس ومعهما زهرة ملونة كبيرة وجدوها على الطريق وقالا انهما سمعا من الميليشيا على الطريق بان فرقتنا

قد وصلت الى المعسكر وان الزهرة هي مكافأة للسفر السريع مع توقف واحد فقط ــ لقد سررت من الزهرة واحتفظت بها .

وقد أخليت عدة اكواخ من أجل استعمالنا وبقيت فيها طيلة بعد الظهر وكان الهواء ثقيلا مع وجود الذباب والجراد . وعندما بدأنا التحرك للمزروعات كان الوقت في ساعة متأخرة من بعد الظهر وكانت المسافة ساعة . وهب نسيم خفيف ولطيف في الغابة ــ وكان ميجيغو في القيادة ومارسالينو في الخلف وبعده ديوليندا وكورنيليو وانا وبقية الركب ــ وخلافا لمعظم المقاتلين مشى ميجيغو وكأنه قادم الآن من حقل للحفر وبخطوات واسعة وكانت يده اليسرى تتماوج وراءه بشكل قوس وكان بامكانه مشي ٢٠ ميل في هذه الخطوات بدون كلل او توقف . وبينما معظم الرجال كانوا يحملون بنادقهم على ظهورهم مع امتعتهم، كان القائديحتفظ ببندقيته القديمة الى جانبه وعلى طول يده . ووضع القطن في بندقيته لمنع تسرب الرمل اليها ــ وكان ميجيغو طويلا ونحيلا واسنانه على مستوى واحد وعندما كان ميجيغو يتكلم بلغة الماكوندي كان يبدي تفوقا وكان يشير الى الحدود التي كان يقصدها وكانت لهجة ميجيغو تختلف عندما كان يتكلم باللغة البرتغالية .

عبرنا سلسلة جبال عالية قبل غياب الشمس حيث كان الطقس باردا وكان العديد من الشجر الذي يبلغ مئات السنين من العمر يخيم على المنظر في غياب الشمس ــ قال كورنيليو الشمس تنام . وبينما كان الركب يمشي فرادا على حافة السلسلة والضوء يخف ــ أشار ميجيغو الى واد بينناوقال مزارع فريليمو ــ رز موزمبيق الحلو ــ نزلنا طريقا منحدرا على الوادي وجلسنا القرفصاء بينما كان يشرح لنا بان المقاتلين والمتطوعين المدنيين كانوا يعملون لاصلاح تلك الارض من الغابة ــ واشار بيده الى الحدود البعيدة ــ هناك الذرة والكسافا والرز الاخضر الصغير ينبت من الارض

السوداء وكان هناك بعض الدخان يتصاعد على مسافة حيث كان بعض شجر الغاب يحرق لاصلاح أراض آخرى لا تنتج مزروعات في العام المقبل، الا اذا احرقت •

قال ميجيغو قبل ان تبدأ فريليمو الحرب ، كان الشعب دائما الخاسر في مساومته مع البرتغاليين — كانت جميع المخازن تخص المستعمرين وعندما بدأت الثورة وضعوا جيوشا في الامكنة التي فيها المخازن وبعد ان هرب الافريقيون كانوا يتبادلون حبوبهم على طول نهر روفوفا في نقط المقايضة التي اقامتها الحركة • انهم في حال افضل الآن ويمكنهم انتاج اشياء اكثر للتجارة ما لم تضرب مزروعاتهم بالقنابل — ولكن تزويدهم بالطعام لنا يلقي عبئا آخر عليهم وهذا ما نود تخفيفه بقدر المستطاع •

وكان ميجيغو وباقي المقاتلين فخورين بحقول فريليمو وأرادوا ان ارى كل حبة على نصف قطر طوله ميلان — انها كانت مجازفة جديدة وقد أبدوا اهتماما بها — دخلنا الحقول لغاية حلول الظلام وكنا نقابل بين كل صف من الرز والآخر ثم عدنا الى المعسكر بعد استعمال المصابيح الكهربائية وكان العشي قد سخن الماء للحماموكان الطعام يغلي في الاوعية•

لقد اعجبت بالعشي الذي كان معنا منذ اول يوم دخلت فيه موزمبيق وكان يحمل معه امتعته مع اوعية الطبخ لكل معسكر جديد وكان هناك جماعة من الحمالة مع اكياس الرز والميلي عندما يتخذ العشي مكانه — وكان عليه احيانا ان ينظم مطبخه بالليل وفي العراء بعد تحضير ثلاثةاحجار كبيرة حتى توقد النار بينها ثم يتوغل في الغابة لاحضار الخشب — وكان هناك السؤال الدائم الذي تسأله ربات البيوت ، ماذا سنأكل اليوم ؟ انه لم يكن متأكدا من الاشياء التي معه والتي سيستعملها في كل وقفة واذا كان ينقصه الملح او السكر لان ذلك يعني قطع مسافة ٥٠ ميل الى مناطق التزويد —

واذا التقى بنا الصيادون في القرية الجديدة فهذا يعني ان صيـدا جديدا سيكون جاهزا للطعام ـ ولكنه أحيانا يكون عنده فقط كيس الرز الذي يعطينا منه طعاما مناسبا ـ بعد الاكل كان ينظف الاوعية بالرمل ثم يغسلها بصابون مذاب في جردل ماء ـ وكانت فوط الصحون تغسل كل مساء بعد العشاء وتنشر على الشجر لتنشف ـ لم يكن عندنا اية مشكلة في معدنـا من وجبات المعسكر ـ بل كان عندنا تلبك في الامعاء من اشياء اخرى ومع ذلك فان المقاتلين والمدنيين عندهـم على ما يظهر مناعـة ضد الميكروبات المحلية ـ وكنت متأكـدة بأن مياه الشرب غير المكررة والموجودة في آبار مفتوحة كانت ملوثة وكان موسم الشتاء لم يبدأ بعد ، وكان الرجال ينزلون الى اعماق الحفر لتعبئة الكنتين من الماء الذي تبقى ـ كانت المياه معتمـة ولكنا شربناها على كل حال خوفا من النشاف ابان المشي ـ لقد تعلمـت ان اناقة الشخص تختفي بسرعة في الغابة ـ وحيث اننا لم نتمكن من غلي الماء على الطريق للشرب ، فقد كنت اذوب حبوب الهالازون في الماء التـي تخصني لتحاشي الامراض ـ وكان الرجال يرفضون استعمال الحبوب لان ما عندي منها هو قليل ـ وكانوا يقولون لي نحن معتادون اما انت فلا ـ على كل حال كانت المياه انظف كلما مشينا متسلقين الجبال .

واصل ميجيغو الحديث ابان العشاء في اكواخ القش حيث كـان احدهم يعلق مصباحا كهربائيا في السقف وكنا نصب طعـام « الميلي » في صحوننا بعد ان نفحصها من النمل والحشرات الطائرة ـ لم تكن هنـاك صحون او شوك كفاية وكان هناك تجمع كبير لغسل الصحون في جرادل عندما تأتي وجبات جديدة ـ وكانت ديوليندا تطوف بمصباحها الكهربائي وتضيئه في وسط كل اناء عندما يوضع على الطاولة ـ كانت هناك عجـة وشوربا ولحمة ومحتويات علب لحمة بقر كان العشي قد فتحهـا لتنويع الوجبة ـ وكان يقف فوق رؤوسنا متوقعا ان يسمع تعليقاتنا عـلى هذه

الاضافة الجديدة من لحم العلب .

وكالعادة لم اتمكن من اكل كل الكميات حسب ما كانوا يتوقعون مني وكان ميجيغو يشك في ان شهيتي الضعيفة ربما تكون نتيجة اكلة « الميلي » التي تؤكل باليد ـ وكان يعلن فجأة « ان الطعام افضل هكذا لانه يستمد قوة من الدماء التي في الاسفل » وكان يرقب تعليقاتي بينما اردت أنا ان أضحك ثم قلت ان الناس يأكلون سندويتشات بايديهم في الخارج ولذلك فاني معتادة على هذه العادة ـ ان الشيء الذي لم اتمكن من فهمه هو كيف ان الدم نقل قوته عن طريق الجلد الى « الميلي » ـ فنظر الي لمدة طويلة وعلق قائلا اني اصعّب الحياة بدون ضرورة، ثم صب مغرفة اخرى من الشوربا في صحني ثم وضع كمية كبيرة من الميلي في الصحن وقال كليها لانك ستتسلقين الجبل في الغد .

كان ميجيغو قائدا في كابو ديلغادو لمدة اربع سنوات بعد ان تدرب عسكريا في تانزانيا وبعدها تدرب على العمليات التكتيكية والاستراتيجية في روسيا وكان يتكلم بصراحة عن فريليمو ومشاكلها وان الشيء الرئيسي الذي كان يهمه هو القطاع الثالث من كابو ديلغادو الذي كان لا يزال بأيدي البرتغاليين ـ وكان الاقليم مقسما الى ثلاث قطاعات من أجل العمليات الحربية وان القطاع الثالث يقع الى الجنوب البعيد ـ وكان الافريقيون هناك لا يزالون تحت مراقبة البرتغاليين الشديدة وكانوا محصورين في قرى صغيرة استراتيجية بالقرب من القلاع وكانوا في سبيل التعبئة .

وقال ميجيغو هذا العام حررنا اكثر من ٣٠٠ مدني من هذه القرى التي كانت تستعمل للعمل داخل المعسكرات والطرق المجاورة ثم قال ولكن احيانا كان شعبنا يهرب عندما يرى مقاتلينا لان مظهرهم كان بريّا ـ لا يوجد عندنا البسة كافية لرجالنا وكان علينا ان نعتمد على بلدان اخرى

وعلى ما يمكنا الاستيلاء عليه من الحصون ــ وبعض الاحيان كان مقاتلونا نصف عراة وعندما كانوا يهجمون على المعسكرات كان السكان المدنيون الذين يعيشون داخل الاسلاك الشائكة يعتقدون اننا حقيقة عصابات كما قال لهم البرتغاليون ــ ان هذه القرى معزولة جدا وجاهلة •

وقدر ميجيغو ان نصف محاربي فريليمو لا اكثر كان عندهم بدلات ولكن هذا الوضع كان يتحسن كلما اجرينا هجوما ناجحا على معسكرات الجيش البرتغالي •

وقال ان الحركة لا تشجع المتطوعين من الخارج ــ لانه لم يكن هناك نقص في المجندين الافريقيين في الاقليم وكلما قاتلنا كلما انضم الينا الناس ــ ان الشيء الذي كانوا بحاجة له هو البدلات والاسلحة •

ان هذه الحرب هي من اجل الجماهير ويجب علينا ان نخوضها لوحدنا ــ ان الشخص القادم من الخارج لا يتمكن من التغلب على صعوباتنا ويعيش كما نعيش سنة بعد سنة ــ هل سيفهم لماذا نحن نقاتل ؟ هل يمكنه ان يقوم بالتضحيات التي يجب ان نقوم بها كل يوم من حياتنا كمقاتلين ؟ ربما في يوم ما الرجل الآتي من الخارج سيكتفي بتنازلات سياسية مع البرتغاليين او بالتقسيم او بحكم ذاتي محدود • ان ذلك سيكون جريمة ضد الجماهير ــ اننا نريد ماركيس ــ وانا بحاجة الى اشياء كثيرة ولكنا تعلمنا كيف نعيش ــ يمكننا ان ننقل ٩٠ طن من المعدات الى البلاد على ظهورنا في يوم واحد ــ ان الذي ينقصنا هو المعدات نفسها ــ وقال ان النقص في الادوية كان احيانا حادا خاصة بعد تصعيد القتال في السنة السابقة • وكان رجال الاسعافات الاولى يتحركون مع المقاتلين بدون ان تكون عندهم كميات من الانتيبيوتيك او الانتيتيتانوس او التوكسويد او التطعيمات ضدالغرغرينا او ضد عضات الحيات ــ وكانت المطهرات والعصبات محدودة ولم تكن

هناك اية وسائل لنقل الدم وان عمليات بسيطة جدا يمكن اجراؤهـا في الغاب ــ فاذا كان مقاتل ينزف دما بغزارة فان رفاقه كانوا يحاولون ايقاف الدم ثم ينقلوه على أذرعهم عـادة لمسافة ٥٠ ميل الى الغاب او الى محطة اسعاف ــ هناك تجد رباطات ولـكن دون اطباء وممرضات • ان هـذا النقص في الادوية قد سبب خسارة العشرات مـن ارواح المقاتلين ــ ان بعضنا كان ينزف دما حتى يموت او يخسر يدا او رجلا بسبب الغرغرينـا (الالتهاب) •

ان معظم محطات الاسعاف هذه في الغاب كانت تضرب بالقنابل ــ ان فريليمو تبني مستشفاها الخاص على طول الحدود ، ولكن نقل الاصابة الى مسافات بعيدة داخل البلد ربما يأخذ اسبوعـا اذا تمكن المصاب ان يعيش خلال الرحلة •

وبالرغم من الاخطار لنرى الى اي درجة يثق المقاتلون بانفسهم ــ احدهم وعمره ٢٩ سنة ، اغستينو كوسمي المندوب السياسي والعسكري لكابو ديلغادو ، له امرأة وطفلين في الداخل وكان طيلة الثلاث سنـوات الماضية يعمل في المنطقة المتنازع عليها اي القطاع الثالث حيث يجند ويقاتل ويصف حياته بانها حسنـة • قال كوسمي حيث ان هذه المنطقة تطوقهـا الدوريات بكثرة فاني انام في اي مكان عند غياب الشمس ــ اني احضّر شنطتي وانام في الغابة ــ لا يوجد عندنا وقت للبقاء في البيوت ــ اننـا نأكل كل ما يأتي امامنا مثل الكسافا من المدنيين او جذور الموز أو الموز والفواكه التي تعيش على حافة النهر ــ اني اكتفي بهذا الطعام واني اضعف فقط اذا مرضت ــ واذا كان هناك وقت ، فانا نصطاد سمكـا او جرذان غابات ، واذا كـان هناك غزلان فان المدنيين يصطادونهـا لنا بالنبال لان صوت طلقات النار سيجذب الانتباه بشكل كبير •

توجد ست قلاع برتغالية في هذا القطاع واكبرها ماكـوميا ــ ولا

يزال الكثير من الاعمال السياسية هناك لان المدنيين هم تحت السيطرة الشديدة ولا يمكنهم بسهولة ان يصغوا الى افكارنا ولا يمكنك ان تعتمد على اي كوخ من اجل الايواء • « اني اتحرك بشكل دائم في بعثات مختلفة ولكني لا اتمكن من تقدير المسافات التي امشيها بالاميال او الكيلومترات لانه لا يوجد وسيلة للقياس ــ اننا نقدر المسافات بالساعات وعلى اساس ١٥ دقيقة لكل ميل اذا كان الزحف بطيئا جدا • وعادة لا نعد الاميال التي قطعناها بل نمشي حتى نصل الى هدفنا ان معدلي هو ١٠ اميال كل يوم ولكني اتذكر اننا سافرنا لمدة ٤٨ ساعة دون توقف للطعام ــ شربنا الماء من كنتيننا بينما كنا مسافرين ويجب ان نكون قد قطعنا ١٩٢ ميلا دون توقف في ذلك الوقت لاننا اردنا ان نصل قيادتنا بدون تأخير ومع ذلك كان الزحف بطيئا بحسب مستوياتنا •

ووصف هجوما على قلعة ناسوباكو والذي اشترك فيه، والذي أسماه بانه هجوم نموذجي ــ قتل ست جنود برتغاليين وجرح واحد وتم الاستيلاء على كميات كبيرة من الاسلحة والذخائر •

وصلنا القلعة في نصف الليل وبقينا في الخارج في حالة من التأهب وكان عددنا ١٨٠ كلهم مقاتلون وكنا نعرف مخطط القلعة قبل الدخول اليها ــ وعادة لا اشعر بخوف اثناء الغارة لاني اكون متنبها جدا في ذلك الوقت ــ ان الرجل يخاف اذا كانت دوريته رديئة ولكن الثقة تكون كبيرة اذا كان الهجوم مدبرا جيدا •

انتظرنا لغاية الساعة ٤،٤٥ صباحا ثم بدأنا القصف من البازوكا ولم تكن عندنا مدافع كبيرة او مدافع الهاون • وفي اول هجوم بطلقات البازوكا اندفعنا الى الحصن وطلبنا منهم التسليم ، الا انهم هربوا وبالتالي وجدنا اصاباتهم وهي ست موتى وواحد جريح، اخذناه اسيرا مع برتغاليين آخرين

وجندي افريقي كان يقاتل الى جانبهم ومدفع بازوكا ومدفع هاون وراديو ترانزيستور و ١٥ بندقية بلجيكية و ١٠ بنادق موزر ومدفع رشاش خفيف، وكميات لا تحصى من الاطعمة والالبسة ــ وقد أخذنا أيضا التخوت ــ انهم لم يقاوموا وان جميع العملية بما في ذلك تحضير الاسرى والجرحى للنقل استغرق ساعة واحدة ــ كانت القلعة في ايدينا وسألت اذا كان المقاتلون يفضلون نوعا خاصا من الاسلحة فقال ان الافضل من اجل الهجوم هو البنادق الاوتوماتيكية والرشاشات الخفيفة ولكن في الحرب فان جميع المدافع جيدة خاصة بالنسبة لنا لاننا نعتمد على البلدان الاجنبية في سلاحنا ــ يجب عليك ان تعمل بما يعطى لك واذا رأيت مقاتلا يرغب في انتخاب مدفعه، فانك تبدأ في الظن بانه يخاف القتال ــ لقد تعلمنا استعمال جميع الانواع ولا يمكننا دائما الحصول على الافضل ، انا جميعا نعرف ذلك .

وقال كوسمي ان ما يهم المقاتلين هو الملاريا لانه لا يوجد مكان ملائم للاستشفاء ، لاننا نكون احيانا زاحفين بدون طعام اذا كنا مسرعين ــ ان المقاتل الذي يصاب بالملاريا يبدأ يرتجف من البرد او يعرق بكثرة ولكنه لا يتمكن من ترك الركب المسافر اذا كان في بعثة الى الداخل حيث تكون الدوريات البرتغالية غزيرة ــ فقط في المناطق التي تكون فيها عمليات المقاتلين غزيرة حيث لا يتمكن الاعداء من ترك قلاعهم وهم مشاة يمكن للمقاتل ان يقف في كوخ بالقرية للاستشفاء ــ يوجد نقص كبير في الادوية المضادة للملاريا في موزمبيق وان معظم المقاتلين والمدنيين بما في ذلك الاطفال يتألمون من تكرار المرض الذي لا يمكن منعه او معالجته طبيا ــ واذا شعر قروي بنوع من الارتعاش فان التشخيص المعروف هو الملاريا وانه يواجه هجوم المرض هذا ــ ان الحماية الوحيدة ضده نوعا ما هي استعمال ناموسيات ضد الناموس ولا يمكن للكثيرين من الحصول عليها

او شرائها •

كان معي كمية من الحبوب المضادة للملاريا تسمى دارابريم والتي كنت اتناولها كـل اسبوع وكانت ذات فائدة ، وكذلـك ماسورة تمنع الناموس تقاسمتها مع ديوليندا وآخرين لانه لم تكن معنا ناموسيـات ، وان هذه الكريمات ساعدتنا على النـوم قبل نفاذها ــ كان معظم الرجال يستريحون تحت الاشجار وكنت دائما اسمعهم يضربون الناموس عـلى اجسامهم ويئنون •

ومع ذلك فان غياب معظم الضروريات يعقد الامور ولكن لا يعطل بشكل جاد حياة المقاتلين في الغاب • ان الامور المريحة سرعان مـا كانت تنتسى اذا كان المقاتل قد عاش في القرية ــ ان الدخان كان نادرا وقـد ساهمت كوريا الشمالية بنوع يسمى وير كان يوزع واحدا واحدا على المقاتلين الذين يكونون متواجدين عند وصول الامدادات منه ــ ان البيرة والمشروبات الاخرى هي جزء من عالم آخر وان الترفيه الوحيد هو مـاء صاف وبارد والذي يختلف عن الماء الملون المأخوذ من المستنقعات وعنـد ترك الغاب يحصل العجب والابتهاج عند رؤية الماء ينزل من حنفيات يصب في اوعية من الكتان المنشى ويوضع على الطاولة التي عليها كل الامور التي يتوقعها الانسان من المأكولات : الزبدة وعلب الكاكاو واللحم الطـازج والطعام والفواكه والخضراوات المجلوبة من المزارع ــ عندها يتذكر المرء الليالي التي كان فيها الناموس الكبير يترك بقعا على الايـدي والارجل تشاهد في الصباح •

ان مسألة تكييف الهواء هي اختراع عجيب وان كثرة اللباس ودكاكين الاحذية هي امثلة على وجود الكثرة مهما كانت البضاعة قليلة ــ ان المرء يتذكر كم من مئات الاميال يمكن للمقاتل ان يقطعها بزوج مـن الاحذية

المصنوعة من قماش الكانفاس والتي هي اكبر من القياس وفمها مفتوح ــ وأذكر اني سألت أحد المقاتلين عن مشكلة ايجاد أحذية بالقياس الصحيح سواء اكانت جديدة ام مستعملة ، من الاحذية المعطاة لفريليمو ، فاجابنا انه ليس هناك اية مشكلة « اننا نجعل ارجلنا تناسب الحذاء » .

وفي داخل الغاب يبدأ المرء يخترع ــ عملت ديوليندا لي شريطا مرتبا لربط شعري كان متروكا في علبة التنك التي تخصها لوضع الابر والخيطان ــ ان كل شيء يخزن في الغاب اذ لربما تأتي حاجته . ان كيسا من البطاطا يمكن استعماله كلباس لطفل اذا لم يكن هناك سواه . ان كل شيء يمكن الاستفادة منه ــ ان الصناديق التي كانت تعبأ بالاسلحة او بالاطعمة المعلبة تستعمل كبنوك للجلوس او تخوت أو كراسي وان المسامير التي كانت فيها كانت تسحب ويبدأ استعمالها ــ كل قطعة من القماش تمنح سواء كانت صالحة للبس او لا فانها تلبس ــ يخزن الطعام والماء في جرار من الطين وان زيت الطعام يستخرج من شجر النخيل ــ لا توجد اوراق للاستعمال في المراحيض ويستعاض عن ذلك باوراق شجر ــ يؤخذ الحمام في الانهار او في اماكن معزولة في الغابة ما لم يكن في القرية امكنة للاستحمام الشعبي ــ ان كل شيء يمتلك يصبح كنزا ، لانه اذا ضاع او تعطل عن الاستعمال لا يمكن ابداله ــ كان عند ديوليندا زجاجة من زيت الشعر المستخرج من جوز الهند والمعطر ، وكان احدهم قد اشتراها من دار السلام ــ واذا لم يكن شعرها مصففا جيدا مثل الحقل الذي ينتظر الحرث فانه يكون معقدا ولا يمكن استعمال المشط بدون مساعدة الزيت والا كانت العملية مؤلمة . انها تبدأ كل صباح في هذه المحنة لمدة عشر دقائق وقبل ان استيقظ ــ احيانا كان يسقط سن من المشط من الضغط ــ كانت تصب كميات صغيرة من المؤونة التي تتداعى على كل خصلة وعندما تنتهي العملية يقف الشعر مكشكشا وكأنه مبرشم في مكانه ، وكل جدول من

الجداول بينها يرفض ان ينبسط وكل محاولة لتمشيطه تحول الوضع الى اردأ ــ وبعد التنهد تبدأ ديوليندا بتجديله ثم تلبس خوذتها ــ اني لم ار اي نوع من موديلات الشعر في موزمبيق ونوعــا واحدا فقط في غيــانا البرتغالية ــ

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة

مكتبتي الخاصة

على موقع ارشيف الانترنت

الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الفصل الثامن

اي نوع من الشعب هؤلاء البرتغاليون الذين يقاتلون في موزمبيق ؟

عندما كنت اراقب المقاتلين وقت الاستراحة وهم يتحدثون مع انفسهم او اراقب كورنيليو عندما كان يذهب لاحد راقصاته مع النساء النصف عراة وهم يرقصون عن عمد على الطريق ، كنت اعجب لما عند هذا الشعب من الحصانة التي تمكنهم من العيش بقليل من الغذاء واللباس وعلى مدى الحياة من انكار الذات .

ومن وقت لآخر كنت ارى على اوجه الموزمبيقيين صفات من اللطف والصبر والتحمل التي لم ار مثلها من قبل ، لا يوجد هناك حسد او كره او حب نفس — ولم اسمعهم قط يقولون ان الرجل الابيض هو عدونا بل الحكومة البرتغالية — كانوا يقولون لي انه ليس الشعب بل الحكومة البرتغالية هي سبب آلامهم — لم تكن لترى اكتآبا على وجوه المقاتلين ولا فقدان امل وظلامات قليلة وبدون شفقة على النفس — انهم كانوا مدربين على ذلك وكلهم يتقاسمون نفس الصعاب ، وكنت احيانا اسألهم « كيف يمكنك ان تسافر الى مسافات طويلة دون ان تعرف متى ستأكل واين ستجد الماء ؟ ما هي مكافأتك ؟ اين من يخلفك ؟ وكيف يمكنك ان تقاتل طالما لا يوجد حد معروف لذلك ؟ ما الذي يعيلك ؟ وكان الجواب دائما : « اننا معتادون » انا نعلم انها ستكون طويلة ولكننا تعودنا عليها — وكنت اسمع نفس الشيء في غيابنا البرتغالية عندما كنا نخوض المستنقعات والوحل علو الفخذ —

هل كانت الكلمات الكبيرة كما يصفها الكاتب مثل الحرية والتحرير والاستقلال تكفي لاعاشة شعب لم يجربها في حياته والتعويض عن الجهود والتضحيات الدائمة التي يطلب من المقاتلين والقرويين تقديمها كل يوم ؟ ربما كانت كذلك اذا ترجمت الى وقائع وطبقت على خبراتهم اليومية — ومن الممكن بعد مرور السنين الصعبة من التعبئة والهجومات الكافية ورد الهجومات تأسيس الجدية التي لا تقبل الجدل حول القصد وتأسيس بناء ديموقراطي معزز في القرى حيث يمكن للجميع ان يشترك فيه — انها لتجربة جديدة ومثيرة — تلك هي ان الثورة يمكنها ان تحافظ على نفسها وتندفع بحسب قوتها الذاتية .

ولا ازال اتذكر كلمات احد الثوار — اننا لم نخلق ثوارا بل شعبا لا يمكنه بعد الآن تأييد وضع ما — انك تجد نفسك في وسط الثورة وتمر في هذا الطريق — ان هذا لا يعني ان الثورة تعيش على نفسها وانها مستديمة ، انها بحاجة الى ارشاد دائم وسد النقص من قبل القيادة — ان اهم العوامل هي المعنويات — ذلك الوضع الدقيق في التفكير الذي تتعهد القيادة في تعزيزه — ان ذلك يتم في عدة طرق : تكذيب دعاية العدو حالا التي تهدف الى خلخلة ثقة القرية بالحركة : سرد أنباء صحيحة عن المعركة مهما كانت الخسائر (لان القرويين يعرفون الكذب حالا) : تملق لا حد له للسكان بهدف تعزيز ثقتهم ومعرفة مشاكلهم الحقيقية — ان اي اشارة الى روح انهزامية سينسف بشكل خطير مقدرة الثورة . وهناك عامل هام وهو التقدير المستمر وانتقاد واصلاح الثورة لاساليبها سواء اكانت العسكرية او علاقاتها مع المدنيين — ان هذا يجري على اعلى مستوى .

اذا اخفق رجال الفريليمو وهم في الجبهة في اي مهمة امامهم فانهم لا يخبرون زملاءهم بذلك لان هذا الامر سوف لا يكون حسنا — أن اية قوة من المقاتلين يجب ان تحوز ليس فقط على السلاح بل على القوة للتغلب

على ضعف الاخلاق في حرب مثل هذه التي ستكون مثلا دائما للذين حولهم وتحت اداراتهم ـ انه من المحتم عليهم أن يكونوا هكذا لانهم يتعاملون مع شعب غير متقدم بالمعنى الغربي والذين تسلموا المسؤولية التامة عنه .

وحيث كنت اراقب رجال الفريليمو يلتحمون مع السكان بمختلف الطرق ـ هؤلاء الذين يلبسون الكاكي والذين يهزون بتأثيرهم لب القرية ـ كنت اعجب الى اي مدى يمكنهم الذهاب ابعد من ذلك قبل ان يحل مشاكل الكلل اذا كان سيحل ، ولربما سوف لا يحل لان هؤلاء لهم قضية يعتقدون بها شديد الاعتقاد ـ انها ظاهرة عوارض القضية « التي احيانا تفشل ولكنها اذا عاشت مع مرور الزمن والانتقاد فانها تنزرع في القلب ولا يوجد شيء يهزها الا ربما القيادة نفسها » .

ان الثورة قد سيطرت على هؤلاء الحزبيين ولفّت نفسها حول حياتهم دون اي شيء آخر ـ وفي الواقع وبدون اعتذار قد طالبت بتضحيات دون سؤال ـ وكانوا طيلة حياتهم ينبذون الراحة او الاستقرار او متطلبات البيت ـ لم يكن هناك ترويح عن النفس او اتخاذ مواقف او ايحاءات مبطنة حول الشعور الداخلي ، انهم قد تخطوا الحسد والخبث ، انهم حقيقيون . انهم كانوا يقبلون ما يعطون بدون سؤال سواء كان مستعملا او باليا ـ ومرة ظهر احد الثوار ببلوزة امرأة بزهرة مرسومة ومطرزة على الرقبة ، انه لم يكن يعي منظره المضحك ولم اتمكن من مجرد الابتسامة . جاء الوقت الذي كنت ترى فيه الرجل او المرأة اولا وبعدها الخرق ـ انك تلحظ الاعين والقوة بين الاكتاف وكيف ان الايدي باكفها البيضاء تقفل على الحمل او على البارودة وعلى وضع الرقاب عند المشي .

انهم احيانا كانوا يجوعون ويحيون ثم يتداعون من التعب والعطش

ولكنهم يمتلكون انفسهم مرة أخرى ولم يعد لديهم شيء للتغلب عليه سوى العدو •

ان وصولنا لكل قرية كان دائما الاشارة لاداء التحية من قبل المقاتلين المحليين ووحدات الميليشيا وخطاب ترحيبي وخطاب من القائد حول انتصارات فريليمو او صدماتها • وأحيانا كانت الجماعات قد صفت نفسها وكنا نسير في وسط الطريق الى الحقول حيث يكون الصف من الثائرين العرقانين ينتظروننا وبينهم نساء الميليشيا في لباس الخانقا بالالوان المختلفة الملفوفة حول وسطهن عندما كن يضعن البنادق في أوضاعها ـ عندها تعطى الاوامر بالتحية ويخرج صوت من المؤخرة بالنشيد الوطني الثوري يتبعه فيما بعد الباقون كانت الكلمات بالبرتغالية والنغم على المفتاح الواطي والتحضير من قبل مقاتل ، وكان هذا النغم يردد في جميع المناطق المحررة وتعلمته جميع القرى وهو كما يلي :

فريليمو ستنتصر فريليمو ستتغلب

قتال حتى الحرية فريليمو ستنتصر

ويشتمل النشيد على اشارات تقول ان افريقيا خاضعة لاوروبا والى تصميم اسود على اجبار الحكومات الاستعمارية على الرحيل وهناك أشعار تتنبأ بانتصار موزمبيق النهائي وانتصار افريقيا بأسرها •

كان العديد من الرجال مترهلين وقليلي التغذية • بعضهم كان يربط أحزمة من الخرق حول أرجلهم العارية • وبعضهم كان يلبس البنطلون القصير وآخر جاكيت ليست على مقاسه ومنهم من لبس البسة تحتانية كان اسفلها ممزق من الركبة الى اعلى الساق وقربه مقاتل بشوارب يلبس كلسون نسائي وغطاء راس حياكة وعليه مدفع ـ كانت هناك صفوف من

المقاتلين في سبيل الحرية وهم بألبسة رديئة أو قمصان مستعملة وبنـاطلين اكبر من الحجم اللازم مرفوعة الى اعلى من اسفل خوف التعثر بها ـ انها لا تقص لانه ربما تستعمل من قبل من هو في حجمها ـ وهكذا كان جيش فريليمو في الغاب مهلهلا ولكنه مصمم على القتال حتى الموت وانه جيش فتاكـ كان يرتل عن شعور وبقوة ، يلتذ بكل كلمة وكأن النصر على قاب قوسين او ادنى وكان مع ذلك يعلم بان الوقت ربما سيأخذ سنين عديدة من الفقر والموت والمسافات الطويلة في طول موزمبيق وعرضها حتى الوصول الى آخر طريق يؤدي الى لورينكو ماركيس •

ومـاذا عن معارضيهم المجندين مـن الوطن الام أو أبنـاء البيض المستوطنين في موزمبيق الذين طلب منهم ان يدافعوا عن المستعمرات ضد العصابات ؟ احيانا كان المقاتلون يصطادون العدو في شراك احيانا بالتظاهر بان احدهم عريف برتغالي له لحية والذي كان الرجل الاسود بالنسبة له شبيها لانسان يعبد الشعارات القبلية ويأكل البشر ـ ان الجيوش الغريبة عن الغاب وعن المناخ كانت تقطن في مراكز في وسط الصحراء وفي قـلاع متداعية مسقوفة بتنك ومخزقة لسقوط المطر وللذباب وعرضة لقنـابل الهاون ـ هناك قبر لكل ٦٠ شخص والافاعي على الشجر والعصابـات في المرصاد والحر موجود دائما ربما الأسر افضل من هذه الحياة •

لقد قضيت بعـد ظهر يوم مع خمسة جنود برتغاليـين في معسكر فريليمو وكان بينهم ثلاثة جنود فارين وسجينين من مركز داخـل البلاد وقعوا اسرى في ايدي الثوار بينما كانوا يتجولون بدون سلاح في الغابات وفي اتجاه ما كانوا يعتقدون بانه حدود تانزانيا ـ وكان فلاح افريقي قد حذر فريليمو بوجودهم بعد مرورهم تحت الاشجار خلال حفيف الطيور الذي ينبه حراس الغاب وهم السعادين (القرود) ـ ان اول مواجهة لهم مع رجال سود مسلحين كان يدعو الى الاسر ، لانهم كانوا يؤمنون بقصص

ضباطهم حول حب الافريقيين للحوم الانسان •

وبينما كنت اتحدث مع السيد سيمانغو كانوا يطلون برؤوسهم نحونا بينما كانوا تحت الحراسة ثم وقفوا حتى قلنا لهم ان يجلسوا ، وكانوا شبانا مصبوغين من الشمس ويلبسون الالبسة التي القي القبض عليهم وهم يلبسونها • كان احدهم يحمل مشطا كبيرا في جيب قميصه وآخر وضع صليبا بدبوس على صدره والذي قال انه اخذه هدية منذ طفولته ابان مناقشة في دراسة التوراة وربما كان معلقا كاحتياط ضد احتمال عودة بعض الكاثوليك السود الى اعادة أكل لحوم البشر ـ وكانوا نجارين وصانعي احذية او جزء في الحياة المدنية وكان لهم اسماء مثل فرناندو وجوا ومانويل • وبعد عدة ايام مع السود انزعجت لرؤية اوجه بيضاء اخرى كنا نحدق ببعضنا البعض احيانا • وبدا عليهم بانهم غير متجانسين مع العالم الاسود الذي تعودت عليه ، وكانوا عرضة لاي هجوم من الغابات الافريقية ـ وكان المقاتلون بلون الخشب الذي يحيط بهم وبلون اكواخ القش التي كانوا ينامون بها وبلون اوعية الماء التي كانوا يشربون منها •

خمسة من رجال الفريليمو كانوا يلبسون احذية الجيش البرتغالي بينما كان السجناء الجنود يلبسون احذية للعبة التنس ـ وكان جنديان يعيشان في الغابة مع فريليمو منذ ان تم القبض عليهم قبل ثمانية اشهر خلال غارة مسائية على قلعتين في كابو ديلغادو ، وكان الثلاثة سجناء فارين لمدة شهر واحد فقط بعد ان تركوا قلعة مويدو في اتجاه ما كانوا يعتقدون بانها الحدود والملجأ السياسي على بعد ١٥٠ ميل وكانوا قد استجوبوا لمدة ثلاث ساعات في ذلك اليوم من قبل سيمانغو وزعماء آخرين والآن يروون قصتهم ثانية •

فرناندو دوس سانتوس روسا ، عمره ٢٤ عاما وكيل امباشي «جندي

اول» من منطقة شافاز في البرتغال ، قال لي انه قبض عليه عندما اغـارت فريليمو على مركز نامبود في فجر يوم ممطر وكان وقتها قد ترك وظيفـة الحراسة عندما هاجم الثوار بالمدافع ومدافع الهاون • وكان المركز يوجد فيه القليل من الرجال وقد فر الجنود للاختباء بالرغم من اوامر قائد فرقتهم برد النار بالمثل من الاستحكامات •

رفضت لان العدو كان يرش الخنادق بالرشاشات واننا لـم نتمكن حتى دخولها وقد نط القائد وحده وجرح وجميع الرجال الذين كـانوا حولي ، كانوا مصابين بطلقات • اخذت بندقيتي وركضت الى خيمتي وكانت العمارات الاخرى قد نسفت بقنابـل المورتر وخلال ثوان كـان رجـال الفريليمو في الخيمة فرفعت يدي واستسلمت •

وقال انه كان يعامل معاملة حسنة منذ القبض عليه وكـان احيانـا يتناول طعاما افضل من طعام المقاتلين انفسهم • اني لم اتوقـع ذلك ، ان الامور هنا ليست كما كان ضباطنا يقولون لنا ، انهم كانوا يقولون لنا ان السود يكرهون البيض وان السبب الوحيد لاخذهم سجناء هو لاكلهم • لم يكن اي شيء من هذا صحيحا ــ وعندما القي علي القبض وجد رجال الامن تختا لي وناموا هم انفسهم على الارض •
سانتوس روزا قال انه استغرب من التعاون الوثيق بين الفـلاحين والثوار رغم الصعوبات التي كانوا يمرون بهـا بسبب الحرب • ولاحظ ايضا ان المقاتلين لا يأخذون الطعام من المدنيين ما لم يقدم لهم ــ

وقال لي السجين الثاني جوا بورجي جوفر انه القي القبض عليـه بينما كان حارسا في قلعة ناتوباكو وكان قد جرح في رجله بقنبلة يد مقاتل بينما كان يركض تجاه الاستحكامات ومعه مدفع رشاش • وعندما رأى بناء مجاورا ينسف بقنابل الهاون التـي للثوار زحف مـن الاستحكـام واستسلم • وكان جوفر نحيل الجسم وشاحب اللون وذا وجـه ينقصه

الدم • يبدو في الخامسة عشر من عمره ويلبس البسة حربية • لم يتمكن من المشي لمسافات طويلة حسب قوله لانه لا تزال شظية من قنبلة في فخذه • ان اسوأ ما في سجنه الذي دام شهرا بدا بانه وحيد ومعزول عن والدتـه التي لا تزال في المقاطعة البرتغالية (براغا) • (وقال لي موندلين فيما بعد ان جوفر سيستبدل لاسباب صحية عن طريق الصليب الاحمر) وقد عملت فريليمو ما باستطاعتهـا لمعالجة جروحه حسب قـول جوفر واجرت لـه الاسعافات الاولية بينما كان لا يزال في القلعة ثم نقل لمدة ثلاثة ايام الـى نقطة اسعاف في الجبهة حيث بقي للاستشفاء ، ولكن لم تكن هناك وسائل لاجراء عمليات •

اما الثلاثة الآخرين وهم فارون فكانوا حقيقة لا يصلحون للجيش وقد جاؤوا للغابة لان ضباطهم عاملوهم « كالكلاب » • ان اميريكو دي سوسا الذي بقي سبع سنوات في الجيش البرتغالي قبل هربه من قلعـة كابو ديلغادو مويدا ، ادلى بقصة طويلة حول التمييز والاحتقار خلال مدة بقائه في الجيش وقال « لقد جعلونا نقوم بتدريبات طبيعية وكانت في اكثر الاحيان اكثر من اللازم فقد كنا ندفع بشدة واذا لم تتمكن من الاستجابة للطلب كنا نقاصص ، واذا رفضنا ان نقفز عن خندق عرضه خمسة اقـدام أو حاجز عليه قطع زجاج مكسّر ، كانوا يضربوننا حتى يكسروا اسناننا • وعندما كنا نحتج كانوا يضربوننا مرة اخرى لسوء آدابنا واخيرا وضعت في السجن لعدم اطاعة الاوامر ، وبعد خروجي من السجن كنت اعامـل معاملة سيئة ودائمة من قبل الضباط الكبار •

وعندما وصل دي سوسا الى موزمبيق مـن اجل تسلم عمله فـي الجيش لم اكن اعرف حتى حدوده ـ ارسلوني الى قلعة نامبولا هنـا في الشمال ثم الى مويدا ـ اني لا اعلم لغاية الآن لماذا كنت اقاتل ـ واخـيرا قررت اني لا اتمكن بعد الآن ان اقوم بذلك وقررت الهرب • وقد اقنعت صديقي للهرب معي •

وبعد ان تركنا القلعة بقينا في الغابة لمدة ثلاثة ايام بدون طعــام وكنا خائفين من الثوار ومن جيشنا ـــ وكان السكان الافارقة المدنيون يهربون عندما يروننا ظنا منهم باننا جزء من دورية ـــ كنا نريد الوصول الى حدود تانزانيا ولكنا علمنا حالا بان فريليمو ستتسلمنا اولا •

واشتكى دي سوسا بمرارة مـــن النقص في الحياة السياسية فـــي البرتغال وقال ان اي انتقاد شعبي للنظام يعني السجن • ولغاية اليوم فان الشعب العادي لا يزال فقيرا وجائعا ـــ وعوضا عن المدارس والمستشفيات فان الحكومة تدفع اموالا على الحرب البنيدة •

وقال الفاران الاخران المسميان كلاهما بمانويل انهما هربا الى الغابة لنفس الاسباب التي رواها صديقهما ، اذ انهما لم يحترما كرجال من قبل ضباطهما • وقال مانويل دي جيسوس وعمره ٢٢ سنة انه لم يكن يعرف شيئا عن وجود المقاتلين عندما التحق بالجيش في لورينو ماركـــوس حيث تربى •

وقالوا لنا في قلعة مويدا اننا سنقاتل الكوبيين والروس والصينيين والجزائريين اننا لم نعلم شيئا عن السود ـــ وكانت الحرب لا بـــأس بها بالنسبة للضباط ولكن لا لصفوف الضباط •

وقال الهارب الاخير مانويل دي سيلفا لويس انه بعد التحرك مـــن مويدا تبع الجماعة طريق الغابة في النهار وفي الليل كانوا ينامو متعانقين مع بعض وكان معهم فقط راديو ولم يكونوا يعرفون كيف يصطادون او يجدون الماء •

وعندما واجهتهم فريليمو كانوا على وشك الموت •

وقال لي اخير سيمانغو ان الفريليمو تعتبر السجناء بانهم رجال بسطاء

غير اذكياء بدرجة كبيرة وان الطلب منهم العمل لحساب الثوار اذا اطلق سراحهم فيه مخاطرة ـ انهم على كل حال سجناء وربما يشعرون بأنا نتوقع ذلك منهم ـ انهم في موقف صعب وكلنا نعلم ذلك •

وظن ان تصريحات الرجال ساعدت على تأكيد الانباء حول عدم الاستقرار والثورة داخل الجيش البرتغالي وخاصة في صفوف من هم في اوطى الدرجات ـ وبعد ثلاث سنوات من بدء الحرب في موزمبيق اعترفت الحكومة البرتغالية بان ١٥٠٠ رجل قد هربوا من التجنيد خلال الاثني عشر شهرا الماضيين وان مئات آخرين يهربون من الجيش ان في البرتغال او في المستعمرات الافريقية • وبالنسبة لعدد السكان فان البرتغال عندها اعلى رقم من الرجال المطلوبين للخدمة العسكرية في العالم ومع انها تعد افقر واكثر رجعية من جميع البلدان الاوروبية ، فانها تصرف اكثر من ٤٠ ./. من ميزانيتها لمحاربة المقاتلين السود ـ ان البرتغال تصنع اقل كمية من الاعتدة الحربية بنفسها وان المقاتلين يشكون في الاسلحة التي تستعمل في البلد الام ـ انها لا تطلق النار عندما تكون باشد الحاجة لذلك ـ انهم يفضلون السلاح البلجيكي او الالماني الذي يستولى عليه في الميدان •

ومع ان المقاتلين كانوا يقولون انهم يقنعون باي سلاح يقدم لهم الا ان بعضهم يقول بعد الضغط عليه ان السلاح الروسي او اي مسدس اوتوماتيكي هو من افضل انواع الاسلحة المستعملة في حرب العصابات ـ انها صغيرة وخفيفة ومسافتها مناسبة ـ ونظرا لقلة الاسلحة ، وهو مرض مزمن ، فان المقاتلين كانوا يقاتلون باي شيء يطلق النار بما في ذلك بنادق الحرب العالمية الثانية القديمة والرشاشات •

الفصل التاسع

نهضنـــا بينما كان القمر لا يزال في السماء وبــدأنا نلبس ملابسنا ونحزم امتعتنا • وكانت بطاريات مصابيحنا الكهربائية التي استبدلت قبل بضعة ايام فقط قد فضيت من الرطوبة • وانا تعثرت حول الكوخ فيمحاولة فاشلة لاجد غسيلنا الذي غسلناه في الليلة الماضية •

ان ديونيندا التي تتمكن من الرؤية في الظــلام وجدته في القرنــة ووضعته مع امتعتنا وكانت تتحسس السقف لئلا نكون قد تركنــا شيئا وراءنا • وخلال خمس دقائق كنا في الخارج حيث كان ميجيغو وآخرون مشغولين في تفقد الامتعة الحربية والامتعة المدنية التي كانت مكــدسة خلال الليل في ساحة القرية •

وكان الركب طويلا لان عديدا من القادمين المدنيين الجــدد الذين يفتشون عن حماية حرس مسلح جاؤوا الى القرية بانتظار رحيلنا • وكان هناك اصوات قرقعة وضحك وصوت وقع اقدام بينما كانت ديولينــدا وانا لا نزال نترنح من النعاس وقد شربنا كأسا من القرنفل كفطور سريع ومررنا فوق الاطفال الذين كانوا مكومين تحت البطانيات في الظلام وكان هناك صوت يقول لنا ان نقف بالصف وقد عين لنا مكان في الامــام ووراء مقاتل يحمل بازوكا ـــ وفتح ميجيغو نور مصباحه حوالي الاكواخ وتحت الاشجار وكان باستمرار يجد بعض امتعة متروكة في الظلام ـــ مــا هذا وما هذا ••• كان يقول مشيرا بمصباحه الى جربنديات مربوطة ومعلقــة في ضوء القمر وكان اصحابها ينطون من الصف لاخذها بينما كان الآخرون

يضبطون احمالهم وقد تجمع القرويون ليروا تحركنا ووقفوا في الظل وهم ملفوفين بعباءاتهم القطنية وخلال ساعة كانوا مسافرين الى حقولهم •

وبسرعة فائقة انتظمنا وكنا على حذر • وتحركنا بنشاط من القريةوكان ميجيغو في القيادة ــ وكان الزحف سريعا لغاية بزوغ الشمس لانــه كان يود ان يستغل برودة الطقس قبل الفجر لقطع اطول مسافة ممكنة وكنت ارقب الطريق الصغيرة وغير المرئية تقريبا ، وفي نفس الوقت المح البازوكا التي كانت امام عيني ــ فقد حملها صاحبها على كتفه وعندما دار فجــأة في الظلام لطمتني ماسورته على اذني ــ وكانت جرذان الغابة الصغيرة تمر فوق ارجلنا وهي فزعة في اعشاشها على جانب الطريق ــ ويبدو ان هناك عائلات كبيرة منها بعد كل بضعة ياردات وكان لها اصوات عندمــا كانت تخبط اجسامها على اقدامنا واحذيتنا • وكان البوم يراقبنا مــن اعالي الشجر فوقنا وكانت اعينه تلمع في الظلام وكان الزحف شديدا لغاية بزوغ الشمس حيث كان ميجيغو والرجال الآخرين يزحفون بخطوات واسعــة وبدون جهد • وقد مررنا على مقطع طريق كبير غــير مألوف حيث كــان المعتاد رؤية جيوب طرق فقط في المتاهات فقد مات ١٢ جندي برتغالي في كمين نصبته الفريليمو هنا عندما كان الجنود يتنقلون من قلعة لاخرى ــ فجأة هدأ الرجال عندما نزلنا الى واد امامنــا ــ وكان العشب اليــابس والعالي فوق رؤوسنا ــ وقد حذرت بانه ربما يكون البرتغاليونينصبون كمينا لنا هنا ــ فتح الرجال مفتاح الامان على بنادقهم وزحفنا بسرعــة وبدون ضجة وكانوا يرقبون وينتظرون ــ وكنت اسمع صوت المعــدن يطرق بالمعدن عندما كانت اوعية الماء ترتطم ببعضها ــ وقام ميجيغوالمنزعج بتحذير اصحاب هذه الاوعية ليضبطوها ــ كان رجال الاكتشاف قــد توجهوا الى الامام ــ ولكن هل نسوا شيئا مثل اشياء مشبوهة بين العشب العالي بينما كانت الجيوش تتحرك الى الامــام او سعلة بدون اكتراث او طيران الطيور فجأة او اصوات السعادين لتحذير الرجال بان هنــاك خطرا

قادما ؟

ان الشيء الوحيد الذي كان مسموعا هو صوت احذيتنا المصنوعة من قماش الكانفاس في سكون الوادي ــ وحتى ان الجراد كـان هادئا وكانت النساء عاريات الاقدام مع اطفالهن المربوطين باربطة قماش عـلى ظهورهن وجربندياتهن المملوءة على رؤوسهن يسرعن الى الامام للحـاق بالركب ــ وكان الاطفال هادئين وشاعرين بالتوتر على ظهر امهاتهن حيث كن يركضن الى اماكن آمنة ، ولم يبك احد منهم عندما كنا نسرع لمسافة خمسة اميال حيث خرجنا من الوادي في اتجاه هضاب اخرى وسلسلةجبال من ورائها وكان بعض المقاتلين في المؤخرة قد وقفوا للراحة •

بعدها صرخ ميجيغو ، لنذهب لنذهب ، فاسرع المتأخرون الىالامام للالتحاق بنا ــ وبعد ان خرجنا تماما من الوادي سمح القائد باستراحـة قصيرة وباخراج التيرموسات ولكنـه لم يكن مستريحا فقـد حام حول الرجال المستريحين وكانت اعينه على الغابة المحيطة بنا ــ

فجأة قال ، يجب ان نتحرك فتجمع الركب بسرعة وتوجه الى الامام الى الجبال ــ وكان الزحف الى اعلى الهضبة منذ ذلك الوقت وصاعدا ــ فقد تسلقنا الجبال التي لم يكن لها حد وكنا ندوس على الصخور ونبحث عن اماكن للصعود • وعندما استوت الارض كانت النساء يقفزن بارجلهن الرفيعة واطفالهن معلقون على ظهورهن بقبضات صغيرة •

وكان الرجال يفرزون العرق ويبذلون الجهد بينما كـانت البازوكا والرشاشات واحزمتهم تترنح وهم يتسلقون امامنا الجبال القاسية بينمـا كانت عضلات الايدي والارجل منتفخة مع ضغط وشرايين زرقاء متكبتلة على رقابهم • وكان ميجيغو قد وصل الى القمة وجلس على صخر ليرقبنا برفق عندما كنا نتعثر للوصول الى القمة ــ ومع ان معظم الرجـال قـد

فتحوا قمصانهم او رفعوها على ظهورهم ، فان كورنيللو بقي داخل جاكيته الجلد وقبعته وكانت نظاراته فقط تعطي بعض الاشارة على ارتفاع الحرارة داخل تلك الطبقات ـ فكان ينط من صخر لآخر ويبقيني وراءه ـ ومشت ديوليندا باندفاع وبحزم وسكوت وكانت مصممة على الوصول الى القمة.

قلت لكورنيللو وانا غاضبة من الحرارة والذباب وصعوبة التسلق « ان يدي قد سحبت من موضعها وانت ستموت من الحرارة في تلك الجاكيت » فضحك ومضى الى الامام مرنما انشودة كنت احبها .

وكان كورنيللو عنده موسوعة من القصص حول الثورة والشعب وكان يريد ان يقصها علي ونحن في السفر ـ وغالبا كنت انشغل بالتفكير حول الوصول الى الهدف عن الاصغاء الكافي وكنت احيانا اطلب منه اعادة القصص عندما نتوقف في الطريق او بعد ان نستقر في المعسكر .

تعلمت من كورنيللو بالاضافة الى المعلومات عن الثورة اشياء اخرى عن حياة القبائل وان القرويين لا يقبلون ـ اما المدن الافريقية فتقبل وان المسلمين في موزمبيق لا يزالون يتزوجون ثلاثة او اربعة نساء وان الماكونديس يستعملون مخدرا من العشب ليخزقوا شفاههم العليا خلال الاحتفال ببلوغ سن الرشد .

وبينما كنا نتسلق سفح الجبل بدأ كورنيللو يتحدث عن اكل لحوم البشر والذي كان هو والآخرين معه يعتبرونه مزاحا كبيرا عندما يتحدثون لانفسهم والذي كان يغضبهم بدرجة كبيرة نظرة الغرباء اليه بعين الجد ـ سالت كورنيللو عن الذي يعرفه عن الموضوع فقال : ـ نحن الافريقيون لم نأكل ابدا منذ ٥٠٠ سنة ، وعدا عن ذلك ان هذا الامر جرى فقط في افريقيا الغربية ، فقلت ان الافريقيين الغربيين يصرون على ان هذه العادة هي عادة الافريقيين الشرقيين ـ فاجاب كورنيللو لا بالمرة ، انهم لا يعلمون

شيئا عما يتكلمون ــ فقلت ماذا عن الموزمبيقيين ، فقال اننا نأكل الناس الذين لا يتمكنون من تسلق الجبال ــ وبعد دفعة اخيرة وصلنا الى القمة والتحقنا بميجيغو .

وكانت وجهتنا مركز للميليشيا يستعمل كقاعدة ومعسكر بينما تطوف قيادات العمليات والتدريبات في كابو ديلغادو وقرى في الداخل حيث كنت اراقب السود الذين يعيشون في فقر قاس وهم يصغون لميجيغو بينما كان يلقي محاضرات حول الحذر من الغارات بقنابل النابالم وقنابل الغــاز ــ مشينا في حقول خضراء وعلى طول ساحل بحيرة داخلية وكان سطحها مليئا بالقصب المكسر وزهور الماء ، وكانت تستعمل كحمام للميليشياوالقرويين. وفي آخر البحيرة كان قسم منها مرتعا للتماسيح ــ وقال لي المقاتلون انه لم يحدث ان تدخل اي قسم بالقسم الآخر ، واذا حدث ان تمساحا ضاع عن منطقته فانه كان يضرب او يقتل بالرصاص ، مع ان الرجال يكرهــون اضاعة الذخيرة في هذا الشكل .

كان مركز الميليشيا مختبئا على رأس التلة مثل جميع القرىالافريقية ابان الحرب ، وكان مغطى بشكل من المستحيل معه رؤيتــه الا بدليل ــ وكانت هذه المراكز مبنية بنفس المادة التي حولها ، وكان الشجر الضخم وفروعه هو السقف الطبيعي تحت السماء وهذا هو السبب الــذي جعل البرتغاليين يأخذون معهم مخبرين افريقيين ابان الطيران الاستكشافي .

كان المعسكر محروسا حراسة شديدة ولمسافة عدة اميال حوله وقد مررنا بنقاط من الميليشيا بعيدة عن المدخل المؤدي للقرية ، وكــان بعض اطفالهم يحملون النشاب وكانت الاسهم مصنوعة من معادن منجورة او من رصاص مستعمل ــ وقيل لي ان ضارب قوس النشاب الماهر يمكنهتخزيق معدة العدو على مسافة طويلة ، وان المجندين الكبار اذا كان ينقصهــم السلاح كانوا احيانا يستعملون النشاب ضد الجيوش الغازية .

كان معسكر الميليشيا في قرية باردة مغطاة بالاشجار مع وجود الطاولة العادية خارج المكان للاجتماع قريبا من ذلك. هنا كان كبار القرية وممثلو المقاتلين معهم يجتمعون للحديث الذي كان يدوم احيانا اسبوعا — وقال لي الرجال انه عند بحث مشكلة ما كان القرويون الافريقيون يجلسون لساعات واحيانا اياما اذا كان ذلك ضروريا حتى يتم الوصول الى اتفاق حول الحل . لا يوجد حد للمتحدث مما يترك الانطباع عند كل شخص بان نقطته قد بحثت وان جميع نواحي الاتفاق قد فحصت . يمكن لكل شخص ان يعبر عن رأيه مهما كان غير مناسبا وغير بناء وعندما ينتهي البحث يكون عندها المشتركون منهوكين او مقتنعين بنوع العمل — وهناك محاولات للحصول على الموافقة بالاجماع ولكن اذا لم يتم ذلك فان رأي الاكثرية يسري مفعوله وينتظر من الجميع ان يتمشوا مع القرار — فاذا تبين ان الاتفاق غير عملي او ان هناك جماعات منشقة ، يعقد اجتماع آخر تحت الشجر وتعاد العملية من البداية مرة اخرى — وكان الافريقيون يعتقدون ان هذه طريقة معقولة لفض النزاع وان الشكاوى لا تدوم لمدة طويلة .

ان افراد فريليمو من الميليشيا في المناطق المحررة هم مدنيون ويمكنهم معالجة الاسلحة مع ان فترة تدريبهم كانت اقل من فترة تدريب المقاتل — ان اهم عمل لهم هو الدفاع عن مناطق سكنهم وتعزيز وحدات المقاتلين اذا كان العدو يخطط لهجوم محلي وتنظيم المؤن والاستعلامات حول تحركات العدو — وعندما يحرر المقاتلون ويفرزوا منطقة تحت سيطرة فريليمو فان الميليشيا تحل محلهم بينما هم يندفعون الى مناطق اخرى . وكجزء من السكان المدنيين المحليين الذين يعملون كساعد لعصب الظهر السياسي والعسكري فانهم من المتوقع ان يحافظوا على حماس ومعنويات شعب معرض باستمرار للهجوم .

وفي اليوم التالي راقبت منظمي فريليمو وهم يعملون في تجمع في الغاب على بعد خمسة اميال من معسكرنا ـ وكان مع جماعتنا التي يرأسها ميجيغو رئيس القرية واسمه دادي ساليمو ، والذي رحبت بنا زوجتاه ومعهن نوع من الجوز مكوم على صحون من التنك ـ وكن بمنظر لا بأس به باعين كبيرة سوداء وارجل طويلة وكانت كل منهن تلبس عقدا من الحجارة الزرقاء حول عنقها وتلبس احسن ما عندها • واصطحبن زوجهن في المشي الى القرية والتحقوا بنا على بنوك معدة لضيوف الشرف • وكان هناك مسرح له منفذ للهرب، ومبني من قصب الخيزران، وقش محاك وحوله جلس حوالي ٢٠٠ افريقي في دائرة وكان الاطفال في الامام والكبار في صفوف مكثفة وراءهم •

جلس الحشد بسكوت بعد ان عدلوا حالهم ووضعوا ذقونهم على ركبهم وكانوا ينتظرون لمدة طويلة وبعد ان هبوا للترحيب بمجيء ميجيغو عادوا فجلسوا وكأنهم مخدرون من التعب• بعدها بدأ دادي ساليمو العمل• دخل الى وسط الحلقة وحملق في التعساء حوله ، وفجأة ضحك بلطف وكان لهذا بعض الضحك من الصف الخلفي ثم سكون مرة اخرى • ثم نط دادي ساليمو الى المسرح الصغير وصاح بلغة الماكوندس « ما شاء الله » ثم نط مرة اخرى الى الارض • وقد اثير الكبار اما الصغار فضحكوا ـ أدار دادي ساليمو قبعته وصاح ما شا الله ، ما شاالله ، فأشرأبت اعناق هذا البحر من السود وهم مسرورون عندما قفز مرة اخرى راكضا الى وسط الدائرة وهو يصيح ، ثم هز جسمه كالبطة ثم رقص بينما كان الحشد يضحك ويصفق ويخبط على الارض بالعصي ـ لقد نسوا جوعهم وجميع تضحياتهم ولم يتمكنوا من رفع انظارهم عن هذا الجسم الذي يلبس القبعة المحاكة ـ وبدا وكأن البطون الصغار الخافقة لم تعد كذلك تحت البستهم وكأن سواعدهم لم تعد لهم عندما كانوا ينطون ويخبطون

في قبضات ايديهم • بعدها وصل حماسهم الى درجة الجنون وكانوا على استعداد للسماع طيلة الساعتين القادمتين باتنباه عندما كان دادي ساليمو وميجيغو وراؤل يتحدثـون اليهم حـول الفريليمو والاستقـلال وطرد البرتغاليين ، ولكن في الوقت نفسه فان الحركة بحاجة لكل التأييد الـذي بامكانهم اعطاءه لها لمساعدة المقاتلين على النجاح • ان ذلك يشمل منتوج اكبر من الحبوب حتى يصبحوا معتمدين على انفسهم ويحسنوا احـوال معيشتهم ، والحصول على موارد اكبر لفريليمو والتأكد مـن ان الحرب ستكون طويلة وانهم يجب ان يحافظوا على شجاعتهم •

بعدها حذرهم ميجيغو بانه عليهم ان يتوقعوا غارات جويـة اخرى خاصة بقنابل النابالم ويحتمل استعمال قنابل الغازات التي يقـول رجال الاستخبارات انها ستستعمل عما قريب ــ وقال لهم اذا حرقتم مـن قبل قنابل النابالم خبئوا انفسكم في الرمل حتى تنطفيء الشعلة ، واذا هوجمتم بقنابل الغازات بولوا على البستكم وضعوها فوق وجوهكم ، فضحـك الاطفال •

وبعد ان بدأ المتكلمون يتعاقبون على المنصة، بدأ القرويون ينظرون بقلق الى قرب حدوث زوبعة وعندما تضرب هذه الزوبعة هناك فلسوف لا يكون هناك تحذير عن وقوع مطر بل سقوط مفاجيء له بشكـل كبير • فتحرك الحشد بقلق وهو ينتفض بينما كان الجمع يشد الاحزمة حولهـم والتصق القرد الصغير في احضان حامله وعيونه تلمع كحلقات الخرز •

ولكن مشاكلهم لا تزال بدون حل ، وتحرك الافراد واحدا بعد الآخر الى داخل الحلقة للتكلم ــ وكان صراخ نعم نعم من المشاهدين وتصفيـق متقطع عندما يعالج المتحدث نقطة حساسة ــ وبدأوا يصفقون ويغنـون بينما تحركت امرأة طاعنة في السن الى جهة الوسط حيث وقفت بدون حراك حتى سحبها احدهم ــ قال كارنيللو انها مجنونة ــ

ونط آخرون الى الوسط بينما كان المقاتلون يراقبون ويصغــون ، وفجأة وقف رجل في منتصف العمر في مكانه وصاح لي : « اننا جائعون مدام، اننا جائعون ولا توجد لنا احذية انظري الينا مدام،أرسلي لنا احذية وألبسة ، انظري الى هذا الطفل » ــ التقط طفلا عن الارض ملفوفا بكيس بطاطا ورفعه الى اعلى وبأذرع نحيلة وارجل سمراء صاح طالبـــا التأييد ، ساعدونا ساعدونا ــ ساعدونا •

فصاح احدهم من الوراء ، ان هناك دائما من هو من امثالك • اين شجاعتك ، يجب ان نساعد انفسنا اولا ــ وكان هناك نوع من التصنيف، وبعضهم هتف بهتاف الفريليمو ــ بعدها هبت العاصفة بعد آخر الغنـــاء وهرب الجمع صوب الشجر للحماية وكان تدافـــع بالاكواع والأرجـــل الطويلة •

قال لي ميجيغو ان القرويين الافريقيين تتحول عندهم البرودة الـــى حرارة لانه لا يوجد عندهم البسة ناشفة ليغيروها وكانوا احيانـــا يقعون مرضى وهم خارج الاكواخ ابان هطول الامطار الغزيرة ، ان هذه البرودة كانت تسهل لمرض الملاريا •

وبينما كنا نعوذ متباطئين الى المعسكر في المطر ، بينما كانت ألبستنا متبللة تأكد لدي كم هو عسير عمل مدير الشؤون الاجتماعية لفريليمـــو وعمره ٢٩ عاما من الماكوندي واسمه جوناس ناما شولا ــ لقد اجتمعت به قبل العبور الى موزمبيق حيث تعشينا في مطعم على بعد بضع ساعات عن الحدود • وكان وجهه الذي يشع لطفا مهتما بالمسؤولية المناطة به وكان عمله ايجاد طعام وملبس ومأوى للقرويين الافريقيين المتنقلين من منطقـــة الى اخرى بسبب الحرب •

وقال لي ان تانزانيا عندها برنامج للاجئـــين في جانبها للموزمبيقيين الهاربين حيث يطعمون بمساعدة الامم المتحدة كما يعطون مـــأوى فـــي

المعسكرات .

ومع ذلك فانه في داخل موزمبيق لا توجد مساعدات من شخصيات في الداخل للمشردين في اي من المناطق المقاتلة وهذا يعني ان فريليمو يجب ان تتحمل المسؤولية الكاملة مع وجود الكميات القليلة من مواردها المالية .

وقال جوناس ، اذا حرقت قرية فان الشعب يهرب بدون اي شيء وكان علينا ان نعطيهم حتى الشواعيب لجنائنهم وندبر المتطوعين لمساعدتهم على بناء مأوى لهم ـ ان كوخا من الوحل والاغصان يتطلب بناؤه ستة اشهر اذا كان عند العائلة عمل كثير في الحقول ـ ان هؤلاء الناس يجب ان يأكلوا كل يوم ويكون عندهم مكان ما للنوم، خاصة ابان الفصول الممطرة، فتصور مواجهة حبل طويل من اللاجئين الجدد بدون حتى بطانيات، والذين مشوا احيانا مئة ميل مع نسائهم واطفالهم ولا يوجد عندك ولا حتى حجة لاعطائها لهم ولا يوجد معهم اي نوع من الاكل ولا حتى كيس من الرز .

ومع ان بعض البلدان الاشتراكية تحاول مساعدتنا في ذلك فاننا نحاول تشجيع شعبنا ليعتمد على نفسه وان اللاجئين خارج البلاد يطلب منهم العودة الى موزمبيق .

ان جوناس مسؤول عن ايجاد مأوى لمتضرري الحرب ايضا ، وقال ان رجلا برجل واحدة ، يمكن ان يتعلم عدة صناعات بما في ذلك الخياطة وعمل الاحذية والنجارة ـ ان هؤلاء لا يوجد عندهم ما يحتاجونه وقال لسوء الحظ كان هناك نقصان خطير في الوسائل للتدريب مثل معدات النجارة وماكنة النسيج والخيطان ، ولا يمكن لاحد ان يصنع احذية والبسة بدون معدات ـ ثم اضاف ان جماعات الكنائس خارج البلاد قد رفضوا مساعدة الموزمبيقيين لغاية الآن في المناطق المحررة وكذلك المنظمات

الدولية التي تقدم العون في الغرب • وكان هناك بعض الجماعات الخاصة في الولايات المتحدة واسكندنافيا الذين اعطوا بعض المساعدات لهؤلاء اللاجئين •

وحول نظرية ان الغرباء يساعدون الذين يساعدون انفسهم ، فان فريليمو كانت تصر وتلح على عودة شعبها من البلدان المجاورة ليساعد على اعادة بناء البلاد مع الآخرين مهما كانت الواردات مخزنة والتورط بنعم لهذا العمل — وكنت اشك بان البلدان المجاورة مهما كانت صديقة للحركة في انها وجدت ان وجود العديد من اللاجئين يعد عبئا ثقيلا على اقتصادها المتخلف •

وقد تحدثت مطولا مع ادوارد مندلين حول هذه المشاكل وغيرها بما في ذلك الثمن الذي تدفعه البلدان الصديقة على الحدود كمساعدة للحركة — وبالاضافة للضرب بالقنابل لقرى الحدود وحدوث اصابات في المدنيين غير الموزمبيقيين ، فان هناك مخاطرة اقتصادية وان زامبيا هي مثل على ذلك •

ومع ان زامبيا من الناحية الفنية هي مستقلة منذ تفسخ الاتحاد السابق بين روديسيا ونياسالاند ، فانه يجب عليها ارسال الكثير من موادها الخام ومعدن النحاس عن طريق روديسيا الجنوبية المعادية للتصدير عن طريق السكك الحديدية الى ميناء بيرا في موزمبيق من الاراضي البرتغالية•
وقبل استقلال زامبيا كان النظام مبنيا بهذا الشكل حيث عصب الحياة موجود في روديسيا الجنوبية اذ كانت قيادة الاتحاد وحيث كانت اغلبية الروديسيين البيض لها مصالح مالية وزراعية •

ان فريليمو تعتمد على حسن نية زامبيا للوصول الى منطقة تيتي الموزمبيقية حيث طريق زامبيا التجاري يمكن اقفاله في اي وقت ، ويعطل

اقتصادها من قبل حلفاء البرتغال في روديسيا الجنوبية ــ ومما لا شك فيه ان مصالح البرتغال تتمشى مع روديسيا التي يديرها البيض وجنوبي افريقيا عندما تكون هناك ثورة سوداء واية منطقة متحالفة يقطعها المقاتلون في موزمبيق تجلب الحرب اقرب الى ساليزبوري وبريتوريا وهو اشتعال زاحف من الافضل احتواؤه في موزمبيق البرتغالية •

وكنت اشعر بالاشتراك مع ادواردو باليأس من الغرب حيث تلقى علومه وتزوج واستوطن لعدة سنوات ــ ان ادواردو هو من وادي ليمبوبو في موزمبيق الجنوبية على بعد ٥٠ ميل من لورينكو ماركوس ــ وقد نشأ كراع في عائلة مكونة من ١٥ طفل ووالدته التي كان يقول عنها انها امرأة بديعة كانت قد ارسلته الى مدرسة ارسالية ابتدائية تحت مجازفة مالية كبيرة ، ولكنه كافريقي منع من دخول مدارس الحكومة الثانوية في موزمبيق ــ وبعد تعليم نفسه اللغة الانجليزية دخل مدرسة في افريقيا الجنوبية بمنحة دراسية وبعدها دخل جامعة وثيووتر ستراند هناك ــ وتمكن من الذهاب في رحلة الى امريكا حيث حصل على دكتوراه في الشؤون الاجتماعية وعمل مع الامم المتحدة في دائرة الوصاية وكان يبدو بانه من انتاج امريكا الوسطى الغربية كما في موزمبيق وكان وقع المحيط الامريكي يعطيه تقاربا من المشاكل المعقدة مثل اللهجة الامريكية وتقاربا مع الاوروبيين ــ انه كان يفهمهم وكان جرهم لتفهم التعاسة الموزمبيقية ــ ومع كبر جسمه كان المرء يشعر ان ادواردو كان عرضة وحساسا للمحيط الذي حوله ، فقد درب نفسه ليتحدث في الجمهور بعد تجارب سابقة اليمة وقال لي انه خلال اول خطاب له للجمهور في سن ١٨ انفجر بالبكاء من الخوف والتورط •

وقد وجدت هذه الصورة تختلف عن صورة القائد الثوري الواثق من نفسه ، الذي ظهر على المسرح في الخرطوم في اوائل عام ١٩٦٩ ليقول لمؤتمر صديق ان هناك حاجة الى مساعدة معنوية ومادية لحركات التحرر

الافريقية ـــ وكان قد قوطع مرة عندما انفجر فتيل للمفرقعات محدثا دوي القنبلة اليدوية في غرفة المترجم ، مرسلا سحبا ودخانا ازرق وراء الهاربين. قال موندلين ، آمل ان لا يكون العدو بيننا بعد ان هدأ المستمعون. وبعد اسبوعين نسف بواسطة شحنة TNT بينما كان يعمل في مكتبه .

وكنت قد سألت موندلين حول توجيهات الفريليمو السياسية وكيف يتصور ان تكون الحالة بعد التحرير وماذا عن ايديولوجيته ، فكان ينتقي الكلمات بكل اعتناء . اذا وصفت نفسي باني تقدمي فان هذا يعني اشياء مختلفة في الشرق والغرب ـــ اما فيما يتعلق بحرية بلادي فاني راديكالي ـــ اني اريد الحرية الآن وانا قادر على الالقاء بنفسي في اية مرحلة نصل اليها ـــ ان الثورة لها عدة مراحل وفي هذه المرحلة فان موزمبيق في حالة حرب. بعدها يأتي التعمير وعلى مستوى الجماهير وهو الشيء الذي يمكن للدولة الحصول عليه .

اننا لا نعتذر عن هذه الحرب لانها حقيقة ـــ ان البرتغاليين قد انتقوها ـــ ولو كان هناك احتمال استقلال عن طريق التفاوض لكنا قبلناه ـــ ان البرتغاليين يعرفون ذلك . ولكن هذا الاحتمال لا وجود له ولا يمكننا العمل على اساس انه ربما سيكون محتملا ـــ اننا حركة شعبية سياسية ـــ وتماسك لا تحالف ، واني اصرّ في هذه المرحلة على خط سياسي ولكني ضد خط ايديولوجي شديد لمجرد انه خط ـــ ان السؤال السياسي هو : « هل يبقى بلد تحت سيطرة اجنبية ام يسلم الى شعبه ؟ ان السؤال ليس اشتراكيا او رأسماليا ولكنه مجرد ان الشعب يريد حريته وعندما تحصل على ذلك فانك تنتقل الى المرحلة الثانية وتثقيف الشعب عن نوع الحرية المطلوبة .

ان فكرتي الخاصة بشأن تقرير المصير تشمل اعادة تنظيم اقتصادنا من اجل عدم استعمال ثرواتنا من قبل الآخرين دون فائدة ما لأنفسنا ـــ ان

الشعب نفسه يجب ان يسيطر على هذه عن طريق منظمات منتخبة انتخابا ديموقراطيا والتي بدورها توزع الارباح وتوجد الخدمات المتنوعة للجماهير مثل المدارس والخدمات الاجتماعية .

وكان موندلين يعتقد ان رأس المال الاجنبي يمكنه حتى لعب دور في موزمبيق الجديدة ولكن عندما يدعى الى ذلك فقط من قبل المنظمات الشعبية ـ ان دور رأس المال الاجنبي يحدد لأعطاء بوادر لا السيطرة على الموارد .

اني افكر في دول افريقية اخرى توظف راس مال من الشرق والغرب ولا يوجد اي سبب لكي لا تفعل ذلك ـ فاذا حاولوا نسفنا فعندها سنتحرك .

وسألته تحت اي شرط يكن التفاوض مع البرتغال من اجل السلام فاجاب : « اني ارفض حتى التقسيم او الحكم المحلي تحت الادارة البرتغالية ـ ان البرتغاليين يجب ان يخرجوا ما عدا اولئك الذين هم جزء من موزمبيق والذين سيبقون هناك كمواطنين يعاملون مثل غيرهم » .

وعما اذا كان يعتقد ان البرتغاليين الموزمبيقيين البيض سينفصلون عن البرتغال الام ويعلنون استقلالا من جانب واحد اذا عارضوا سياسة الوطن على السود في مستعمرات ما وراء البحار ، كان موندلين يشك في ذلك اذ انه يوجد فقط ٢٠٠،٠٠٠ ابيض وان الانفصال عن البرتغالسيعني ادارة بيضاء محلية ضعيفة وتحت تأثير جنوب افريقيا لكي تسيطر عليهم في النهاية ـ ان ذلك سيكون محتما بسبب مدخول جنوب افريقيا المتطور وادواتها الحربية الكفؤة وهي حليف ضروري ضد اية ثورة سوداء .

وفوق ذلك فان سياسة جنوب افريقيا كانت بحسب رأيه ابعاد الحرب

بقدر الامكان عن حدودها واستعمال المقاطعات البرتغالية كزمبركات يعتمد عليهـا لدرجة ارسال جيوشها الخاصة الـى هناك ــ ان تصلب الثـورة البرتغالية المضادة لم يكن اذن مسألة حسن جوار او تحالف عنصري ابيض بل مسألة مصالح وطنية محسوبة من جهة جنوب افريقيا •

وظن موندلين ان درجة زجها المباشر يتوقف على امنها الداخلي في ذلك الوقت وان الاعمال الثـورية السوداء ضمن حدودها من المؤكـد سترفع تلك الدرجة •

وماذا عن تقدم الحرب من وجهة نظر الفريليمو ؟ موندلين اعترف ان تورطها الشعوري والطبيعي هو الآن اكثر انتشارا في كابو ديلغادو منـه في اقليم فياسا، حيث ان تخفيض عدد السكان وصل الى ربع مليون نسمة وان المسافات بين باقي القرى كانت احيانا سفر ثلاثة ايام ــ ان الحركـة كانت توجه اهتمامها بشدة على تيثي المزدحمة بالسكان وهي الاقليم المفتاح في غربي موزمبيق الناتيء الى الداخل وعلى طول الحدود مـع روديسيا الجنوبية وزامبيا وملاوي ــ وقد كان المقاتلون قد وصلوا الى المنطقـة حول موقع سد كابورا باشا ــ ونهر الزمبيزي داخل البلاد واسسوا قيادة في قلبه ــ وكانت التموينات لا تـزال مشكلة ولكننا كنا دائمـا نمشّي امورنا ــ

ان المرء كان يفكر في الاطنان التي كانت تحمل على ظهور نحيلـة ومدافع الحديد المفكوكة وقنابل البازوكا الثقيلة وعلب الذخيرة الفولاذية والحاملات التي تزحف الى الخطوط في الليل ومختبئة في الغابات في النهار بينما كانت تقطع جذور الاشجار لاستعمالها في طبخ الوجبات ، فاذا كانت الانهار جافة والآبار ملوثة فان الاجسام السوداء المتعبة تلحقها الملاريا •

لقد رأيت ضحية مريضة نائمة منحنية الرأس في كوخ واطي ومعتـم

لم تكن هناك عقاقير لمساعدته وكان جالسا ورجليه متقاطعتين فوق قرعة جوفاء ليستمد منها الدفء من النار المضيئة في الاسفل ـ وبعد اربع ساعات عند عودتنا مال الى جانبه ليموت كالقطة النحيلة في النفق المعتم الذي كان كوخه ـ قال لي مارسيلينو ان هذه نتيجة الانسان ، وبعد التنهد اشار الي للالتحاق بالركب المنتظر .

الفصل العـاشر

كان منظر قيادة ميجيغو يشبه الى حد كبير اي قرية من القش فـي الغابة الموزمبيقية عدا عن ان اكواخ النوم كانت اوسع وكان شعور بالقدرة العسكرية اللامعة • ولم يبق شيء اكثر ديمومة من الاكواخ لان القيـادة يمكن نقلها في اي وقت وتبين ان فيها راديوات ترانزستور اكثر من المعتاد وكل ثلاثة او اربعة اكواخ كان لها طاولة طعام وغطاء من القماش •

كنت قد اخذت الى احدى مخازن الاسلحة التي لفريليمو في الغابـة حيث تتكدس الاسلحة المستولى عليهـا مؤخرا لاراها ــ كانت هنـاك بازوكات شغل المانيا وبنادق بلجيكية وموزر ومارسيبس بيرتياس واسلحة لي انفيلدس وقد تم الاستيلاء عليها خلال كمائن أو من القلاع • وقال لي ميجيغو « ان قصدنا هو اخذ كل شيء يملكه العدو بما في ذلك خوذالرأس ولكن الامتعة المخبأة ذهبت للميليشيا لانه لا يوجد لها احتياج منا •

ان الشخص الذي كان يدرب الميليشيا والمقاتلين في كابو ديلغادو كان عمره ٢٦ عاما وهو من موزمبيق ويـدعى جواشيم مانويل وكان نحيـلا واسمر يلبس حذاء من القماش •

ان حرب العصابات هي عبارة عن اضرب واهرب ، وحيث ان العدو كان يفوقنا عددا في الظروف العادية فان المقاتل يعلّم كيف يقضم ويطعن الخصم ، وكيف يضرب ويتحاشى بقدر الامكان المواجهة المباشرة ، ولكنه اذا هجم على جناح العدو او ضرب قلاعه يجب ان يكون ايضا مستعـدا للقيام باعمال سريعة وهذا يعني ان المقاتل المتعب من الزحف صوب الهدف

يجب ان تكون عنده القوة الاحتياطية ليس فقط لمهاجمة العدو بل ايضا للتخلص منه والركض لمسافات طويلة في اراض غير معروفة نهارا وليلا بعد الانتهاء من الهجوم .

ان العدو بوسائل مواصلاته السريعة وطائرات الاستكشاف والهليكوبتر يمكنه بسرعة ان يتعافى بعد الهجوم اذا لم يضيع عقله اثناء العملية ، هذا ما قاله جواشيم . وبالرغم عن معدل قوة الافريقي الباقية ومقدرته على تغطية المسافات البعيدة بدون تعب ظاهر فان المقاتلين يوضعون في دورة من الالعاب الرياضية قبل البدء بالتدريبات ثم مع الميليشيا الذين يتلقون نفس التعليمات الاولية كالمجندين الجدد فان الجماعة توضع في برنامج لمدة خمسة اسابيع يشمل استعمال السلاح واعمال الكمائن والاستراتيجية العامة — وفي هذه الدورة المعجلة يتعلمون ايضا ماذا يصنعون عندما يواجهون ، وهم لوحدهم من قبل دورية عدوة وكيف واين يختبئون وكيف يتلاشون بسرعة في الغابات اذا لوحقوا — قال جواشيم ان مجنديه يجب ان يتشددوا بسرعة وان المدربين يطلب منهم ان يقودوهم الى جميع انواع الطرق تحت مختلف انواع تقلبات الطقس بقدر الامكان — ويمنعون شرب الماء ولو كانوا يمرون قرب مجرى ماء والهدف هو الحصول على درجة كافية من الانضباط وعدم لمس الماء الذي ربما يكون العدو قد سممه ومهما كانت هذه الشبهة غامضة .

ان المسافرين ينظمون يومياء وعلى خطوات واسعة حتى يتمكن المقاتل من المشي لمسافة ١٥ ساعة بدون توقف او في حالة السير الاجباري لمدة ١٢ ساعة وهذا ايضا يعني لا أكل او شرب على طول الطريق .

وفيما بعد يعين الذين لا يتعبون لاعمال المواصلات كمراسلين من قاعدة لاخرى . ان ضباط فريليمو في الجبهة يتحاشون مخابرات الراديو

نظرا لقرب العدو ـ ان جميع اوامر المعركة تجري باليد .

ان المراسل الحسن يمكنه قطع مسافة ٥٠ ميل في اليوم عن طريق الغابة والرمل والقصب والغاب . ويعمل في نفس الوقت كساعي بريد محلي بين القرى اذا امكنه اخذ رسائل خاصة في حقيبته ـ ان هذا البريد في الغابة فعال بشكل عجيب وان الرسالة يمكن ان تصل الحدود من بعد شاسع داخل البلاد خلال بضعة ايام اذا كان المرسل حسن الحظ بما فيه الكفاية للاتصال بمراسل على استعداد لالتقاط الرسالة .

وكنت ارى احيانا رجل مواصلات يمر خلال القرية وخارجها الى الطرق الترابية ويقف فقط ليسلم حزمات من المراسلة ويحشي حزمات اخرى في شنطته الى مكان ابعد ـ كل قاعدة لها رجل اتصال يعمل داخل قطاعه وبين ضباط العمليات في القطاعات الاخرى فاذا كان هناك كمين صغير مدبر فان كل قطاع يقوم بمخططه وفي العمليات الكبرى فان القائد الاقليمي يرسل مراسلين لطلب القادة في جميع المناطق وجميعهم ينسقون الهجوم . ان الوقت اللازم للتخطيط للعملية يتوقف على الحاجة الى دوريات استطلاعية فاذا كانت هذه العملية فاشلة فان الهجوم احيانا ينتهي بالفشل مهما كان تنفيذه بمهارة ومهما كان المقاتلون شجعانا .

قال جواشيم انه في المناطق التي تتغلب عليها فريليمو فان الجيوش البرتغالية قلما تتخلى عن مراكزها الا في دوريات في الامكنة القريبة ولكن لا اقل من قوة ٢٤ شخص ـ يبدو انهم يجهلون اساليب اعمال العصابات المضادة واذا قرروا تطويق معاقل الفريليمو فان قوتهم يندر ان تكون اقل من ١٥٠ رجلا ـ وعزا ما آسماه باحجام البرتغاليين عن القيام بهجوم شامل لاسباب الخوف من قطع انفسهم عن الامدادات عند تركهم منطقة القلعة ونقص تدريبهم على حرب الغابات ومعنوياتهم المنخفضة وعدم مقدرتهم على تحاشي يقظة المدنيين السود .

نصب جواشيم هجوما تدريبيا بحراب البنادق (السنجة) لأراه بعد ان وزع متدربيه في الغابة حوالي الحقل الذي كنت واقف فيه ــ وكــان الوقت الغسق ــ وفي لحظة توارت وجوههم اللطيفة الصبيانية في الغابــة وكانت البستهم بلون الشجر ــ كانت سواعدهم تلتف على عرق الشجر كغصون العنب ولهم مناقير مثل طيور الغاب وكنت انا امثل العدو او القلعة وبينما انحنيت لاعالج رباط حذائي ، هجم المقاتلون كأسهم من الغابة في مجموعات هجومية متجهين صوبي وحراب بنادقهم مثبتة وهم يصرخــون « سباو » و « يايا » ويلوحون بالهواء ويهجمون علي بوجوه قاتلة وملتوية وكانت عندي رغبة قوية للهرب اذا هجمت علي الموجة تلو الموجــة مــن الوجوه الملتوية والتفت حولي والى داخل الغاب مثيرين التراب والغبــار حولي ــ وانتهى كل شيء بلحظات وكنت فاقد النطق عندما خرجــوا من اقنعتهم ــ وتساءلت ماذا سيكون رد فعل عدوهم عندما يخرج من القلعة المعزولة ويواجه مشهد المقاتلين الغاضبين وهم بخرق من الثيــاب يهجمون عليهم صارخين « سباو » في وسط الليل ــ

عادة لا تهاجم فريليمو قلعة بقصد احتلالها بل لاجبار العــدو على تركها نهائيا بعدها يحمل المقاتلون اي شيء يمكن جمعه ويحرقون القلعــة او يتركوها لتخرب بطبيعتها • فاذا اهملت هذه القلاع لاكثر من عدةاشهر تحت الشتاء الافريقي الشديــد فان البناء ينهار بسرعة ويتــداعى ــ ان احتلال قلعة مفرغة غير ضروري للامور الادارية التي لفريليمو وان القيام بذلك سيجعل العدو يضربها بالقنابل عندما تكون المدافع المضادة للطائرات لازمة في اماكن اخرى •

وفي ذلك المساء وفي معسكر صغير مبني على سفح جبل ودعت بعض ضباط الفريليمو الوداع الاخير بما فيهم ميجيغو والذين كان عليهــم ان يزحفوا الى مسافات ابعد في الداخل والى قلعة كان البرتغاليون قد تخلوا

عنها بـدون سبب ظاهر ـ وفي نفس بعد ظهر ذلـك اليوم وصل رجـال الاستطلاع ومعهم اوراق ووثائق عسكرية تركها الجيش وراءه ـ لم يكن هناك هجوم مؤخرا على هذه القلعة من قبل فريليمو ربما كان ذلك خدعة وربما كانت هناك حاجة لتعزيز اماكن اخرى ، ومهما كان السبب فان هذا يعني ان قطعة اخرى من الارض قـد سقطت بايدي الثوار وان هنـاك مجموعة من القرى الاخرى لادارتها وان هناك لاجئين جـدد سينضمون لفريليمو ومعهم القصص ليرووها ومعدا لملئها وهذا يعني مشاكل جديدة للجان التخطيط ، وتقدم عام للحركة •

وبعد ان حضّر ركبنا نفسه للتحرك، على الطريق الطويل الى الحدود نظرت الى ميجيغو وهو واقف تحت المطر • وفجأة ملأني اليأس والجبن على حسابهم وان ميجيغو لاحظ ذلـك حالا ـ ان الاصدقـاء يجب ان يتسموا عندما يودعوا بعضهـم ، هذا ما قاله ميجيغـو ـ حنيت رأسي ورجعت الى الوراء لالتحق بالصف ـ بعدها صرخ « سنهورا » (اي يا سيدة) « اننا سنعيش » وحالا اختفى في سفح الجبل بعد ان ابتلعته طبقة من الاشجار في الغابة• ميجيغو كان قد قال لي ان الزحف الى الوراء اقل تعبا وحالا علمت بانه كان على حق ـ هناك الغابة المألوفة وزوال الضباب في الساعات المبكرة من الصباح على الوادي وهمهمة المدنيين بينمـا كنا متجهين صوب الحدود • كانت الطريـق حسب اول معرفتي بها مليئـة بجرذان الغاب وكان احد اكواخ القرية الذي نزلت فيه ديوليندا مليء بها ـ فقد بنت الذكور والاناث من هذه الجرذان اعشاشا تحت السقفوكانت تظهر وكأنها خلايا نحل يسكن فيها الذكر والانثى بحرية • وعنـد حلول الليل كان العش مليئا بالنشاطات (وصف آخر للجرذان مقصوص) •

ان آخر موقف لنا قبل الحدود كان في دائرة من الاكواخ التي بدت بانها كانت تقطنها نساء واطفال • كان المستقبـل الرسمي هو امرأة مـن

الماكوندي وهي بوجه مبتسم ولها ارداف وعمرها حوالي الثلاثين والتي علمت بانها رئيسة وحدة التعبئة في منطقتها ــ وكان زوجها دائما في الجبهة المتنقلة بصورة دائمة لمدة سنتين وفي الوقت نفسه اصبحت ملتزمة بالثورة. وحسب رأي راوول كانت من افضل المجندين (بكرانيون) الذين لفريليمو وهي متحدث ديناميكي وعامل لا يكل وكانت تلبس رداء ملفوفا حول وسطها ويصل الى كعب الرجل وكانت تتحرك بنشاط بيننا بقدمين عاريتين وتسلم على البعض بهز يديها بينما تصفع آخرين على الظهر ــ ويبدو انها كانت ترفض بعض التقاليد القبلية وعلى الاقل الواضح جدا منها ــ وانها قد ازالت الحلقة المعدنية من شفتها العليا وكانت النتيجة ان بقي خزق يمكن رؤية الاسنان من خلاله عندما كانت تمر بين الجماعة ــ وفي بلد حيث يعيش العاجز والمبتور والبشع بشكل طبيعي في البناء الاجتماعي فان هذا الامر يبدو بسيط ويمتص دون ان يلاحظه احد .

كانت اعينها مليئة بالمرح واللطف الطبيعي وكانت دائما تمزح بدون توقف مع الرجال تضرب على فخذها وتعيد كل ملاحظة حسنة وتضحك بشكل كبير ــ

كانت اعينها تلمع يمينا وشمالا وكانت تخطف كل دجاجة تمر بقربها وتقول ، هذا هو الغذاء ثم يحملها احد الرجال الى مكان ما وبيده بلطة ــ وقدرت انني يجب ان اكون قد تعبت بعد المشي ، وبعد ان اخذت يدي ، وساقتني الى كوخ حيث اقضي غفوة قبل الطعام ــ وكان هناك قنديل يشتعل من زيت النخيل على طاولة خشبية عارية ــ وبانت لي بانها كبيرة ونشطة في اشعاعها وجلست على حافة تختي بينما كنت أجلس في وضع مريح وبدأت تروي لي قصصا باللغة الماكوندية التي لا اعرفها ــ كانت تضحك بمرح كل الوقت بعدها لاحظت ان بعض عضلاتي متوترة فنهضت واحضرت زجاجة فيها دهان للتدليك وقالت انها كانت على وشك استعمالها،

واذكر اني كنت ممتنة جدا ولكن بعد ان فتحت الغطاء نمت ــ فظننت ان هذا مزاح ــ اذا انها روت لنا القصة فيما بعد وقت العشاء وبعد ان اكلنا آخر لقمة من عظام الفرخة ــ ان ما تبقى من عظام الفرخة ستنقره الدجاجات الاخرى التي تجمعت على مسافة آمنة من الطاولة ــ

ان احد الهدايا التي يرحب بها في قرية موزمبيقية هو فرخة حية لانه يوجد القليل منها ــ ان فقدان اللحم يعني ان الفراخ ينتهي امرها في اوعية الطبخ قبل ان تبدأ باعطاء البيض ــ كان القرويون المسافرون لمسافات طويلة احيانا يحملون وجبة المساء وهي فرخة حية تحت ابطهم واحيانا كنت ارى صفوف المقاتلين يحمل كل منهم فرخة او اثنين مع مدفع الهاون •

وفي البداية لم اكن افهم معنى هدية الفرخة وهي عنوان الصداقة الحقيقية وقد ارجعت احدها الى رئيس القرية بعد ان كان قد قدمها لي باسم بعض القرويين خلال احتفال رسمي صغير بعد ظهر يوم رطب •

وقبل فجر صباح اليوم التالي وصلنا الى الحدود وكانت بعض القوارب وقسم من نهر ملتوي يفصل بين حكومتين مختلفتين تماما في الآراء ــ كان هدفنا في الجانب الآخر هو تانزانيا والتي تحاول تغيير وضع القرويين فيها الذين كانوا يعيشون كما عاش آدم وحواء • وبعد ان كانوا يعيشون في بيوت من الطين والقش هم الآن يرسلون اطفالهم الى المدارس وفي نفس الوقت وعن طريق التعاونيات في القرى والمشاريع الصناعية كانوا يدعون لزج انفسهم في النشاط الاجتماعي والثقافي وهو ما تطلبه امة لتعيش في القرن العشرين •

ان نايريري يلاطف ويهدد ويطالب ويأمر علما منه بانه ربما سوف لا

تكون فرصة اخرى وانه اذا كانت الآباء لا تتمكن من انتهازها فان الابناء سيفعلون ـ لا تزال هناك سنين من التغيير والبروقراطية المتعبة والفقر الى الامام وان هناك اعداء في الداخل والخارج . هناك مشكلة التجارة والمشكلة الهندية ومشكلة البطالة وان كمية قليلة من الافريقيين المتدربين يجب ان يملؤوا بجدارة الفراغ في الادارات ولكن المشاكل هي وطنية ـ مشاكل السود ، مشاكل جميع الافريقيين يعالجها الزعماء السود ـ يوجد في موزمبيق البرتغالية بدون شك بيض كما في جنوب افريقيا وروديسيا الذين يعتقدون باخلاص ان الافريقي الاسود المتوسط هو رجل قنوع وان المحتلين لا الذين تحت الاحتلال يعلمون ما هو افضل لهم .

ان الآراء المضادة طبعا لا تظهر على اوجه رجال المناجم السود ، أو وجوه مكنسي الشوارع او الجنيناتية ـ ان الفتنة تزول بسرعة وربماتعني بطالة او سحب جواز سفر واعتقال بتهم التعاطف مع منظمات سرية او اعادة اسكان ـ وهذا قول مخفف لكلمة الابعاد .

ومع ذلك من الصعب الاعتقاد ان الحث على الثورة سينتشر اذا كانت الصورة المقدمة من الحكومات البيض دقيقة ـ ان فرقة التعبئة يمكن ان تتكلم الى ما لا نهاية بدون تأثير بالمرة ما لم تضرب على الوتر الحساس اي على مشكلة مألوفة من قبل من هم اكثر دقة .

ان الجماهير التي هي اكثر محافظة من غيرها والتي بطبيعتها تفتش عن سلامتها وعن اي شيء لتحاشي تقديم ما تفتقد بالملازم لاعانة الثورة لا تثور ما لم ترى بعينها عدم وجود اي بديل عن الحرب للتأكد من البقاء على وجودها ـ وانها تعلم ذلك بطبيعتها واخيرا فان الجماهير بحاجة الى نواة للقيادة الامنية لتجمعها مع بعض ـ وعندما يفكر رئيس القرية ثم يقول للمجند « ان الذي قلته صحيح ولكنهم اقوى منا » وبعدها ينسحب

المجند ببطء باعتناء ولطف آخذا معه درس المهزوم فان اول نفحة من اجل الثورة تهب على طرقات الغابات • انه كارواح الغابات الخداعة التي تظهر عندما لا ينتظرها احد ــ انها تغيب لمدة ما ولكن القروي يتوقع دائما ان تعود ثانية •

يقول لك مستوطن ابيض او رجل اعمال « ولكن الوطنيين سعداء » لانه لم ير وجههم الآخر ــ انه يشعر بأمن بمجرد ان رجال القبائل اللطفاء والقنوعين في اكواخهم المخروطية الشكل او رجال المدن السود يتوجهون بعد العمل الى مدينة من الاكواخ بعيدة نوعا ما حيث يقطنون مقتنعين بما لديهم لانهم غير معتادين على فعل شيء افضل •

والسؤال الثاني هو : بعد عدة سنين من الحكم الابيض الذي وعد بتمدين وتنصير السود ، لماذاهم غير معتادين على فعلاي شيء افضل في موزمبيق او انغولا او غينيا البرتغالية او في روديسيا او جنوب افريقيا ؟ اني لاعجب من صبر السكان السود الذين انتظروا كل هذه المدة لكي يتمدنوا !!

ان الذي يتأثر به الغريب مثلي هو السرعة التي يتعلمون بها فيالمناطق المحتلة من موزمبيق ــ كيف يقدرون الاحذية حتى الصنادل البلاستيك ، وكم يسعّرون الالبسة في المخازن المحلية ــ انهم يشعرون بحنين كبير للتعليم ــ ان الكبار نحلاء الجسم فيالمناطق التييحتلها الثوار ــ يجلسون ليقرأوا دروسهم من كتب مدرسية مخزقة ــ وكانوا يظهرون وكأنهم حيوانات يعيشون تحت اهانات النظام الاستعماري الذي كان يأخذ ولم يعط واني لأعجب اذا كانوا افهموا حقا ما الذي حرموا منه وما هيالفرص التي يمكن الحصول عليها وما هو الظلم المتعمد الذي حل بهم وما الذي علمتهم اياه كل يوم خبرتهم الضيقة وما هي الاشياء التي تعطي معنى لحياتهم ؟؟ رأيت الغضب على وجوه قليلة وغالبا وجوه القيادات ، اما

الباقون فكانوا هادئين هدوء الاطفال • انها لأمة شهيدة ـ انهم سينتصرون يوما عن طريق تحملهم وهو الشيء الوحيد الذي سمحت به حكومتهم ـ

ان بعض الشعوب تثور على نفسها بسبب تعاستها الفظيعة، وهؤلاء الناس بحسب طبيعة اخلاقهم يبدو بانهم عاشوا التجربة بفضل من السماء•

لقد تركت ماتيوس قائد فرقتنا بقبعته التي لها منقار ولباس للتمويه في الضفة المقابلة وفي سلسلة الجبال الى الوراء البعيد حيث كان ميجيغو ورجاله واوغستينو وباملينا و ٢٠٠ قروي يتدربون على حالات وقوع قنابل النابالم ـ لقد تركت ورائي الارجل العارية والذرة (الميلي) والصعوبات المستمرة التي مر بها هؤلاء الناس ، كأنها امر مفروغ منه مع جربندياتهم التعيسة ومعدل موتهم وكرامتهم ـ لقد تعجبت لاحساسي بالخسارة الشخصية التي حلت بي والذنب الذي شعرت به لتركي اياهم وبدوليندا وكرنيليو الذين لم يشتكوا كم من المرات كنت اتذكر القانون الذي يقول انه لا احد يحيا حياة العصابات وحده ـ انا اعرف اني ما كنت لاحيا بدونهم ولكن اتذكر وجوههم عندما كانوا يتدربون ويهتفون بانتصارهم بينما كانت الشمس تنحرف الى الغابة بعد ظهر يوم رطب ـ انه من الصعب النسيان ـ انهم اعطوني مرة تمثالا لغزال صغير من الخشب منحوتا في الغابة وفيه وضع صانعه شعار الثورة •

الفصل الحادي عشر

ركبنا سيارة الجيب وعندما اقفل الباب بدأنا نشعر وكأننا في علبة ضيقة وذات فتحات توخز اذ في هذه العربة يحمل كل ما يحتاجه المقاتل • كان الوقت ظهرا في كوناكري والشمس حارقة وكان في هذه العربة بعض الدجاج ايضا • في الجانب الخلفي من السيارة شوالات تموين وقد كنت اجلس بقربها وكذلك مرافقة لم اكن اعرفها ، ترتدي قميصا ابيضا وتحاول بصعوبة ان تجد مكانا لرجليها وفتاة اخرى ذات وجه مستدير تبلغ الثالثة عشر من العمر اسمها أواه ، ولقد كانت ساحة المعركة تحتاج لكل شيء • وهكذا فان مكانا واحدا في هذه السيارة لم يكن يخلو من الحاجيات ، وكانت عربة الجيب تجد الطريق ونحن نشاهد ايضا بصعوبة تلك العربات القديمة والحاملات التي تستخدم في النقل وتبين اننا بعربة الجيب التي نستخدمها مقارنة بما نرى صالحة وان كانت تلك الامتعة والاغذية التي ربطت بحبال قد تركت امكنتها واختلطت وكان علينا مع ذلك تحمل هذا طيلة الرحلة من كوناكري الى الحدود • في بعض الاحيان كانت الامتعة عند حركة العربة في الطريق تتدحرج لتقع علينا او تتجاوزنا الى ان تصل كارمين وسائق السيارة ، اما تلك الصناديق الحديدية التي تحمل الاعتدة فاننا يجب ان نمسك الحبال بايدينا بشدة ونستخدم ارجلنا في تثبيتها في امكنتها او اعادتها اذا ما تدحرجت الى الامام وهكذا دواليك• اما الدجاج فلم يكن في الواقع اسوأ حالا منا ، ولقد طفق يصيح عندما اوقعت علبة العصير التي كانت قد قدمتها كارمين لي لعلها تجدد نشاطي وبعد ان اختطفتها من بين ارجل الدجاج المربوطة الى بعضها قدمتها لرفيق ، هذا

الذي تناول بقية ما فيها دون ان تلامس العلبة فمه • اما الشابة الصغيرة (أواه) التي عرفت فيما بعد انها مستخدمة اسعافات اولية فلقد انكمشت في زاوية صغيرة مع الدجاج يتدلى على بطنها صندوق الاسعاف وتظهر على حافة راسها ضمادة جرح •

وفيما تنطوي اميال الارض الوعرة تحت عربتنا اختفت الدجاجات تحت اكوام الامتعة وكنت اتعجب كيف يمكنها ان تعيش • صرخ روجر : لنتوقف لنتوقف ، وبينما لفت انتباهي تحميل البشر بهذه الصورة كان روجر يظهر من تحت اكوام الصناديق المثبتة فوق سقف السيارة ، وعندما توقفنا للحصول على مياه الشرب من القرية اذا بالدجاجات تطير ضاربة باجنحتها ، منتصرة في قمة شجرة المانجو ويبدو انها بعد توقفنا قد خرجت بهدوء من تحت الاكوام •

ويتجه روجر الى هضبة في جانب الطريقوقد صرخ بكلمة (سبع)وكانت عيناه المدربتان جيدا ، قد لمحتا السبع في الوهلة الاولى التي خرج فيها من الغاب وان كنت لم الحظ شيئا الا ان الخوف قد امتلكني وتذكرت ما قرأناه في الكتب عن السباع في الغابات ويظهر انني حاولت الهروب والاختفاء في الغابة ، لكن لا الضابط ولا سائقه في ذلك الجيب ولا الذين ارافقهم في السيارة الاخرى كان قد ظهر عليهم الانزعاج • وبعد اجتياز النهر وتوقف العربتان معا فهمت من الضابط ان السبع قد هرب منه •

ومع بداية الليل وانسحاب ضوء النهار بدا انني نسيت تماما الحياة وما يجري خارج عربة الجيب ، فلقد تكومت كغيري في ذات المكان الذي اركب فيه في العربة هذا المكان الذي يشعر فيه الواحد بان عظامه قد اطبقت على بعضها ، قليلا من البسكويت وزع علينا في ضوء بهره عقب السيجارة •

في الصباح بدأنا التحرك وكان هذا التحرك بشكل ابطأ اذ كانت من وقت لوقت تعبر الطريق تلك الماعز ذات الارجل القصيرة التي تتعمد التباطؤ في الطريق ويصير السائق يستعجلها ضاغطا على منبه السيارة.وبعد فترة قال روجر لم يعد المعسكر بعيدا فهناك معسكر الفدائيين ، وعندما اقتربنا بدأ الاعضاء يحييوننا وهم يقفون امام مباني وبعض الدشم الخرسانية . كان الوقت ليلا فبدأوا ينزّلون الاحمال وذهب احدهم لاخراج المياه من بئر قريب ، اختفت الدجاجات خلف المبنى ولاحظت نيران الطبخ تتوهج في الساحة وسمعت بضع ضحكات قريبة ثم طلب منا ان نتجه الى ذلك المكان القريب وهكذا عبرنا وفي بضع خطوات الى عالم الفدائيين . العمل الشاق والمخاطر الكثيرة والتهيؤ النفسي والمصير الذي يكاد الانسان يعتقده مجهولا الا من تلك المشاعر الوطنية وهم لا بد ان يكونوا شيئا كهذا . مجرد لقاء عابر في ملتقى الطرق ، نقطة لقاء في حياة الرجال ثم افتراق الى وجهات مختلفة وربما قد يلتقون في ليلة من ليالي صيف السنة الاخرى او لا يلتقون . في القاعة الرئيسية كثير من العناصر الفدائية بلباس عسكري ، وضع غير عادي وعجلة من الامر ملحوظة . هناك من يبحث عن مكان يضع فيه حصير لينام فترة ما قد لا تطول . هنا تنام امرأة قد تكون زوجة احد هؤلاء وهناك بعض الرجال ملقون باجسامهم على الحصير . جهاز راديو ترانزيستور صغير يئن بموسيقى عسكرية كثيرها صوت طبول ، وفي الجانب الآخر فدائي يجلس على منضدة ويقوم باصلاح جهاز راديو آخر الخ . يخرج بعض الرجال الى مكان خارج القاعة يحمل البعض ماء في ابريق من حديد وقطعة قماش فوق كتفه ليستخدمه كمنشفة في اول فرصة يتمكن فيها هذا او ذاك من دخول الحمام الوحيد والذي لا توجد فيه مجاري وعليك ان تستخدم مقشة لاخراج المياه من المكان وهكذا في كل مرة ، وعليك ايضا ان تدحرج حجرا كبيرا لتضعه خلف الباب كوسيلة اقفال وتعيد زحزحته عند الانتهاء . وفي مكان آخر توجد منضدة

خشبية كبيرة تستعمل لتجفيف وكوي الملابس التي تشبه باخضرارها لون الغابة تحت نور معتم .

ولقد كانت اقوى مما تصورت اذ احتملت هموم الرحلة ثم طفقت تجري عند اول توقف ، وهنا باعلى صوتي قلت ان الدجاجات على شجرة المانجو ولم يكن هذا في الواقع ضروريا اذ ان روجر كان لتوه قد تسلق اعراف الشجرة محاولا انزال هذه الدجاجات وكان علينا ان ننتظر على جانب الطريق اكثر من ساعة كاملة لكي يهدأ براد سيارة الجيب الذي كان يغلي ويفور وكنا تتجمع حول السائق الذي بدأ ينفخ انبوبا قد أنس هذا الذي يفعله من وقت لوقت وهو في الحقيقة عمل مزعج اذ لم يكن امام السائق عند انسداد هذا الانبوب وهذا كثير الحدوث بسبب الاتربة الا ان يتوقف ثم يعمل نفخا بفمه ليمرر الهواء ويجعل الانبوب ينفتح ونراه غالبا ينفخ أوداجه ويشمر عن اسنانه كلما لصق الزيت او الخليط الآخر بفمه ، في هذه المناطق يكاد الانسان يسمع كل شيء اذ انها مناطق مفتوحة بل وحتى يشم رائحة الطبيخ . ومن وقت لوقت تمر سيارة عسكرية تحمل جنودا جمهوريون من كوناكري ، وفي موقع آخر كانت تمر سيارة جيب فاذا بها تتوقف فجأة ويقفز منها ضابط يحمل البندقية في يسراه .

ينادي المشرف على الاكل للعشاء بعد اعداد الوجبة التي تتكون عادة من الارز وفي بعض الاحيان لحم الدجاج ، وفي الغالب فان كلا من هؤلاء كان يقوم باعداد اكلة بنفسه الا ان الحال قد اختلف بالنسبة لنا هذه المرة فأنا رفيق جديد لا بد من خدمته . يعتذرون لعدم وجود اواني وصحون كافية لكل منا ، تعد القهوة ويأتي احد الرفاق بابريق من الماء الخاص بالشرب ومعه اناء يستخدم للشرب وفيما يظهر اننا محظوظون اذ امكن الحصول على هذا الاناء وكان قد تعود هؤلاء على شرب الماء في علب .

سألت كارمين هل الماء صالح للشرب ؟؟ قالت ، لم يحدث ان جربت المرض وقد يكون السبب انها قد حصلت على مناعة طبيعية ضد الامراض والميكروبات المحلية وما يخيفها هو الملاريا • أعد مكان لـي ولكـارمين للنوم مع ممرضة افريقية من احد المستشفيات في الجبهة ـ لم يظهر عليها ما يبين الاستغراب او الاستياء ، سريرها عبارة عن طبقة خرسانية ـ هي زوجة لاحد المقاتلين الموجودين الآن في الجبهة وتعمل في حجرة عمليـات بالمستشفى وقد تعودت ان تعمل باستمرار واعتادت هذه الحياة فلا شيء في حياتها غير جرحى القذائف والالغام وكثيرون منهم مدنيون • ولم يكن لها شيء غير حجرة صغيرة خلفية فاذا بها تجد غرباء يشاركونها اياها، تضع في احد زوايا هذه الحجرة بعض الاطعمة وبعض الصور وكتاب مذكراتها ايام الدراسة في روسيا • كانت نوافذ الحجرة الخشبية مغلقة وكالعادة في كل البيوت في غينيا بسبب الذباب • في الصباح استيقظت لتحرك جهازها الصغير بحثا فيما يظهر عن الاخبار من اذاعة السينغال الى فري تاون اذاعة راديو التحرير من كوناكري • حدثتني عن دراستها وعن المنحة الدراسية في التمريض التي وفرتها لها الحركـة وقالت ان في القرون الخمسة مـن الحكم البرتغالي لم يدخل الجامعات اكثر من اربعـة عشر افريقي اسود بينما خلال ثمان سنوات من الثورة ارسل عدد كبير مـن المتدربين الـى الخارج في بعثات دراسيـة وتخرج اكثر من ثلاثمائـة وخمسون ممرضة ومساعدة وينتظر تخرج اول الاطباء الافارقة بينمـا يعتمدون في الوقت الحاضر على الإطباء المتطوعين في الخدمات الطبية بالمستشفيات • هـذه المستشفيات التي بنيت ايضا بمجهود المتطوعين ومساعدة جمهورية غينيـا وجمهورية يوغسلافيا ومنظمة الوحدة الافريقية ، والمستشفى في العـادة يعالج المرضى الفدائيين والمدنيين من المناطق المحررة • وقد جهز المستشفى بوحدة اشعة ووحدة معمل ، الا ان المشكلة كما هي دائما المواصلات • اذ ينقل جرحى المقاتلـين عبر الغـابات على نقـالات يدوية • زرت احـد

المستشفيات ويظهر منذ الوهلة الاولى حال هذه المباني • وعندما كنت اصحب الدكتور اليوغسلافي الذي يظهر على وجهه آثار الرطوبةوالارهاق، قال لي : هنا لا توجد ادوية كافية وتنقطع الكهرباء ليلا بسبب ضعف المولدات ونستخدم في الغالب مصابيح البطاريات في حجرة العمليات الجراحية •

ان الامراض المنتشرة والمستوطنة وهي معدية كثيرة بينما علاجها يحتاج وقتا طويلا وامكانيات اكثر • فمثلا عدوى هذه الامراض تلحق بالمستخدمين الصحيين مثل الحمى الصفراء والتيفوئيد والبلهارسيا ••• الخ كثير من هؤلاء الذين يعالجون بترت ايديهم او ارجلهم بسبب القصف الجوي البرتغالي وانفجار الالغام الارضية وهذه تصيب الاطفال والنساء •

ان اعمال الوقاية والعلاج كثيرة ولكنها في البداية ، وتحتاج المال لنشر الوعي الصحي بشكل سليم ، ولكن كيف يمكن ان ينصح المواطن بان يأكل الفواكه والخضراوات مثلا بينما هي غير متوفرة ؟ وكيف يمكن توعية هذا المواطن في وقت قصير والاقلاع عن تقاليد وعادات قرويةطويلة بينما هو في الواقع لا يستطيع ان يقرأ ؟؟

الفصل الثاني عشر

في الحدود الجنوبية ، هذه التي كانت في البداية قلب ثورة السود في غينيا البرتغالية ، هذه المنطقة هي اساسا منطقة « البالانتي » • وبرغم ان البالانتي هي الاكبر في بلد يتكون من قبائل مقيمة تحت حكم البرتغاليين ، فلقد كانت من جملة الاقل تطورا اقتصاديا واجتماعيا،ولرغبة البرتغاليين في قطع التفكير في الثورة فرضوا سيطرة الاقلية الموالية لهم على تلك الاغلبية بحيث اصبحت هذه الاقلية تمثل رقابة ومع هذا فلقد تمكنت البالانتي من الحيلولة دون محاولات تفتيشها او تغيير بنيانها الداخلي وتبعا لهذا امكن المحافظة على تلك العادات والتقاليد القديمة • وهذه القبيلة عادة تكون بدون قيادة او قيادات وان كانت تحكمها الطقوس الدينية وتقاليد القبيلة ، كانت الارض تعتبر ملك القبيلة في مجملها بينما تعرف كل عائلة او اسرة في القبيلة ما يخصها من هذه الارض • والمرأة في البالانتي تتمتع بقدر اكبر منها في القبائل الاخرى وهي تعمل في الارض مثلها مثل الرجل ، وكثير من العادات والطقوس تسيطر على مشاعروعقول هؤلاء الناس مثل العلاقات الشخصية وعلاقة الرجل بالمرأة ووضع هؤلاء الناس في تلك الاحراش والغابات الكثيفة وهي اينما حل الانسان لا يمكنه بسهولة اكتشاف اسرارها • وكنت في الواقع اعتقد باشياء اخرى قد لا يشاركني فيها احد ، والحزب يعمل جاهدا لتغيير الاوضاع هذه وان كان ليس سهلا تحويل الناس عن المعتقدات المتوارثة القديمة وهكذا فالحزب لا يشدد على هذه الامور اذ ان جل اهتمامه يتركز في التحرير • لقد واجهت انواعا اخرى من الناس عندما اتجهنا الى معسكر آخر في الادغال

القريبة ، وهذه المنطقة هي الحدود الجنوبية واللغة هنا هي « الكرونلي » لغة قبيلة البالاتتي واحيانا البرتغالية ، المعسكر هنا مليء بالرجـال ذي القامات الطويلة تتدلى من احزمتهن مسدسات كبيرة ، المعسكر مريح الى حد ما وهو محمي من الشمس باعراق الشجر الكثيفة وكذلك محمي من الطائرات بسبب الاشجار التي حواليه ٠

وقريبا من المعسكر تلك الاكواخ الهرمية الشكل اذ تتكون مـن الاعواد وورق الشجر اليابس الطويل بينما تمسكها في الجوانب اعـواد متينة ويظهر للناظر من داخل كل منها ثقب في اعلى سقفها وهو معمـول للتهوئة وان كانت دائمة العتمة بسبب كثافة الاشجار التي تحيطها٠ يدخلها الزائر من فتحة في وسطها ، وكثير ما يلاحظ في اعلى الفتحـة خرقة قماش معلقة تستعمل في الخصوصيات وفي كل كوخ عادة ثلاثة افرشة تتكـون من القماش المحشي بالقش ، بينما توجد الشبكات الرقيقة الواقيـة مـن الذباب ، كان هناك في احد الاكواخ سريران كبيران زودا باغطية نظيفـة ويظهر انهما اعدا خصيصا للسيدات ، كارمن وانا وقد نظف الكوخ بمقشة حيث لا تظهر علامات اقدام على الارض الرملية وفي الزاوية منه منضدة صغيرة صنعت من القش كذلك ، تقف في احدى زوايا الكوخ عصاة شمع وكان الضيف الوحيد الذي يزورنا طيلة الايام الاربعة في هذا الكوخ هي تلك البطة التي تحشر نفسها كل ليلة تحت اقدامي وتطفق تصيح اذا مـا حاولت ابعادها ٠ سألني احد الرفاق عندما التقيته في الباحة التي تتنـاول فيها الاكل ــ هلا رأيت الهيلوكبتر ؟؟ على رأس طاولة الاكـل وفي ضوء مصباح الزيت الصغير رأيت حشرة تقف على رجليها الخلفيتين وقد فرشت جناحاها اللذين يشبها شفرة الحلاقة ، وبعد حين بدأت تطير حـول ضوء هذا المصباح وكأنها ارادت مداعبة لهيبه الخافت ، الا ان هـذا اللهيـب الخافت اخيرا احرقها فاذا بها تهبط كورقة سوداء ملفوفة ٠ بعد هذا بـدأ

تقديم الرفاق بعضهم لبعض • قبالتي كان قائد الحدود الجنوبية ويبلغ من العمر حوالي الثلاثين سنة يدعى جاو برنارد فيرا ، وهو قائد لهذه المنطقة المجاورة للجمهورية الصديقة منذ ستة سنوات وهو معروف لرجاله بالاسم المختصر (نينو) ونظرا للاهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة فهي دائما تتعرض للقصف الجوي البرتغالي وان كان هؤلاء الثوار بالمقابل يقومون بهجمات عنيفة على المعاقل البرتغالية الباقية في المنطقة ، وبجانبه جلس احد مساعديه في حوالي الستة والعشرون سنة من العمر وهو من قبيلة البالاتتي ويدعى بانسانونا أسنا يحيط يديه بحلقات حديدية كبيرة ، هذه الحلقات اعطاها له والداه وهو كما علمت يضعها في يديه ليدرأ الخطر وكان لا يتكلم وقد تناول نصيبه من الارز • يرتدي بذلة عسكرية مناطة بمسدس وموسى كبيرين • ثم بعده جلس ابو بكر كري في حوالي ٢٧ سنة من العمر وهو من بيساو وكان قد تربى ثوريا وتدرب ، وقد كلف بمرافقتي طيلة الرحلة وهو مترجمي في نفس الوقت • كذلك كان هناك رئيس مكتب المعلومات السيد جواراجو وهو اب اسرة بقيت في كوناكري حيث تعمل زوجته في مكتب الحركة ثم قدم لي السيد بيدرو روميو وهو من الكوادر الاولى في الحركة ومسؤول عن التموين • وكان منذ فترة قد قاد حملة تموين عبر الخطوط البرتغالية قتل فيها شقيقه واعتبر بطلا وطنيا ، اما هو فقد نجح في هذه الحملة • وفي خلال تنقلاتي بين المعسكرات وجدت ان هناك فرق بين واحد وآخر وهذا فيما اتصور نسبة الى الموقع، فمثلا يختلف المعسكر الذي يقع في مرتفع عن ذلك الذي يقع في سفح جبل •• الخ والمياه قليلة جدا بحيث ان هذه المعسكرات تزود بالمياه من آبار قد تكون بعيدة في القرى الآهلة بالمواطنين وتنقل كميات المياه عادة بواسطة اواني تحملها النساء او يحملها المقاتلون في فترة الليل وهكذا فان الطهي وكذلك الاستحمام يخضع لتقنين كبير في الماء ، وقد يحصل الشخص الواحد من وقت لوقت على ابريق من الماء ليغتسل به في مكان ما تحت

كبيرة وفي طقس بالغ الحرارة وان كان هؤلاء المقاتلـون قد استخدموا مواقع ثابتة لفترة وهذه تسهل التموين ولكنهـا في نفس الوقت وحسب التفكير العسكري مستهدفة وهي تمثل هـدف ثابت يمكن ان يضرب في أي وقت وايضا فان القاعدة الثابتـة قد تؤثر على قابلية الحركة بالنسبة للمقـاتلين فهي قد تكـون مكان راحـة لبعض الوقت ولكن ليس كل الوقت . ولذا فلا بد من تغيير المكان والتحرك شبه الدائم من مكان الى آخر وان بعض المواقع لا تمثل مراكز او قواعـد ثابتة على الاطلاق مثل التي زرتها اخيرا ، وفي لحظات يتحول المعسكر الى اعقاب اخشاب وجذوع اشجار ولا يقام المعسكر الا عند التأكد من ان الطائرات لا يمكنها ملاحظته والا فان الرجال يفترشون الارض ويضعـون تلك الشبكـات السلكية الدقيقة التي تحميهم من البعوض اذ ان الحياة بلا هذه الشبكات لا تطاق في الادغال لكثرة الحشرات القارصة ، ولعلها مشكلة كبيرة تلك الحالات التي لا تتوفر فيهـا هذه الشبكات فترى الرجـال لا ينامون اطلاقـا بل يقضون الليل في حركة دائمة ويشعلون النار في اعقاب الشجر والاغصان اليابسة لتحدث دخان قد يجعل الحشرات تبتعد ولكن كيف يمكن للانسان ان يقضي الليل كله هكذا ؟؟ نقضي هذه الليلة في حديث طويل يتنـاول مختلف الامور بينما تتحدث كارمن مع رجـال آخرون ويسمـع في ذات الوقت الاطلاقات وصوت انفجار القنابل التي قد تكون حارقة ، يقـول احد الرفاق انهم يقصفون كينيرا مرة ثانية ، ويستمر الحديث . لقد كانت هذه المنطقة غنيـة جدا بالزراعـة وكانت دائما هدفـا للقصف الجـوي البرتغالي . تتوالى الانفجارات فنعرف ان مصدرها قوارب الحراسة التي ترافق قوارب التموين للجنـود البرتغاليين وهذه القوارب تطلق نيرانهـا بلا تمييز وعلى طول الطريق . يقول الرفيق انهم لا ينظرون شيئا ولكنهم يطلقون النار ! ولكن رجال هذه القوارب النهرية لا يمكنهم النجاة بأي حال عند اي حادث فاذا توقف القارب على حافة النهر فسوف يكون من فيه

على مرمى البنـادق التي نحملهـا ، وهذه الانهـار يستخدمها الثـوار والبرتغاليون على السواء في نقل التموين والعتاد .. الخ ، واذا ما أغلقت لاي سبب فان البرتغاليين ينقلون التموين بطائرة الهيلوكبتر ليقذفوا بـه على المواقع المحاصرة .

لقد شهدت احدى هذه المواقع وكنت على وشك زيارته فلقد كـان التموين يقذف اليه من الجو ولم يلبث ان أخلي ، وقال بانساو أن المواجهة بين الثوار وهؤلاء البرتغاليين قد قلّت في الوقت الحاضر .اننا نقصفهم دائما بالمورتر ويردون علينا بنفس الطريقة ولكنهم لا يخرجون من مواقعهم لمواجهتنا . ان بانساو الذي كان قد تلقى تدريبـه العسكري في اكاديمية صينية يقول ان هؤلاء البرتغاليين ليسوا مقاتلين ولا يقـاتلون كما يجب وتعوزهم عزيمة القتال ، لكن احد الرفاق يقاطعـه قائلا ان البعض منهم شجعان ، ويعترف بانساو قائلا ذلك قليل جدا . وحتى في هذه الحال فان هذه القلة لا تستطيع القتال لاسباب منها ان هذه الحرب هي حرب ادغال ومنها ما هو اكثر ، ذلك ان عزائم هؤلاء تثبطهـا عمليات الحصار فـي معسكراتهم من وقت لآخر . لقد وجدنا الكثيرين ممن أسرناهم يقولون ان ضمائرهم كانت توخزهم او يقولون ان هذه الحرب خطرة جدا..الخ. وكانوا يقولون لهم اننا قطّاع طرق وهكذا يبعثون بهم من بلادهم لهذا الغرض . ان المعسكرات والتحصينات البرتغالية هنا هي مثيلة تلك التي توجد في موزمبيق فهي في الغالب لا تزيد عن الميـل الواحد فلقد يتراوح الواحد بين مائتي ياردة الى ميل ، وفي حالـة المعسكرات التـي تكـون مساحتها ميل يكون بها ممر تحت الارض محاط بالاسلاك الشائكة وقرب هذه الاسلاك خط من الالغام المضادة للمقاتلين ويكون هنـاك في العادة مدخل واحد الى هذا المعسكر وفيه تقام المبـاني في مكان وسط يحـاط ايضا بأسلاك شائكة واكيـاس الرمل . يوضع في هذه الحـالة الافارقة

المدنيون خلف المعسكر وتقام روابض رملية للرشاشات الثقيلة غالبـا في كل زاويــة من الزوايا الاربع في المعسكر موجهة الى الاتجـاه الخارجي والذي يتوقع أن يأتي منه الثوار وجميع الطرق والممرات المؤدية الى هذا المعسكر تكون قد غرست بالالغام وعندما يترك البرتغاليون المعسكر او المعسكرات يتركون الالغام كما هي واكثر من هذا يلغمون مداخل المباني اذ يعرفون ان الثوار يدخلون هذه المباني بحثا عن بعض المعدات التي قد تكون تركت .

نمت الليلة قلقلة وأنا أحلم بأنني سوف أكون غدا في وسط حقل من الالغام وقد أيقظونا في الصباح وعرفت ان بعض الرجـال قد استيقظـوا باكرا وأقاموا كوخا ليستخدم كحمام على مدخله قطعة قماش وفي داخله طاولة صغيرة وضع عليها قطعة قماش أخرى لتستعمل كمنشفة وهذا كان اكثر شيء من الترفيه يمكن ان يتوفـر في معسكر ثوار وهذا يعنـي انه يمكن الاستحمام وان المياه قـد توفرت وحقيقـة ان هؤلاء المقـاتلين يحتاجون لحمام ماء بعد معركة او مسيرة متعبة .

في صباح اليوم الثاني غادرت المكان رفيقة باري وفصيل بقيـادة بانساو في اتجاه معسكر برتغالي اخلي منذ فترة وكان هنـاك موعدا مع احد الذين يتعاملون مع حقول الالغام والذي بدأ منذ الباكر في عمله ولقد أخذنا معنا زجاجات ماء ولكن لم نحمل أكل ، لقد كان صباح يوم أحد مشمس وواضح وكان طريقنا ملتويا بحيث نمر على منطقة لتفقـد حطام طائرة اسقطت بواسطة مدفـع رشاش اثناء قيامها بالاغـارة مع طائرات أخرى طيلة اليوم على المنطقة ، في المنطقة كنا نمر عبر غابات، تلاحظنا أسرة القردة بنظرات فاحصة وهي تقبع فوق اغصان عالية ، نسمع صوت الطائر الاستوائي الطوكان ، وهذا الطـائر ذا ألوان كثيرة ويستغرب الانسان كيف يمكن لهذا الطائر السيطرة على توازنه بسبب كبر رجليه تلك الارجل

التي لا يتناسب كبرها مع جسمه . هذا الطائر المزركش ، كلما توغلنـا في اتجاهنا بدأت تظهر الاشجار التي يقل اخضرارها والعشب الذي يميل الى الاصفرار ، انها في الواقع موحشة ، ويزيد الخوف عندما يتصور الانسان ان الماء القليل الذي يحمله قد ينتهي وهو يصارع الاغصان المتشابكة من اجل الحياة !! بعض الاشجار يوحي وضعها وكأن الارض ترفضها او كأنها تقتلع نفسها من الارض لملاقاة الشمس والهواء واشجارا أخرى لم تقدر جذورها على حملها فهوت على الارض منطرحة كأنها في راحة المـوت ؟ بعد ساعة تقريبا خرجنا الى الهواء او اننا انتشلنا أنفسنا من بين الاشجار، ومنّا من حاول ان يسكب قليلا من الماء القليل الباقي على رقبته وظهـره فلقد كانت الحرارة حارقة . اشار باري ، تلك مغارة كايمان ، لقد هجرت منذ فترة وهي رطبة . ومغارة كايمان هي في بعض الاحيان مكان للتماسيح الافريقية التي لا يخترق جلدهـا الرصاص احيانـا وان كانت في النهـر تتحرك بسرعة فان حركتها في الارض بطيئة .

بانساو وباري والبقية فيما يظهر اقل تعبا مني ، انا الذي كنت أتمنى أن تكون رحلاتي في موزمبيق قد خلقت عندي بعض المقاومة لاحتمل هذا الذي يجري في غينيا البرتغالية . ولقد ظهر التعب مرة واحدة وقد يرجع هذا الى اني عدت من موزمبيق الى بلادي او الى تنـاول التبغ بكثرة . واعتقد ان جميع هؤلاء الثوار لا يتناولون التبغ الا نادرا او في مناسبات ان حدث . والآن أتذكر تلك المحاضرة الطويلة التي سمعتها من كابرال ، ان المشكلة الاساسية الآن هي الحـرارة ، رأيت الرفـاق وقد توقفوا في مكان قريب وبدأ باري في تجميع الاغصان الخضراء التي يريد استعمالها للجلوس وبعد ان جلسنا ونحن في غاية الانهاك بدأ رفيق آخر في قطـع اغصان اخرى ليضعها فوقنـا اذ انها قد تساعد على تقليـل الحـرارة . في هذه الاثناء شاهد باري غزالا فراح يجري وهو يحاول اطلاق الرصاص واخيرا جيء بالغزال الذي ذبح فورا ولم يكن باري سعيدا لكثرة الجراح

التي ظهرت على جسم الغـــزال • وهكذا فسوف يكون لهؤلاء الرجـــال بعض اللحم هذه الليلة خصوصا ان الحيوانات في الغالب قد هجرت المنطقة بسبب القصف الشديد والدائم •

كان أمامنا مسيرة ستة ساعات كاملة الى المكان المقصود ونحن تقريبا لا نملك الماء الكافي • اقترح بانساو أن يذهب الى مكان آخر ليبحث عن الماء في هذا المكان الذي يتذكره وهو يبعد حوالي عشرة اميال، وقال اننا على الطريق عند المعسكر المهجور بينمـــا كنت أريـــد رؤية الطـــائرة التي سوف نلتقي على الطريق عند المعسكر المهجور بينما كنت أريد رؤية الطائرة التي أسقطت وكانت قد أسقطت قريبا منا وتبعثرت الى أجزاء • كانت طائرة فيات وقد مات قائدها في نفس الوقت، لقد كان اسقاط الطائرات ذا اهمية معنوية للمقاتلين والمدنيين، اذ ان الطائرة تسبب دمارا في حياة المدنيين فهي تدمر قرى بكاملها وتحرق حقولا من المزروعات، وهذا بالتالي،اي اسقاط الطائرات يمثل انتصارا عسكريا كبيرا على هؤلاء الذين يتقدمون كثيرا في المعدات الحربية على الثوار ، واذا كان هؤلاء الثوار قد هزموا البرتغاليين على الارض فان هزيمتهم في السماء لا بد منها وبرغم قلة المدافع المضادة للطائرات فان هؤلاء الثوار لا يملكون اية طائرات وهذا يجعل الطائرات البرتغالية تقذف بما لديها دون خوف فيما عدا الرشاشات التي قد تصيب احيانا • وتعود الطائرات الى بيساو التي تبعد مسافة عشرون دقيقة فقط، ان الطيارين البرتغاليين يوجهون قنابلهـــم الى اية تجمعات مدنيـــة في اي مكان اذ يتوقعون ان يكون هناك تواجد للثـــوار بين هؤلاء ، وعندمـــا يفرغون حمولاتهم من القنابل يعودون الى قواعدهم ، ويعرف المواطنون الافارقة ان الغرض من قصف التجمعـــات وتدمير قرى بكاملهـــا وتوجيه الضربات العنيفة للمدارس والمستشفيات التي أقامها الثـــوار هي للتأثير على معنويات الافارقة وجعلهم لا يؤيدون المقـــاتلين • وليس مهما لدى البرتغاليين عدد القتلى المدنيين ، فهم يوجهـــون قنابلهم دون اي تمييز ،

ومهما يكن من امر هؤلاء البرتغاليين فان هـذه الثـورة التي تميـزت بخصائص الثورة النضالية والتي لا يمكن اعتبارها مجـرد تمرد محلي ، مهما كانت الامور لا يمكن لهؤلاء المواطنين التخلي عن الثورة التيحررت ثلاثة ارباع البلاد ، وتحرير ثلاثة ارباع البلاد لا يعني فقط وجود الثوار بها بل يعني النظام الاداري بكل ما يعني ، وعلى العكس فان كل طـائرة تقصف وكل قريـة تدمر انما تعنـي اول ما تعني زيـادة الرفض لهؤلاء البرتغاليين •

عندما تقوم الطائرات البرتغالية بغاراتها على المدنيين الافارقة تقذف مع قنابلها الحارقة منشورات ومطبوعات تحث فيها هؤلاء المواطنين على عدم التعاون مع الثوار وكأنها تريد ان تؤكد لهؤلاء ان هذا الدمار سوف ينتهي بمجرد ان يستسلم هؤلاء ولكنهم في الغالب ينشغلون عن المنشورات في مراسم دفن موتاهم • يقول باري ان القلعة تبعد حوالي ميلا واحدا من هنا وقد خرجنا من الغاب لتظهر أمامنا طريق كانت تستعمل لتموين القلعة فيما يتضح ، الا ان الثوار كانوا قطعوها • واضاف ان الالغام قد أزيلت ولكن ليس من اللازم الخروج عن وسط الطريق تحوطا وهـذه المرة هي الاولى التي لا أتأخر فيها عن الرفاق ولقد نسيت الجوع والعطش وعندما وصلنا القلعة كان بها حوالي خمسة عشرة من الثوار بما فيهم خبير ازالة الالغام • كادت الامور تسوء فلقد شربنا آخر قطرة من الماء الا ان بانساو قد جاء لتوه بعد ان قطع سبعة عشر ميلا عندما كان يبحث عن الماء، واحضر معه اخيرا زجاجتان مملؤتان بالماء • ولم تكن الا فترة قليلة حتى بدأنـا السير من جديد ، جميع الرجال يحملون أسلحتهم وذخائرهم يتجهون في صف واحد وجهة غير منظورة ، وان كانت فيما سمعت هي القلعة القديمة، وكان لا بد ان نصلها قبل حلول الظلام ولم يكن هناك برتغاليون فلقـد هجروا المكان ومع هذا يسير هؤلاء الرجال وهم مستعدون لاي طارىء • هنا قال بانساو ، ان الطريق منذ هذه المنطقة ملغوم ، لقد بدأنا في ازالـة

الالغام ولكن لم تتم ازالتها جميعا ولا نعرف مقدار العدد الباقي ، ولقد بدأ خبير الالغام يستخدم ذلك الجهــاز الذي يحمله ولاحظت الاقراص الحديدية المستديرة والتي لو انفجرت لأمكن ان تقطع الجسم أربا او قد تزيل رجلا الانسان من جسده او تقطع يديه او رأسه وهذا يتوقف على الزاوية التي كان بها عندما وطأ بقدمه على هذا القرص . وقيل لنا ان هذه الالغام ضد البشر وان غطاؤها مطاطي وهكذا فان أجهزة تحسس الالغام قد لا تكشفها ولهذا كــان الخبير يستخدم نوعا آخر من اجهزة الالغــام وذكر لنا انه قد يستطيع ان يحس بوجود الالغام حتى بدون الجهاز وذلك انه يملك احساسا خاصا به في هذا الامر ولعل مرد ذلك الى كثرة الالغام التي تعامل معها . وكنا نسير ببطء شديد في اتجاه القلعة ، ولم يكن فــي الواقع الخوف بشكل محدد هو الذي يسيطر على اعصابي ، انمــا هو شعور غير ذلك اشعر به وكأنه يكمش بارجلي ثم يتحرك رويدا رويــدا صاعدا الى دماغي . يذكرني باري بانه يجب علي ان امشي خلفه وان اضع اقدامي تماما في مواضع قدميه ويحذرني مــن ان اخطيء . لا اشعر بشيء اكثر من تركيز ذهني كاملا على موقع اقدام باري ولذا فان الارض امامي منبسطة والدنيا كلها هي آثار موقع اقدام هذا الرجل الذي اتبعه . يقتلع خبير الالغام احدها ويقول انهم دائما يضعون آخر،قريبا من الاول لكي لا يفطن اليه من يقتلع اللغم الاول فينفجر، ويطلب منا ان نبقى في مكان واحد ريثما ينتهي من هذه الالغام الشياطين ، وليس اصعب على الانسان من ان يسير الى المجهول وقد يكون هذا المجهول قاتلا . تصور وانــت تمشي ودون ان تعي شيئا تضع رجلك على لغم وانت تعرف ان هذا اللعين قــد يقطع على الاقل رجليك ولا تنتبه .

بينما كنت اتبع موقع اقدام باري ظهرت على الجانب الايمن مــن الطريق تلك القلعة القديمة وهي من الحجر الابيض ويظهر انها قد هجرت منذ مدة اذ ان السطح الحديدي قد اقتلعته الرياح ولكنها ما تزال محاطة

بالاسلاك الشائكة ولم تكن كما كنت اتصور في ذهني ، فهي مبنى مربع والقلعة ليست على هذا النحو وقد تكون المعارك التي دارت حواليها قد جعلتها تأخذ الاسم ، فالقلعة في العادة هي حصن يلجأ اليه الناس للاحتماء، وهي تقف في فضاء يحيطها من كل جانب ، فالاشجار التي كانت في المنطقة اقتلعت تماما وهذا يجعل الدفاع عنها سهل جدا اذ على مدى رؤيا النظر لا توجد حواجز ولا يمكن للثوار مباغتة المدافعين عنها ــ وهذا بالطبع اضفى عليها هالة قد لا يتصور الافريقي العادي انه يمكن اختراقها •

هل سأدخل مع بانساو وباقي الرفاق الى هذه القلعة، الاجابة لا• اذ لا يمكنني ذلك ، فليس من الممكن فعل هذا بعد الخوف الذي رافقني في هذا الطريق ولعلني كنت ذات حظ كبير ولا يجب ان اتجاوز هذا الحد،وشعرت بالندم لعدم دخول هذا المبنى رغم خوفي ، فلقد كان يمكن ان اتخيل كيف كان يعيش الناس بداخله برغم انه خال من كل شيء في الداخل ، بدأت اتخيل ما بداخل المبنى ، حالة الجدار من الداخل والارض •• الخ •

تركنا المكان وبدأنا نتجه الى وجهتنا الاخرى ولاحظت امامي خيطا اسود مخبأ بشكل دقيق وكدت اجذبه برجلي الا انني وقفت كعود الخشب في مكاني ولاحظت الخيط في نفس الوقت الذي حاول فيه باري ان يلفت انتباهي له ولا اعرف كيف تجاوزه الآخرون دون ان يمسوه ولكن مع هذا لو كنت جذبته برجلي لكان الجميع قد ماتوا • طلب مني ان اقفز فوقه وهكذا فعل الآخرون حيث انذرناهم بوجوده • ومع حلول اشارة الظلام الاولي بدأ الطريق يختفي وقيل لنا ان الطريق سوف يغدو غير مرئي تماما عندما ينزل المطر بعد شهر او كذا حيث ينبت العشب في المنطقةفيخفي معالم الطريق • لقد تعلم الثوار كيف يستخدمون الالغام وهم يحصلون عليها اما من المعسكرات التي يدخلونها او يقتلعونها من الارض ويعيدون استعمالها ، وذوات الاحجام الكبيرة تستخدم ضد المواصلات مثل عربات

النقل بينما تستخدم الصغيرة ضد المشاة .

لقد شاهدت في المنطقة عربة احرقت تماما وكان بها حوالي عشرون جنديا قتلوا جميعا وكثيرا ما يستخدم الثوار تكتيكات عسكرية تتمثل في مفاجأة جنود البرتغال في مناطق على ملتقى الطرق وحيث تزدحم السيارات العسكرية فيستولون على المعدات والذخائر . ذكر لنا بانساو الذي لحق بنا ان القلعة لا يوجد بها شيء في الداخل ولكن الالغام قد زرعت في كل مكان كثمرة نبات البطاطس الواحدة بمحاذاة الاخرى . بعد عدة ساعات من المشي وصلنا معسكرا للثوار وتناولنا بعض الاكل ومنه سمك النهر الذي اصطيد هذا اليوم . اثناء تناول الطعام خرج احد الثوار من الغابة القريبة وهو يقول بصوت عال انه قد لدغ ولا يعرف ما اذا كانت افعى قد عضته او شيء آخر ، ورحت ابحث عن دواء ولم يكن هناك دواء مضاد لسم الافاعي وبعد الفحص لم نعرف نحن ايضا ما اذا كانت افعى ام غيرها الا انني قلت لو كانت افعى لكان الآن قد مات خصوصا وانه فات بعض الوقت على الحادث . وفي صباح اليوم الثاني كان هذا الرجل بخيروعرفت فيما بعد ان احد الاطباء قد اكتشف علاج مضاد للافاعي ، الا انه لم يكن موجودا اثناء الليل . تناولت الغذاء مع اعضاء قبيلة البالاتتي وكنت اريد ان استمع الى الموقف من وجهة النظر العسكرية .

الفصل الثالث عشر

رجال حركة تحرير غينيا سجلوا تحولا في الحركة الثورية ، فلقد بدأ تنظيم المقاتلين لتكوين الخلايا السياسية والاجتماعية • وبدأ هذا بان وضع موجها سياسيا مع كل مجموعة ليتناول الامور خطوة خطوة حسب الواجب السياسي الثوري • لكل منطقة قائدها السياسي ويتبع هذا القائد السياسي عدد من الموجهين بشكل هرمي يبدأ من اعلى وينتهي الى المستوى القاعدي وحتى الى مستوى الجماعة الصغيرة التي تقاتل في الادغال• فهناك لجنة من خمسة رجال في كل قرية في المنطقة المحررة • والموجه السياسي هو مجموعة من عدة واجبات ، فهو السياسي والمنظم والموجه وهو المدرب وقاضي الفصل في الخلاف وهو المستشار ، ولا خلاف على الاطلاق ان السياسي في الميدان يقود العسكري •

كانوا يقولون دائما عندما يريدون تذكيري ، نحن حزب سياسي وليس منظمة عسكرية ففي كل وحدة قتالية هناك موجه سياسي يوجهها ويقاتل معها جنبا الى جنب وكذلك يوجد موجه سياسي في كل مركز صحي للاسعاف الاولي في الغابات وفي كل معسكر تدريب •• الخ وعادة فان الموجه السياسي يكون من الرعيل الاول في الثورة بحيث يكون على فهم وعلم تام بالامور وهو قادر على تعبئة المواطنين اذ يعرف تماما وضعهم النفسي وعاداتهم • ولقد لعب الموجه السياسي دورا اساسيا منذ البداية اذ ان الموجهين السياسيين هم الذين جعلوا المواطنين يقاتلون البرتغاليين في القرى التي وقع عليها الحصار ، قاتلوا بالنبال وبالقوس واقاموا المتاريس لأعاقة تقدم جنود العدو ، كانوا يقتلعون الاشجار ليضعوها في الطرقات،

والموجه السياسي وهو على اتصال دائم بالمكتب السياسي في (غينيا البرتغالية) يكون العمود الفقري في الحركة الثورية ، فهو ينام على الارض مع الفلاحين ويتناول نفس الارز الذي يأكله هؤلاء الفلاحون ويعمل مع الجنود في الميدان بل ويقاتل معهم . وهنا ينظر الى المقاتل على انه مواطن يحمل سلاحا ولا يختلف عن المواطن الآخر اذ مجرد ان تنتهي الحرب سوف يتحول الى مواطن عادي يسهم في بناء الوطن والثورة والتقدم. والمواطنون يحظون بالتقدير المماثل لهذا المقاتل اذ الكل يساهم بقدر ممكن في خدمة النضال والوطن .

قد تكون الفكرة في البداية غير مستحسنة الا ان الثوار الفدائيين عادة تبنى عقيدتهم على التصور الواضح والذي ينال الاعجاب ولا يثير الخوف ، ولو كانت العسكرية مثل عسكرية البرتغاليين فانها دائما تثير خوف الفلاحين وهكذا فان الثورة ستجد نفسها عارية من سندها الاساسي والمهم ذلك هو الفلاح الذي يمثل فعلا وقود وسند النضال الثوري لهؤلاء الرجال . ان المقاتلين وهم يحملون السلاح انما يؤمنون بان الخطر لايواجه الذي يحمل البندقية فقط بل كل المواطنين ولعل الموت لا يخطيء في الكثير ذلك الفلاح في اي مكان ، وهكذا فان الفلاح الذي يزرع الارز هو بذات الاهمية للثورة كالمقاتل اذ انه يعمل ويزرع ويحصد لنفس القضية وبهذا فهي لا تموت . ويعتمد المقاتلون على الفلاحين في توفير الغذاء وفي المأوى بعد قتال منهك طول النهار وكذلك في المساعدة على نقل الامتعة والذخائر عبر الغابات .

ولتحديد المسؤولية وتفويت الفرص على بعض الذين يمكن ان يستخدمهم الاستعمار البرتغالي ، فان المناطق والقرى تنتخب لجان من المدنيين مهمتها الاشراف والتوجيه ، وهذه ظاهرة جديدة فعلا في حركة التحرير ، لا يوجد في حركة التحرير الافريقية هذه ، شخص غير مسؤول

فالجميع مسؤولون ولا يوجد من يسيطر او يصدر الاوامر لانه يرتدي لباس الكاكي بل الجميع اخوة والجميع مسؤولون والجميع ثوار ولذا فان المسؤولية جماعية والنتائج دائما مطمئنة . القيادات العسكرية العليا في القواعد العسكرية ذات احترام كبير والانضباط لا نقاش فيه وعندما يظهر ما يخالف النظام فان النقل الى مستوى اقل ومكان آخر اجراء لا بد منه . لا توجد رتب عسكرية ولا شارات ولا تعطى التحية العسكرية المعتادة في الحياة العسكرية برغم ان هناك قادة ، ويسمون باسم القائد في المعسكرات والقادة هم الذين يقودون قطاعات كبيرة بينما يطلق اسم الرئيس على القيادات العسكرية التي تقود فصائل او مجموعات عسكرية اقل .. الخ وينادي الآخرون بعضهم بعبارة الرفيق او الاخ .

وظاهرة ايضا جديدة يلاحظها الانسان هي الاحترام ، فالقائد يكون قد اكتسب احترام الآخرين من خلال قيادته لفترة طويلة وخبرته وقدراته وامكاناته وذكائه وتحمله المسؤولية مثل القائد نينو فيرا قائد الجبهة الجنوبية . وليس لهذا القائد رتبة عسكرية والفارق الوحيد انه يضع ساعة في يده ، والساعات قليلا ما تستخدم بالنسبة للآخرين فهي تعطى للمسؤولين عن الامور الدقيقة والتي تحتاج الى توقيت ، وان كان التحرك دائما يخضع لتخطيط خاص ويملك القائد نينو جهاز راديو صغير يستخدم للاستماع للاخبار من الاذاعات الافريقية ـ وهو في خدمة الثورة منذ اربعة عشرة سنة ، هذه السنون التي تعلم فيها ان الخوف لا مكان له في قلبه وحاز على مركزه القيادي بالقدرات الكبيرة التي يمتلكها ، وهو قليل الكلام ولا يبتسم الا قليلا وان كان يعامل رجاله بكل احترام وتقدير . ولقد ذكر لي هذا القائد ان الاحترام والانضباط القائم بين الرجال هو نتيجة للتربية الحزبية وروح الاخوة القائمة بين الجميع ولقد لاحظت ان جميع المقاتلين بدون استثناء يقدرون الواجب ويستجيبون تلقائيا لادائه وهو عادة جيدة في آلة الثورة وهو دليل على الايمان بما يؤديه هؤلاء

الرجال ، والاستجابة التلقائية للواجب هي في الواقع تضحية اذ قد تكون نتائجها الموت او التعب الجسماني • وعرفت ايضا ان الالتحاق بصفوف الثورة لا يفرض على احد ، اذ ان العمل في صفوف الثورة هو تطوعي وهو بالطبع واجب وطني ولكن لم يفرض على احـد ان يؤديه والحقيقـة ان المتطوعين في صفوف حركة التحرير اكثر من المطلوب لهذه الحركة ـ وعند الالتحاق بصفوف الثورة فان التربية وروح الانضباط تظهر سريعا وهذا يعتمد بالدرجة الاولى على الموجه السياسي وكذلك روح الاخـوة التي يحس بها الجميع كـذلك فان احد العوامـل الاخرى كما ذكر لي احـد الموجهين السياسيين ، ان هؤلاء الرجال يلتحقون بالثورة لاسباب قبليـة وعائلية ، فقد يعير من لا يخدم الثورة بانه تخلف عن خدمة شرف قبيلتـه وهذا اذا حدث سوف يستمر معه مدة طويلة •

وسألت ماذا عن التدريب والتجنيد ؟ قيل لي ان الحركة اولا تبحث عن امور اساسية في من يقوم بالالتحاق ، اولا المسلك والقدرة والامكانية والاقدام الخ وقد يقال ان هذا مطلوب حتى في حالات التجنيد الاخرى في البلدان الغربية ، الا ان الحقيقة ان حرب العصابات تختلف كثيرا عن كل الحروب • ومن الطبيعي ان التدريب يتم في المناطق المحررة والتي تسيطر عليها الثورة ومدة التدريب مبدئيا ثلاثة شهور يتعلم خلالها المتدرب على القتال في الغابات والادغال واستخدام الاسلحة ثم هناك تدريب آخر متقدم يتعلم فيه المتدرب الامور السياسية كعقيدة الثورة ومبادئها واذا ما ظهر لدى المتدرب قدرات اكبر وامكانيات قيادية فهو يبعث في مهمة تدريبيـة خارج البلاد للتخصص في احد المجالات •

وطالما انني تعودت الحياة في هذه الظروف الحياتية وبـدأت اعرف الكثير من الامور سألت السيد نينو فريـدا بعض الايضاح حول هـذه النقطة • لقد سمعت ورأيت ان الكل بما في ذلك الاطفال والنساء يعملون

للثـــورة ويسيرون مسافات طويلة فلـــماذا التدريـــب فهؤلاء بالطبيعـــة مدربون ؟؟

برغم ان الافارقة تعودوا المشي منذ الولادة فان الواجب العسكري يحتاج التدريب وخصوصا فيما يتعلق بالانضباط ونظام السير ، فالجندي يجب ان يتعود السير لمدة عدة ساعات يوميا دون توقف ، يقطـع اربعـة اميال في الساعة خلال الاربعة ايام الاولى حاملا عتاده وسلاحه على ظهره ويجب ان يتعلم ويتعود ان يسير هذه المدة بلا اكل ، وهـــذا يعني السير تسعة وثلاثون ميلا في اليوم الواحد حاملا سلاحه وكامل تجهيزهالعسكري على ظهره جائعا وهو يسير عبر الغابات والمناطق الكثيفة جـــدا بالاشجار وعبر الانهار وفي ظروف قاسية جدا مثل الحرارة والرطوبة . الشيء الذي يجعل ملابسه مبللة دائما . وبعد هذا كله وقطع هذه المسافات يجـــب ان تكون لديه القدرة على مقاومة وقتال العدو فيما اذا واجهه عند الضرورة. لم يكن السلاح في البداية متوفرا فلقد كانت المجموعة العسكرية الواحدة لا تحمل اكثر من ثلاثة قطع سلاح ثم بدأت الاسلحة تتوفر وكان الواجب الاول لهذه المجموعات العسكرية الصغيرة هو مهاجمة الوحدات العسكرية البرتغالية المتنقلة واخذ سلاحها . لقد كانت كل الظروف قاسية على هؤلاء الثوار ونظرا لقلة الاسلحة والعادات المتأصلة بين افراد القبائل الافريقيـــة فلقد كان هؤلاء المقاتلون يعتمدون على بعض التعاويذ والاحجبـــة عند الدخول في معارك قتالية مع العدو وهذه الامور ايضا وجب على الحزب معالجتها والعلاج يحتاج وقتا من الاعداد والتوعية ولا يتوفر الـــوقت ولا المكان ولا الظروف اذ من المعروف ان القوات البرتغالية كانت تريد القضاء على الثورة والثوار قبل ان تكبر وقبل ان يتكاثر مؤيدوها والمدافعـــون عنها . وكان بعض الرجال يطلبون مساعدات مالية ليدفعوا منها للسحرة وكتاب الاحجبة قبل مواجهة البرتغاليين وكان في الكثير من الاحيان على الحزب ان يدفع المساعدات المالية لهذا الغرض اذ ان قادة الثورة يدركون

الواقع المعاش ، فاذا كانت الاسلحة غير متوفرة والوضع غير متكـافيء فيجب ان يكون هناك عنصر دافع ومبعث للقوة حتى ولو كان بالسحر او التعاويذ . هذا ما تذكره احدى وثائق حركة التحرير الغينيـة ، وتستمر الوثيقة لتقول :

وعندما توفرت الاسلحة وقام التدريب فان من يأتي ليطلب مساعدة مالية من اجل الاحجبة هذه كان يقال ان كل ما تحتاج اليه هو السلاح وتوضع في يده بندقية او مدفع رشاش حيث يؤكد له مندوب الحزب ان ما يملكه العسكري البرتغالي هو هذا السلاح وذلك ما يحتاجه، وهو ايضا ما تتوقف حياته عليه ، ورويدا رويدا خلقت الثقة في المقاتـل الذي كان يعتمد على التعاويذ وصار تكوين المجموعـات العسكرية من ٢١ رجلا يحملـون مختلف الاسلحة مثـلا البنادق نصف الآلية والرشاشات الثقيلة والبازوكا ، ويقود هذه المجموعة قائد عسكري يرافقـه موجه سياسي مـن الحزب ، يقول نينو ، لقد كانت المشاكل كثيرة فمثـلا لـم يكن عدم توفر الاسلحة هو المشكلة الوحيدة ، فلا توجد خرائط يمكن الاستدلال بها كذلك فان الرجال لا يخبرون المناطق وكان بعض المدنيين القاطنين في منطقة القتال يعملون مع المقاتلين ليدلوهم على الطرق بينما تعمل عائلاتهم لاطعام هؤلاء المقاتلين . والمشكلة الاخرى هي عدم توفر الاطعمة وعـدم توفر الملابس والاحذيـة ، واذا ما توفرت بذلـة عسكرية للمقاتـل فانها لا تعيش في الغابة اكثر مـن ثلاثة شهور والسعيد جدا هو الذي يحصل على بذلة واحدة ولا بديل لها وقد يستعمل ملابسه الخاصة ان وجدت للمبادلة مع البذلة العسكرية وهذه ايضا تتمزق بسرعة الا انه لحسن

الحظ يقدم المواطنون المساعدات وكذلك بدأت البلاد الصديقة بتقديم العون كالالبسة والذخائر والاسلحة. ان المقاتل عادة يجد نفسه مضطرا للوقوف في منتصف الطريق لاصلاح الحذاء الذي انقطع او لملمة الملابس التي تناثرت ومع ذلك فان هذا لا يؤثر على العقيدة القتالية لهؤلاء الرجال .

الملابس والعتاد والاسلحة تنقل من مكان الى مكان عبر الغابات والانهر على اكتاف الرجال والنساء وخصوصا في المنطقة الجنوبية حيث تتشابك القنوات المائية والانهار وهؤلاء الذين يحملون العتاد والسلاح لمسافات طويلة ينقلون في الغالب طعامهم معهم وفي بعض الاحيان يحصلون على الطعام من الحركة الوطنية وهو قليل من الارز . لقد انشأت الحركة الوطنية عدة جبهات منها واحدة في الجنوب واخرى في الشمال والثالثة في الشرق وهي تعرف بالانهار الرئيسية في غينيا ، نهر جيبا الذي يتدفق الى الاطلنطي عبر العاصمة بيساو في وسط البلاد ونهر كروبال الذي يتفرع من جيبا ليتجه كطريق الافعى عبر المنطقة الجنوبية وما يزال البرتغاليون يسيطرون على كثير من المناطق وان كانت في الغالب محاصرة بالمناطق التي يتواجد فيها الثوار او التي تقع تحت سيطرة الثورة بالكامل وكذلك فان سيطرة البرتغال ما تزال قائمة في المناطق المنخفضة ولكن نشاط الثوار يتزايد وتجري العملياتالعسكرية الآن بالقرب من العاصمة بيساو والرأس الاخضر ومجموعة الجزر البركانية المكونة للمثلث الذي يلامس الاطلنطي غرب السنيغال وكانت لها اهمية ابان تجارة الرقيق الاسود في القرن الخامس عشر والى ان احتلها البرتغاليون وكانت لفترة ما منطقة يلجأ اليها صيادو السمك السينغاليون وبعد الاحتلال البرتغالي حصل نوع من التزاوج والعلاقات الجنسية بين الرجال البيض الذين هبطوا جزر الرأس الاخضر والسكان البالغ عددهم حوالي مائتي الف افريقي هم ملونون

ويأتي هذا من الاصل العرقي ومع هذا فان الحركة الوطنية تعتبرهم جزءا من الثورة ولقد رأيت بنفسي عددا من هؤلاء يقاتلون مع الثـورة فـي الادغال ورأيت منهم من هـو ابيض لا يختلف عني انا الامريكية وهـذا الابيض لا يشعر بأي فارق بينه وبين السود المقاتلين ولا هم يشعرون باي فرق • ومـن اهداف الحركة الوطنيـة تحرير الرأس الابيض ايضا مـن البرتغاليين ـ وفي غينيا تكرر الحركة الوطنية هجماتها عـلى المعسكرات والحاميات البرتغالية عدة مرات في اليوم الواحد لكي لا تعطي وقتا مـن الراحة لجنود البرتغال هذه الهجمات اليومية ترافقها هجمات اخرى اكبر منها حيث يقوم الثوار بالهجمات الصغيرة اليومية بالتتالي على المعسكرات ومناطق المراقبة ثم يتلونها بهجمات كبيرة في مجموعات تتكون كل منهـا من مائة مقاتل تستهدف مواقع القيادة والمعسكرات الكبيرة •• الـخ ولا تكون الهجمات الكبيرة هذه يوميا انها مع ذلك دائما تستهدف القيادات والمنشآت الهامـة والحيويـة وفي مثل هـذه الهجمات تكـون خسارة البرتغاليين كبيرة وان كانوا لا يعلنون ذلك في الخارج وكمثال ، فانـه في هجمة واحدة على احد المعسكرات قتل الثوار مئتين وتسعة وثلاثين جنديا ودمر الثوار قـاربين في نهري جيبا وكومبيديا ، وكعمل انتقـامي قامت الطائرات الحربية البرتغالية بتدمير اثنتي عشرة قرية افريقية وقتلت خمسة عشر مدنيا وجرحت حوالي ثلاثة عشر افريقي مدني آخر ثم قذفت مدرسة للاطفال الافارقة بثلاثة عشرة قنبلة نابالم في الجبهة الشرقية مـن مناطق حركة التحرير ، وعادة ما يعلن الثوار ان خسائرهم اقل بكثير من القوات البرتغالية ويرجعون هذا الى العمليات السريعة ومعرفتهم لجغرافيا المنطقة، ومن الطبيعي تصديق هذا فليس يتساوى تدمير ناقلة كاملة بمن تحمل من جنود مع قذف قنبلة في غاب من ارتفاع شديد قد تصيب او لا تصيب احدا والحالة الاولى يقوم بها الثوار بينما يقوم الاستعماريون بالثانية ، واذا ما حدثت مواجهة عسكرية بين الطرفين فان البرتغاليين سرعان ما يفقـدون

الثقة في انفسهم في حرب الادغال امام الافارقة وعندما يفقد المقاتل الثقة في نفسه فهو يفقد كل شيء تماما ، وكمثال آخر فان الجندي البرتغالي يخاف الافاعي والحيوانات في الغاب برغم انه يرتدي بذلة عسكرية ويستخدم ادوات حديثة وقد يكون راكبا عربة او قاربا في النهر بينما الافريقي حافي القدمين لديه حماية ذاتية فهو نفسيا لا يخاف الحيوانات والافاعي التي عاش معها منذ الولادة .

كذلك فان رصد تحركات جنود العدو يقوم بها مدنيون دربوا تدريبا عاليا على هذا العمل وهم يمثلون شبكة استخبارات هامة للحركة الوطنية ويتوزعون داخل الغابات الكثيفة ليراقبوا كل حركة لجنود العدو ويحددوا مواقع الالغام الخ ، واذا كان الجنود البرتغاليون مجهزين بالمعدات والاسلحة المتقدمة ويستخدمون الطائرات العمودية وغيرها الا انهم على ما يبدو غير مقتنعين بالعمل العسكري الذي يقومون به اذ انهم لا يتخذون اية مبادرة وان عزائمهم منخفضة جدا ويمكن الاعتقاد بان ذلك عائد الى انهم لا يعرفون بالدرجة الاولى لماذا يقاتلون في هذه البلاد ، والخطر الحقيقي هو خطر الطائرات الحربية والطائرات العمودية وزرع الالغام الكثيفة وهذا يحدث اضرارا في المدنيين .

الفصل الرابع عشر

وبعد ثلاثة ايام غادرت كارمن المعسكر الى قاعدة اخرى في الداخل وكان علي ان الحق بها بعدئذ ولقد اصطحبت معها ادوات وحراسة قليلة وانضم الى مجموعتنا ابو بكر كامارا وبيدرو ، وبيدرو هذا كان قدالتحق بصفوف الثورة منذ سنة واحدة فقط وهو شاب كان قد حصل على درجة علمية في الفن التشكيلي الا انه فضل البندقية التي يزهو بتدليتها على كتفه . عدد مجموعتنا الآن حوالي خمسة عشر شخصا بما فيهم هؤلاء المتطوعون لحمل الامتعة كالارز والفواكه واللحم المعلب .. الخ وقيل لي ان المسافة سوف نقطعها على الحمالة ، هذه الكلمة التي اخطأت في فهمها وعرفت بعدئذ انها ترجمة فرنسية لقفص يعمل من جذع شجرة تحمل او تجر باعمدة جانبية طويلة بواسطة عدد من الرجال ، وعلى اي حال فهي وسيلة قد تساعد على ان يستمتع الانسان بالهواء جانب النهر في هذه المنطقة ويوفر جهده لمناطق اخرى عليه ان يقطعها سيرا ، وفي كثير من الاحيان يكون هذا السير ليلا لتجنب قصف الطائرات البرتغالية التي تقطع المنطقة بمحاذاة النهر جيئة وذهابا طيلة ضوء النهار . وبعد السير نقطع مسافات اخرى في النهر على ناقلات نهرية صنعت محليا وعلينا في هذه الحالة ان ننتظر قرب النهر وصول هذه الناقلات التي لا مواعيد لها ولا يعلم احد ماذا تحمل ، فقد يكون بها اطعمة وحيوانات او دواجن .. الخ وتقطع عبر النهر المسافة ببطء شديد فهي لا يمكن تحديد سرعتها اذ يكون الحال متوقف بالدرجة الاولى على المد والجزر في مياه النهر ، كان علي ان اتحمل مشقة السير طيلة الليل وعدة ليال والا فسوف يطلب الي العودة

الى اقرب معسكر تركناه وهذا يعني عدم القدرة على مواصلة الرحلة .

انتظرنا عدة ساعات لتصل اول ناقلة ، وهذا الانتظار تحت اشجار كثيفة مليئة بالحشرات وعلى ارض رطبة ونتنة جدا ، بعد هذا الانتظار وصلت الناقلة وكانت هناك شمعة واحدة بضوء خافت جدا ، توقفت الناقلة على حافة النهر وصرنا نرى من فيها ونسمع اصواتهم ، عددا كبيرا من الناس ، اطفالا ونساء ورجال ثم ظهر ان الناقلة حمالة وهذا يعني انها تحمل اغذية واشياء اخرى ، هبط منها عدد من الناس كل يحمل احمالا وهي من الاغذية كالارز واللحم .. الخ بالنسبة للنسوة فهن بالاضافة الى الامتعة يحملن اطفالهن على ظهورهن ، وهذه الحمالة اصلا تحمل عدد اثني عشر راكبا فقط بينما يوجد بها الآن ضعف هذا العدد ويستغرب الانسان كيف يمكن لهذا العدد الكبير ان يجد مكانا . النسوة من قبيلة البالانتي يضعن حلقات حديدية حول معاصمهن وغطاء على رؤوسهن وكل امرأة تتحزم بقماش يتدلى من وسطها الى ركبتيها دون ان تكون في هذا القماش ازرار او مماسك وهي تستطيع السير وسط الغابات اميالا عدة تحمل طفلها على ظهرها وآنية ماء في يدها وفي الغالب قفة فوق رأسها وعندما تتوقف الناقلة يقوم الرجال بنقل الاطفال وهؤلاء يرتدون سراويل وقمصان كالخرق البالية ، يقومون بانتشال الاطفال من المياه التي تصل الى الركبة ثم يقومون بنقل الامتعة وبقية المنقولات الثقيلة وتقوم النساء باعداد مكان الجلوس في الغالب حيث يعد قليل من الاكل وعند ضوء الفجر يقمن كالعادة باعداد بعض الاكل ويسرن مسافات طويلة .

وهكذا ، وفيما يظهر ، فان المرأة الغينية هي اطول قامة وانحف جسدا من قرينتها الموزمبيقية وهن عاريات من الرقبة حتى الوسط الا من علامات تعلق في الرقبة قد تبين ما اذا كانت الواحدة مسلمة او مسيحية وهي تتمتع باستقلالية وصلابة كثيرا ما يحترمها الرجال . ولعل ثدي المرأة

الافريقية لا يعني شيئا بالنسبة للرجال فهن يقمن بالمحافظة على ستر افخاذهن ولا يأبهن لثديهن وكثيرا ما تقوم المرأة بلفلفة فخذيها بالقماش الذي يحيط جسدها وهي تقوم ببعض الاعمال لكي لا يلحظ الرجال تلك الاجزاء من الجسم بينما الثدي يتدلى عاريا ، والثدي هنا كالمرفق يؤدي وظيفة في الجسد فقط .

عندما توقفت الناقلة الاخرى على حافة النهر قام الرجال بنقل امتعتنا اليها وكذلك وضعوا الاغذية في احد الامكنة التي يعتقد انها خاصة بها ، جلست في مكاني على الناقلة ووضعت امتعتي بالقرب مني بينما بدأ هؤلاء الرجال يتأكدون من المقاعد المرصوفة على جوانب الناقلة ما اذا كانت ثابتة في مكانها ام لا ، وهي في العادة قطع اشجار تستخدم في هذه الناقلات للجلوس . واخيرا جلسنا جميعا واضيف آخرون الينا في هذه الناقلة وكان يجلس قريبا مني ابو بكر وامامه عدد كبير من الرجال الذين يضعون اسلحتهم في وضع افقي على ركبهم وتحت ارجلنا كميات كبيرة من عتاد المدفعية الشيء الذي جعل الناقلة تكاد تغطس في مياه النهر ولقد بدأ الرحيل حيث حرك اثنان من الرجال الاقوياء مجاذيف الناقلة وبدأوا يخبطون بها الماء ، وهؤلاء من الرجال الذين يعملون في هذه الحرفة منذ وقت طويل ، وهذا النوع من الرجال يتمتع بقوة عضلية كبيرة ، والرجلان حافيا القدمين وان كانا يرتديان سراويل مشمرة الى مستوى الركبتين وقد استمرا طول الرحلة التي تستغرق ساعات طويلة يخبطان المجاذيف بنفس القوة عبر النهر الاسود وخلال ظلام الليل بينما يضيق النهر ويتسع اثناء السير ويتخلل مناطق بها غابات كثيفة تلامس في بعض انحناءاته اعراف الاشجار تلك الناقلة التي يثقل عليها الحمل . كنا جميعا نجلس دون ان نتبادل اي حديث وكل منا يسمع حركة المجاذيف وتصاعد انفاس المجذفين وفيما اتصور فان الجميع يشعرون بالجوع وقد الم بهم التعب في هذه الرحلة الطويلة ، الا انه لن يكون هناك ما يؤكل قبل ظهور النهار ففي هذه

الناقلة لا يكاد الانسان يستطيع ان يحرك احد اطراف جسمه ولقد حاولت ان اتناول قليلا من الماء فكان طعمه خليطا مـــن الماء والنفط فلقد عبىء من مكان في النهر كان به فيما يظهر نفط محروق • كان السكون يخيـم على الجميع والاجسام مكدسة في شكل غريب ؛ وقد يصدق القول انالانسان يقدر على تكييف نفسه في الوضع الذي يوجد فيه • قد يصدق هذا علينا، من كانت رجلاه طويلتين كان عليه ان يثنيهما وذوو الاكتاف العريضةعليهم ان يضموها ، كأن يجلسوا بشكل جانبي ، ولم يكن هناك مكان او امكانية للحركة وبعد الوصول جاء احد الرفاق وكان يحمل في يده مشعلا ليدلنـا على الطريق ، والمشعل عبارة عن حزمة مـــن العيدان والقش وكان كلمـا التهمت النار حزمة القش هذه تناول من الارض غيرها واشعل بها النـــار وهكذا كنا جميعا نتبعه الى ان وصلنا المكان • وهذا المكان عبارة عن عدة اكواخ من الطين والقش ووقفنا امام احدها ليفتح لنا الباب وبعد تبـادل بضع كلمات مع الافريقي الذي فتح الباب ، فهمنا ان القرية متوقـع ان تتعرض للقصف مع اول خيوط ضوء الصباح ولذا فاننا يجب ان نتجـه مباشرة للاحتماء بالغاب • تزودنا بالماء اللازم وواصلنا السير • كانت رحلة طويلة مملة ومضنية ـ هكذا حياة الفدائيين في مثل هذه المناطق من افريقيا فهي غابات كثيفـة واسعة وانهار متعرجة ونقص في الغـذاء والادويـة والمواصلات في مواجهة عدو شرس يملك وسائل التدمير • وصلنا مكان في وسط الغاب قيل انه مدرسة قديمة كان بها بعض المناضد الخشبية وهـي عبارة عن ثلاثة حيطان وسقف وعنـدما وصلناها نام الرفاق على هـذه المناضد منكبين على وجوههم متخذين ايديهم كالوسائد ولقد نمت حتى الظهر والى ان شعرت بحرارة شمس النهار وعندما استيقظت كان هنـاك عدد من الافريقيات جئن يحملن جرار (بكسر الجيم) الماء وبعض الارز على رؤوسهن • تناولنا بعض الاكل وان كان التعب فعلا ما يزال باديا على الجميع • الشابات الصغيرات يقفن بعيدا عنا بينما الامهات يقمن بالمساعدة

وهن كثيرا ما يحملن اطفالهن . وعادة المرأة الغينية ان تحمل طفلها محزوما على صدرها الشيء الذي يؤثر على تكوين جسم المرأة ويجعل الاعصاب تترخى في مقدمة الصدر . علينا بعد هذه الاكلة السريعة ان نواصل السير الى مكان آخر فالحياة لا استقرار فيها وهؤلاء الرجال بشكل خاص دائمو الحركة والتنقل ولا يستطيع من يرافقهم ان يفك حزاما او حـذاء ولست اعرف لهذه الحياة نهاية وان كان الاستمرار فيها جزءا من النضال في سبيل كرامة الانسان .

وفي مواصلة السير ، والحقيقة انهم دائما رحل ، فهم يقومون ببعض العمليات العسكرية في مناطق مختلفـة ولا يستقرون في مكان واحـد . الصعوبة التي الاقيها دائما في الملابس والحاجيات ، اذ ان مثل الـوضع الذي نحن فيه لا يسمح بفتح الحقيبة او حامل الملابس وحتى عندما احاول البحث عن شيء ما من حاجياتي فانه من الصعب ان اجده لاختلاط الاشياء بسبب التنقل ، ومع ذلك فانه ليس من الحكمة البحث بل يجب استخدام ما يمكن ان يعثر عليه الانسان . وتعلمت ان الاشياء او الملابس التي تحتاج الى الغسيل يجب ان تكون دائما معدة بحيث يمكن غسلها متى توفر الماء في اي ساعة او اي مكان . اذ لا فائدة من ان يتمنى الانسان ان يتمكن من غسل كل اشيائه عندما يصل اي معسكر او مخيم بعد يومين كاملـين من السير الشاق . وهنا ظاهرة جديرة بالملاحظة وهي ان هؤلاء الرجال في غاية النظافة فهم لا يتركون فرصة ممكنة رغم كـل المصاعب الا ويغسلـون ملابسهم وقد يتصور القاريء مدى الصعوبة في مثل هذه الحالة . فالمقاتل دائما في ظروف قاسية وطقس متقلب مظهره نظيف بصورة دائمة وهذا في الواقع يدل على حسن التنظيم . ولقد عرفت ان هؤلاء القوم تطبعوا على النظافة برغم الظروف التي يعيشونها وكانـوا قبل ان يعرفوا الصابـون

المستخدم الآن قد اكتشفوا مادة تستخرج من الاشجار لتستعمل للغسيل، اما الآن فان المنظمة قد انشأت مصنعا لصناعة الصابون من زيت النخيـــل والسودا ، واتصور ان الايمان بأي شيء يجعل الانسان قادرا على التغلب على كل صعاب الحياة •

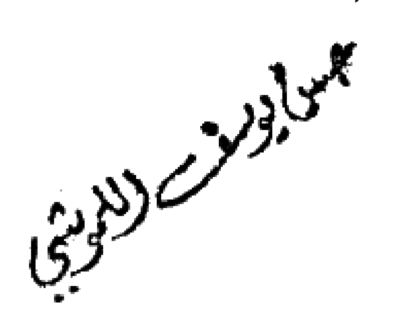
متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة

مكتبتي الخاصة

على موقع ارشيف الانترنت

الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem



الفصل الخامس عشر

هبطنا من القارب على عجل اذ ان القصف العنيف قد بدأ بينما كنا في منطقة شبه عارية ونكون بذلك اهدافا سهلة في العراء وتحت اشعة شمس الصباح التي تساعد على الرؤية ولقد ارتفع الضباب عن مياه النهر ووضحت الرؤيا في الحقول التي سوف نمر بها قريبا •

وكانت رحلتنا في هذا القارب صعبة فلقد كانت الرياح عاتية وكانت تبعث بطبقات من مياه النهر لتغمرنا • وبذا فان ثيابنا كانت مبللة كالطيور تحت المطر الغزير وبلوغ شمس الصباح ساعدت على ان تجفف هذهالثياب وهي على ظهورنا ولقد كانت حرارتها مريحة لنا ، ولقد كان القتال طيلة اليوم الماضي دائرا بلا انقطاع الا ان الحرب في حالة الحسالة تشبه الى حد كبير حالة القنص • اذ تبدأ الطائرات بالقصف في بعض المناطق ثم تهرب ويبدأ الفدائيون القصف المعاكس ، لكننا ونحن نمشي لا تكون الحرب حقيقة متصلة بنا الا عندما نواجه فجأة بقصف من احدى الطائرات عندما يشاء القدر لنا ان يلحظنا قائدها وهو في الغالب يبحث عن اي هدف كان• وكم نعاني في مثل هذه الحالة عند البحث عن مخبأ ، اي مكان يمكن ان نتوارى فيه . وعندما تنخفض الطائرات قرب الارض لتقذف بالقنابل والصواريخ • وعدا هذه الحالة فان الحرب الدائرة هي حرب اناس آخرين : هذه الحرب التي نشهد آثار تدميرها بالغضب او المرارة والحيرة لكنها مع ذلك تكون حرب اناس آخرين طالما انها لم تلحق بنا ايذاءمباشرا• ومن التدمير والكميات الكبيرة من المواد المدمرة والحارقة يستطيع الانسان ان يتصور بوضوح كيف ان هؤلاء البرتغاليين باسلحتهم المتقدمة

وهي الميزة التي يستخدمون لقتل الناس وتدمير الحياة ، وهنـاك تتحول النظريات الى حقائـق ، وليس هناك من حقيقة ازلية عن وجـود الظلـم والقهر الا ان يكون الانسان نفسه هدفا للقتل او الحرق وهو يجري باحثا عن غصن شجرة يختبيء تحته ، تتحول الاحساسات الى شيء آخر يختلف تماما وهكذا يمكن تقدير قيمة العمل الفدائي وقدرة المقاتلين وكيـف ان الامور تتحول بالنسبة لهم الى شيء عديم الاهمية كالموت مثلا • واذا مـا ابتعد شبح الموت والخطر يعود الواحد الى التفكير بشكل مختلف ايضا ولكن ترى ما هو شعور هذا الانسان الافريقي الاسود الذي يتعرض كل ساعة الى هذا الخطر !؟ ترى ما هو شعور هذا الافريقي الاسود عندمـا يجد نفسه فجأة وسط حقل من الالغام وعنـدما تتحول قرية الى جحيـم وعندما تحاصره طائرات الهيلوكوبتر المحملة بالصواريخ والمواد الحارقة ترى ماذا يكون شعوره اذا كان ثمة من وقت لديه للتفكير ؟ ان منطقـة القتال هذه في غينيا جميعها محظورة على الطيران التجاري وليس هناك من تفسير عند سماع اي ازيز في سماء المنطقة الا انها طائرات نفـاثة مقاتلة او طائرات عمودية تمسح المنطقة لتنقض على هذا الافريقي الاسود الـذي لا يملك الكثير من وسائل الدفاع عن نفسه •

اتجهنا في منطقة سهلة بـين اشجار الغابات على الجانبـين الى بيت كارمن الواقع قرب القاعدة وقال احد المقاتلين ان الطائرات سوف تلحـق بنا الضرر اذا ما تمكنت من رؤيتنا في هذا المكان وكنا نسمع صوت محرك طائرة صغيرة في السماء يئن وهذا النوع يستعمله البرتغاليون للمراقبة • وقلت : ماذا لو شاهدنا قائد هذه الطائرة ؟ سوف يبعث باشارة فقط الى القاعدة ولن تمر دقيقة واحدة الا ونحن تحت رحمة القنابل والصواريخ • تذكرت اننا لم نتناول اكلا منذ ظهيرة امس ، ولكن في هذا الوقت وبعـد المسيرة الطويلة فان النوم يجب ان يكون قبل الاكل • نمت لمـدة ساعـة واحدة بعدها تقرر مواصلة السير • شعرت بانني لن اقوى على السير اي

مسافة اخرى وتساءلت ماذا لو وقعت على الارض ؟ وماذا لو رفضت ان اواصل السير ؟ انهم مسؤولون عني بالضرورة ولقد قررت محاولة الاستمرار في السير معهم • كنا نقطع المسافة ونعبر الحقول ، واحدا يؤدي الى الآخر ومن غابة الى اخرى ، انها رحلة شاقة بين هذه الغابات وفي طقس تبلغ فيه الرطوبة مبلغا يهدم الجهد ، والطريق لا ينتهي ويخيل للانسان ان هذه الغابات تمتد الى آخر الدنيا ! هنالك جسور صغيرة معمولة من العيدان نمر فوقها من وقت لوقت بينما تتشابك اغصان الاشجار في مناطق اخرى حتى ليكاد الانسان يشعر انه سوف لن يمر من خلالها ولا يعرف ماذا سيفاجئه بعدها • كذلك فان حقول الارز التي نمر بها فهي تنهك قوانا اذ تغوص اقدامنا في الطين الرطب الى الكعبين في بعض الاحيان وعلينا بعد عبور حقول الارز ان نحاول نزع ما يعلق بالاحذية من طين وهو كثير لنتمكن من مواصلة السير • شعرت بانني ضاعفت متاعب هؤلاء المقاتلين . فهم من وقت لوقت مضطرون لمساعدتي اذا توقفت عن السير وملزمون بانتشالي اذا ما غاصت قدماي في الوحل الخ• ومع كل هذا فان المرء لكي يحافظ على حياته لا بد له ان يعلق عينيه في السماء عدة مرات كلما سمع ازيزا ليلحظ ما اذا كانت هناك طائرات وبالتالي يبحث مسرعا عن مخبأ تحت الشجر •

هل هذه البلاد فعلا تستحق هذه التضحية ؟ هكذا يخيل للزائر الاجنبي عندما يشهد كل هذه الصعاب ، وان يسأل نفسه ، هل تستحق كل هذه المحاولات التي يبذلها البشر ، ارض حارة ورطبة وموحلة وخطرة وينطبق عليها تماما ما يقوله هؤلاء الافارقة ، نحن لدينا فصلين في السنة، فصل حار وآخر حار جدا [1] ولدينا المياه الآسنة والرطوبة العالية والذباب ؟! اتذكر ما كنت قد قرأته في كتاب غربي وهو دليل عن افريقيا ،

---

(١) نسبة الى الفصول الاربعة في السنة .

يقول ان بيساو لا يوجد فيها شيء فلقد عاش بها البرتغاليون ، اما سكانها السود الافارقة فهم بدائيون جدا عراة يمارسون مهنة زراعة الارز والفول السوداني ، وهي جزء من ساحل الرقيق الاسود القديم ـ

وبدأت اشعر بانني يجب ان اعود الى كوناكري حيث يحصل الانسان على ضروريات الحياة ، انني لست ثائرة او لعلني مرتدة عن الثورة ؟ الا انني مع ذلك اتمنى لهؤلاء الناس التوفيق .

بدأ المطر يتساقط ولقد اختلط ماء المطر والعرق على اجسادنا بسبب الاعياء والارهاق ولم ينته الطريق ولا توقف التنقل ولعل الحياة هنا لا تنتهي على اي شكل مريح . يشعرك دائما هؤلاء الرجال بتفاخرهم ببلادهم التي استطاعوا رغم كل الظروف ان يحولوها الى بلاد تتوفر فيها المدارس بالقدر الضروري وان توجد فيها بعض الخدمات للافريقيين المحرومين من كل شيء في ظل الاستعمار البرتغالي وهم يتحدثون في كل مناسبة رغم كل الشقاء والارهاق عن مرحلة ما بعد الحرب وكيف سوف يحولون بلادهم الى بلد متقدم وكيف سوف يبنون العمارات ويشقون الطرق الخ . انهم يولون الاهتمام الكبير للاطفال ويلاحظ الاهتمام بجميع الاطفال بدون فرق . يوفرون لهم المدارس والمصحات بقدر ما يتوفر ، وفي مناطق بالغة الصعوبة ، ويقدمون لهم الملابس التي يحصلون عليها كمساعدات او هبات من بعض الدول الافريقية او غيرها وهم يأملون ان يكون هؤلاء الاطفال جيل المستقبل ، جيل العلماء والمفكرين والكتّاب الخ .. هذه القدرات والامكانيات العملية التي سوف تسخّر لبناء بلادهم بعد انتهاء الحرب . والاكثر اهمية انهم لا يخفون الوضع الذي كانوا عليه ، التخلف والفقر والوضع القبلي الغارق في البدائية والجهالة ، وهم يقولون اننا يجب ان نقارن بين وضعنا قبل الثورة ووضعنا الآن على ضوء كل الظروف التي تواجهنا ، وكنت دائما لا انظر في قياسي لوضع هؤلاء بسنظار غربي ولكن على اساس ظروف

هؤلاء ، وبذا يمكن الحكم على الامور حكما حقيقيا .

كانت كارمن تنتظر أصحابنا في المعسكر القريب من المكان ، حوالي نصف ميل وهي فتاة دائمة الابتسام برونزية البشرة ترتدي ثوبا عسكريا قصير الاكمام . في القاعدة اصرّت كارمن على ان أستخدم سريرها وهكذا قضيت طيلة اليوم نائمة بعد رحلة طويلة وشاقة في كوخ في تلك القاعدة . وبعد فترة النوم ظهر لي ان المعسكر قد تحول كله الى قاعة اجتماعات متواصلة وحركة دائمة ، ويظهر انني الوحيدة التي نمت بينما الباقون وبرغم كل المصاعب فقد استمروا في عمل وتخطيط دؤوب ونقاش دائم ، وعرفت ان اغلب النقاش يتركز على الناحية الاقتصادية اذ ان لجنة الحزب الخاصة بالامور الاقتصادية والتي يرأسها السيد فاسكو كابرال وهو عضو اللجنة المركزية في الحزب قد واصلت اجتماعاتها طيلة الفترة الماضية وان هذه اللجنة تعمل على وضع برنامج اقتصادي للمرحلة المقبلة على ضوء الظروف والامكانيات المالية وانها تعطي اهمية كبيرة لهذا البرنامج .

ومن لقاءاتي عرفت ان جميع اعضاء جبهة التحرير يكرهون الحديث عن امورهم الخاصة فلا يوجد من يتحدث عن ظروف معيشته او ظروف اسرته اطلاقا بينما يقضون الساعات الطويلة في النقاش والحديث عن الثورة والتحرير وبالتأكيد فان الامتناع عن الحديث عن الامور الخاصة لا يعني ان هؤلاء لا يرغبون الافصاح عن هوياتهم ، فهي في الواقع معروفة والحزب ليس حزبا سريا بل ان كثيرا منهم تنشر صورهم ورتبهم من وقت لوقت في مجلة اخبار الحرب والحياة في غينيا وهكذا فان الامر يتعلق بتكريس كل شيء وكل جهد للثورة والتحرير ولا قيمة لاي شيء آخر . والاعتقاد السائد هنا هو ان انكار الذات يعتبر خدمة للثورة وان مقدار الاخلاص للثورة يتمثل فقط في القدرة على العمل والتضحية لاهدافها .

كان المعسكر جيد التنظيم وهو وان كان على نفس الطراز فهو مخفي جدا بين الاشجار • يتمتع هؤلاء الرجال بانضباط عظيم والتزام بمبادىء الثورة والتحرير كذلك القدرة على مواجهة الصعاب وتحمل المتاعب دون كلل او شكوى • والملفت للانتباه القدرة البدنية على تحمل قساوة الوضع والظروف الطبيعية• والتضحية عبارة رفيعةفي مفردات الثورة الافريقية — فلقد ظهر جليا خلال رياح الثورات الافريقية ان التضحية هي النموذج للحياة وان كان هذا لم يحدث فجأة او صدفة ولكنها تبلورت وتطورت وبرزت خلال مراحل نضالية وحروب طويلة ، ذلك ان النضال والقيادة القادرة هي نتاج لقدرة الشعب على العطاء وهكذا فان حزب جبهة التحرير ظل دائما يحسب لكل التطورات حسابات دقيقة ويعالج الامور ، فمن معطيات بديهية آخذاً دائما بالواقع والظروف وان كان لا يتهاون في وضع الحد النهائي لما يمكن ان يؤثر على المسيرة في التطور الى الامام ولذا فان العمل وان كان جماعيا فهو يخضع لبرنامج عمل ولنقد ذاتي موضوعي ولحساب وعقاب ولذا فلقد كانت التعليمات الاولية الصادرة لكل المستويات القيادية كالتالي :

يجب على كل القيادات الاعتناء بالعلم والجد في الدراسة ويجب ان يهتموا بمشاكل الحياة والحرب كاساسيات• كل قائد ملزم بتطوير معارفه كل يوم ، علومه وتفكيره السياسي ويجب ان يعلم الجميع ويقتنع بان لا شيء يدرك بدون تعلم وان اكثر الناس جهلا اولئك الذين « عرفوا » دون ان يتعلموا •

لندرس الحياة وتتعلم من شعبنا ، من الكتب وعن طريق تجارب الآخرين ، دائما العلم والمعرفة • على كل القياديين اعتبار المسؤولية من مهمة القيادة وعدم تأجيل المهمات وعليهم ان يأخذوا امور الحياة بمنتهى اليقظة والاهتمام واضعين نصب اعينهم مقدما اتمام العمل من خلال واجب

الرفاق المبني على اساس انجاز العمل . وهذا كله لا يتعارض مع الرغبة في الحياة وحب الحياة والثقة في المستقبل ، هذه الثقة التي تصاحب عملنا ونضالنا وواجب كل منا •

هذان نموذجان من التوجيهات التي تصدر من وقت لوقت وهي تعني الكثير • كارمن هذه الفتاة الافريقية التي لا تختلف عن اي افريقية سوداء اخرى لا يميزها شيء عن الافريقيات غير لباس جبهة التحرير، هذا اللباس الذي يستعمله الجميع دون استثناء كغطاء الرأس ذي الخطين الازرق والابيض الذي يستعمله الجميع بما فيهم اميلكار كابرال زعيم الحزب ــ وهذا اللباس لا يستعمل اثناء الحرب او في الادغال فقط بل انهم يستعملونه في كل مكان ، وحتى في مهامهم في الخارج •

وجدير بالذكر ان كارمن هذه كانت فتاة مدنية وتنتمي للطبقة البرجوازية في بيساو وتشبه الى حد كبير في ملامحها العنصر الهندي ولعلها تمثل عهد الرق البرتغالي ، الا انها تركت المدينة وتخلت عن البرجوازية عندما التحقت بصفوف الثورة وكانت مفاجأة لها عندما سألتها ، لماذا فعلت ذلك ؟؟ ولقد ترددت قبل ان تجيب ، وهي تحاول ان تعبر عن ذلك القرار الكبير بالكلمات ، واخيرا كان الجواب في غاية البساطة ، قالت رغم ان حياتي هنا ليست مريحة فلقد كنت ادرك ما يعانيه شعبي كنت احس بما يحدث لمواطني وفي نفس الوقت تحول زوجي الى عضو سري في الحزب وهذا جذبني كثيرا الى الثورة ، وبقربي من الثورة وانجذابي اليها كنت دائما افكر في كيف يمكن ان اسهم في العمل الثوري كالرجال • ولقد كانت الفترة تلك التي قررت فيها الالتحاق بصفوف الثورة هي الفترة التي بدأت فيها اجهزة الامن البرتغالية تفتش كل بيت افريقي وهكذا قررت سنة ١٩٦٢ ان اجتاز الحدود الى السنيغال حيث توجد مكاتب منظمة التحرير وقواعدها • كان هناك كثير من الناس وكانت المنظمة وقتئذ فقيرة جدا ومع

هذا فلقد قدمت الينا كل مساعدة • وبدأت اعد الطعام لهؤلاء الرجال واساعد الجرحى في تضميد الجراح واقوم بخياطة الملابس ـ الجرحى كانوا يأتون من خارج الحدود حيث مسرح القتال في غينيا ولم تكن لدى المنظمة اموال لعلاج الجرحى في المستشفيات وكنت في ذات الوقت اشرف على اولادي اذ لم يكن لي مكان اتركهم فيه • واخيرا عندما تصاعد القتال التحقت كارمن بالمقاتلين في غابات غينيا سنة ١٩٦٦ وقالت لي ، ان اول مسؤولياتي كانت الناحية الصحية ، وكانت لي مشكلاتي في البداية منها انني لم اكن اقدر على المشي لاكثر من عدة ساعات ولم اكن اعرف مشاكل القرى والقرويين وكنت احتاج الى عدة شهور لاتنظم في الوضع الجديد واعرف الحياة في القرى ، وخلال السنة الثانية اصبحت موجهة سياسية وكان عليّ في هذه الحالة ان ازور جميع المناطق في الجبهة الجنوبية وكان كل الذين يرافقونني من الرجال اذ لم تكن قد انضمت للثورة كثير من السيدات • وكنت اتساءل ، كيف يعاملها الرجال وهي المرأة الوحيدة معهم ؟؟

تجيب كارمن ، لقد كانوا يعاملونني بمنتهى الاحترام ، وهذا يتوقف على مسلكي معهم وانا ابادلهم جميعا الاحترام •

وكارمن اثناء عملها هذا اصيبت بالملاريا ودخلت المستشفى وما تزال حتى الآن وهي تعمل في الغابات تحمل معها كثيرا من الحبوب لمعالجة آثار هذا المرض العنيف الذي يجعل الانسان يرتج كالملدوغ ، لذا فان كارمن تحمل في حقيبتها الحبوب المضادة للملاريا مع مفكرة ومنشورات المنظمة وجهاز راديو صغير كذلك بعض الملابس والسلاح • وقالت لي ان الاكل عادة يعطى في كل قرية وانا آكل نفس الطعام الذي يقدم للقرويين، وكثير من الاحيان ما يقدمه لي هؤلاء القرويون وان كان رديئا في الغالب، وفي كثير من الاحيان لا يتوفر الا القليل من الارز ولا يوجد مكان للنوم

غير الارض • لكنني اعيش منذ مدة طويلة في الادغال ولقد اعتدت هذه الحياة تماما وهي لذلك بيتي • وفي كثير من الاوقات لا ارى المدينة لاكثر من مدة سنة كاملة ولا اجد صعوبة على الاطلاق مع رجال القبائل في هذه القرى ، فهم يتعاملون معي كعضو في الحزب والمنظمة وهكذا فانا امثل سلطة الحزب وتوجيهاتي دائما تنفذ باهتمام •

وهي بوظيفتها كموجهة سياسية عليها ان تعرف كل المشاكل وعليها ان توجد الحلول وعليها ان تكون على اتصال بالمواطنين في القرى وبالتالي يجب ان تفهم هؤلاء القرويين ، عمل الحزب والمنظمة وان تطلعهم على كل المنجزات والاهداف ومن الواجبات الاساسية مساعدة القرويين على ابراز مشاكلهم وبالتالي مساعدتهم على العمل الذاتي لحل المشاكل والصعاب وبذلك يساعدون الحزب • وهي كأي عضو من اعضاء الحزب يجب ان تقوم بواجبها في ظل الظروف الصعبة في البلاد وعليها ان تذهب الى كل قرية وان تلتقي مختلف الناس وان تأكل كما يأكلون وتنام على الارض وهي في كثير من الاحيان تحتمي في تلك الادغال مع هؤلاء القرويين عندما يبدأ القصف الجوي لهذه المناطق، وهكذا فهي تعيش في نفس الظروف وتواجه نفس الصعاب وبذلك تكسب احترام هؤلاء الناس وتكسب الحزب احترامهم ومساعدتهم • وبمثل جهود كارمن وفاسكو كابارال فان المنظمة تسيطر الآن على ثلاثة ارباع غينيا ، الا انه لا يكفي ان تسيطر المنظمة على هذه الثلاثة ارباع وكفى ، ولكن المنظمة حسب تخطيطها ترى الامور غير ذلك فلا يكفي ان ننتظر الاستقلال • انها الآن تنفذ خطة متكاملة تتمثل في ثلاثة وجوه ــ اعادة بناء القاعدة الاقتصادية ، التعليم المكثف ، تحويل البناء السياسي للحزب الى بناء اداري منظم لاعداد الكوادر الادارية التي يسكنها القيام باعمال الدولة • وهكذا فان الاستقلال والحرية سوف يكونان مظهرا احتفاليا بحتا ومع الاستقلال سوف تكون هناك مئات المشاريع المخططة والمعدة وهكذا ايضا فان منظمة التحرير سوف لا تعجز

بكوادرها عن القيام باعمال الدولة بعد الاستقلال وهكـذا ايضا سوف تستمر الكوادر الثورية في ادارة الدولة .

والآن فان هؤلاء الرجال الذين يعملون ليلا نهارا من اجل مستقبل غينيا ، هؤلاء يقضون الليل تحت ضوء الشموع يخططون ويبحثـون ، يملأون الملفات بمختلف الاوراق والخرائط تلك التي سوف تساعد عـلى بناء غينيا الجديدة بينما تسمع هنا اصوات قنابل المورتار وغيرها . غينيا احتاجت كل جهد وكل بندقية اثناء مرحلة القتال هذه، وسوف تحتاج كل جهد مخلص وكل رجل قادر بعد الاستقلال. وهكذا فان ثوار الادغـال هؤلاء يخططون لبناء غينيا الجديدة في الوقت الذي يحاربون فيه لتحرير غينيا من الاستعمار .

والتخطيط اثناء حرب التحرير يعني الشيء الكثير ، يعني الاهتمـام بمستقبل البلاد ويعني الثقة في يوم التحرير ويعني القناعة بالعلم والتخطيط، لكنه يواجه كثيرا من المشاكل والصعاب ، فالتخطيط عادة يبنى على ارقام واحصائيات دقيقة وهذه ذات صعوبة في شعب فقير مستعمر يكاد يكـون كله حافيا واغلبيته تسكن بيوتا من القش وتعيش في ظروف بالغة الصعوبة ولكن مع هذا فان الثورة لا يمكنها تأجيل العمل مهما بلغت الصعاب وهذا ايضا يعني كثيرا من الثقة والامل في المستقبل .

ان السيد فاسكو كابارال الذي يرئس لجنـة الاقتصاد والتخطيط والبالغ من العمر ٤٢ سنة هو احد الحاصلين على درجة علمية في الاقتصاد من جامعة برتغالية وكان قد قضى ست سنوات مسجونا في بلاده بتهمـة الشغب السياسي وقد خرج من السجن تحت المراقبة الدقيقة ، الا انه هرب الى كوناكري والتحق بالثورة . كنت اراه دائما على منضدة عليها اكداسا من الورق والخرائط يراجعها باهتمام بالغ وكأنه يراجع اطروحة علميـة

عرضت للمناقشة •

والمنضدة في زاوية من مكان فسيح تتواجد فيه احيانا بعض الاغنام والدجاج • وغليونه المليء بخليط من التبغ المحلي لا يفارق فمه ، وقريبا منه بعض الاحصائيات عن المناطق المحررة ، تلك الاحصائيات التي يقدمها اناس كلفوا بزيارة جميع القرى في المناطق المحررة لهذا الغرض وهي وان كانت غير دقيقة بمقياس الاحصاء العلمي ، الا انها مهمة في هذا الوقت •

قال لي فاسكو ان مهمة اللجنة هي الآن اعادة تنظيم وضع البلاد والبحث العلمي والتخطيط على ضوء برنامج الحزب في المجال الاقتصادي وخصوصا مجال الانماء والانتاج الاستهلاكي • وقال في المرحلة الاولى فان التخطيط سوف يكون على مستوى القرية فقط واضاف ان ما نعمله يتصل مباشرة باعمال اللجنة العليا للتخطيط في مجالات الصحة والاقتصاد والتعليم والمعلومات العامة • وهاتان اللجنتان تلعبان دورا اساسيا في حاضر البلاد ومستقبلها • في المرحلة الحالية التخطيط الاقتصادي على مستوى القرية ، اي انه تخطيط اقليمي يتناسب تماما مع ما اعتاد عليه القرويون هؤلاء في التعامل وخصوصا ، ان تداول العملة البرتغالية في المناطق المحررة قد منع ولذا فان التعامل يحدث على اساس المبادلة • فلقد اقامت المنظمة كثيرا من الوحدات التجارية في القرى وبذلك تقوم الوحدات التجارية هذه باجراء المبادلة مع الفلاح كأن تأخذ انتاجهالزراعي وتعطيه مقابله ما يحتاج من لباس واكل وغيره ، وهي بالتالي تقوم باجراء مبادلات اخرى حسب احتياج القرى والمناطق، اي بمعنى التوزيع الانتاجي بين المناطق المختلفة وقد تقوم بتصدير الفائض بعد عملية المبادلات مقابل ان تقوم ايضا باستيراد الاحتياج المحلي وهكذا • اما العملات فهي تستخدم في اغراض اخرى كالاستيراد الضروري للاغراض الحربية ••

والحالة هنا في غينيا اثناء الحرب كأي حالة حرب اخرى في بلد آخر تنقصه الضروريات • ان هذه الاقمشة والملابس وجوالات الارز وغيرها جميعها جاءت محمولة على اكتاف الرجال وظهور النساء عبر الغابات • وهناك ايضا مطاحن ملحقة بالمتاجر او الوحدات التجارية في الغابات حيث يقوم الشاري نفسه بطحن الدقيق الذي يحتاجه ــ وهكذا • وهذه فيما نرى الطريقة الوحيدة التي يمكن بها التغلب على كل الصعاب والاعتماد على الذات وتسخير كل الامكانيات الذاتية المتوفرة او التي تتوفر• ونحن نبلّغ جميع مواطنينا ان ارتفاع الانتاج يعني توفر متطلبات الحياة بمعنى اننا يجب ان نرفع الانتاج لكي نوفر ما نحتاج اليه ، ومن خلال اللجان المحلية في القرى يمكن للحزب تطوير الانتاج والمساعدة على انتاج انواع جديدة من المحصولات وتحسين الانتاج الحيواني على اسس جديدة وعلمية • ونحن ، يقول فاسكو ، لا نعلم المواطنين قيمة العمل فقط ولكننا نعلمهم ايضا علمية العمل وكيفية الاستفادة علميا من المتوفر • وكنتيجة لهذا ، سجل ارتفاع كبير في انتاج الارز والخضروات الموسمية والفواكه ، البرتقال ، الموز والبطاطس ــ وهذه جميعها قامت على استخدام الوسائل المتوفرة ولم ار أي آلة حديثة استخدمت للزراعة في الجبهة الجنوبية • وبالاضافة الى انتاج الاراضي التي يملكها افراد فان للحزب ايضا انتاجية يشرف عليها كتلك الاراضي التي يملكها البرتغاليون او بعض الافارقة الذين التحقوا بالعدو عندما بدأت الحرب • وهذه المزارع الانتاجية تستخدم كمعاهد للتدريب وهي ايضا تعطي انتاجا لاطعام الرجال الذين يقاتلون الاستعمار البرتغالي ، ويقول فاسكو ، تحت ظل الاستعمار البرتغالي كانت هناك شركتان احتكاريتان ومزارعونا لا يمكنهم بيع محصولاتهم لغير هاتين الشركتين الاحتكاريتين • فمثلا الارز والفول السوداني من المحصولات الثمينة ، كانت تحصل عليها هاتان الشركتان لتحقق ارباحا كبيرة لهما فقط عند عملية التصدير بينما الفلاح الافريقي لا

يحصل الا على ثمن بسيط تقرره الشركتان بحسب ما تريان ، وعندما يحتاج الفلاح للارز فهو بعد ان يبيعه يعود فيشتريه ولكن الشراء في هذه الحالة سوف يكون بثلاثة اضعاف ثمن البيع ، ولكن هاتين الشركتين قد انتهتا تماما ولذلك فان البرتغاليين في غينيا الآن عليهم ان يستوردوا الارز وهكذا فانهم سوف يواجهون مشكلة بينما نحن نحقق الاكتفاء . زيادة على كل ذلك فان التخطيط الانتاجي في برنامج الحزب يركز على تصدير الصناعات التقليدية ويشجعها مثل الجلود والصناعات اليدوية وكذلك جلود التماسيح . كذلك فان امكانية استثمار الحديد والبترول ممكنة وهناك دراسات تجري الآن ولقد بدأ البحث عن البترول عند اندلاع الحرب مباشرة وقد يمكن الحصول على كميات منه عند استئناف التنقيب بعد انتهاء الحرب . والحقيقة اننا نهتم بكل امور مستقبل البلاد ونعد الكوادر لمرحلة ما بعد الاستقلال ذلك انه ما لم تكن هناك كوادر قادرة على تسلم مهام العمل ومسؤوليات الدولة من داخل المنظمة فسوف يكون كل شيء عبثا . مثلا مسؤول الاقتصاد والادارة والعدل والامن والصحة والتعليم الخ وما نعمله الآن اذا قرية (أ) مثلا اعتدت على قرية (ب) فلا بد ان تكون هناك ادارة عدل تتناول الموضوع ومثلا اذا عجزت قرية كذا عن نقل محصولها الزراعي الى حيث يجب ان يكون فلا بد ان تكون هناك ادارة ما تبحث عن حل لذلك . واذا استمر المواطن الفلاح مريضا حتى الموت بسبب عدم وجود العيادات والادوية او الملابس فماذا سيكون وضع المنظمة والثورة والتحرير ؟؟ وهكذا فان المنظمة تعمل على تناول كل الامور ضمن ادارات واجهزة مختلفة وان كانت بسبب حرب التحرير جميعها في الادغال لكنها تؤدي واجبها . ولقد تكونت لجان حزبية خماسية في كل القرى وهذه اللجان جميعا تكونت بالانتخاب ، ولا بد ان يكون بين الخمسة اعضاء عضوتان (اي ثلاثة رجال وامرأتان) وهي تعمل على مستوى القرية والمنطقة ويؤدي العمل بالتوالي الى مستوى اللجنة

المركزية •

وفي جميع الاحوال فان الحزب يحاول الدفع بالفلاحين الـى هـذه اللجان كلما كان ذلك ممكنا ويعتبر الحزب هذه اللجان كتجربة وتدريب للكوادر ، وبذا فانه مهما تكن الامور في ادارة الدولة بعد الاستقلال فان الرؤيا واضحة امـام الحزب وكوادره معـدة على ضوء البناء الاداري والسياسي في المستقبل •

الفصل السادس عشر

في الطريق الى المستشفى الذي سمي باسم الفلاح البطل (قـويرا ماندسي) هذا الفلاح الذي قتل مع اثنين آخرين من الفلاحين المقـاتلين عندما حوصروا في منطقة قتال بواسطة البرتغاليين • استمرت عملية الحصار خمسة ايام كاملة مات خلالها خمسون برتغاليا كنا نسير في اتجـاه هـذا المستشفى عبر منحدر حاد الانحناء والمستشفى اقيم في منطقة كثيفة بحيث يكون محميا تماما بسقف من الاشجار المتشابكة• في المستشفى سبعة اسرة وطبيب وبعض المرضين ومجهز بحيث يمكنهم تقديم الخدمـات الطبيـة للمقاتلين والمدنيين في المنطقة ، المستشفى عبارة عن وحدة طبية متنقلة كما نرى نحن الاوروبيون ، قال لي ابيلو دارتي وهو مناضل في صفوف المنظمة وكان طالبا بجامعة السوربون ان هناك لجنة تشرف على اعمال البنـاء او اعادة البناء الصحي في هذه المنطقة وهي ايضا مسؤولة عن صحة البيئة في القرى والمناطق المحيطة ، ان ابيلو دارتي هذا وهو يحاول شرح الامـور يتحدث باللغة الفرنسية بشكل سريع وينقر باصابعه على المنضدة الخشبية في محاولة الشرح• يقول انني مسؤول عن الصحة، فمثلا ان هؤلاء الافارقة يجب ان يغتسلوا يوميا ولكن سوف يتناولون الاكل بأيديهم فهـذه في الواقع لا ترجع الى عدم وجود أدوات الاكل انمـا هي عادة ، ان هـذا المستشفى هنا يؤدي بعض العمل ونحن نعرف مقدار العجز فيه ولكن يجب ان يؤدي العمل بما يتوفر من امكانيات ويؤدي العمل باستخدام كل شيء، ومثلا كانت احدى الدول قد وعدت بارسال خيم كمساعدة الا ان هـذه الخيم لم تأت وهكذا فنحن لم ننتظرها بل اننا اقمنا اكواخ القش التـي

اعتدناها واذا ما حدث وهاجمت الطائرات البرتغالية مقاطعتنا فسوف لـــن تكون هناك خسائر كبيرة فيمكن بناء الاكواخ مرة ثانية بسرعة والحقيقة اننا لا يمكن لنا ان نقيم مساكن ثابتة اذا ضربت تكون تكاليفها كبيرة ، ويضيف ، المستشفى صغير كما ترينه والذين يعالجون به يوضعـــون على اسرة من خشب توضع على كل سرير بطانية وفراش محشو بالقش، هناك حجرة عمليات بها منضدة وضعت في الوسط وصفت بالقرب منها بعض الادوات الخاصة بالعمليات. لا توجد اجهزة تبريد ولا ثلاجات ولا كهرباء ويقول دارتي ان هناك كثيرا مـــن الامراض بهذه المنطقة وكثـــيرا مـــن الامراض المستوطنة ويعاني مواطنـــونا من جميع الامراض مثـــل الملاريا ومرض النوم وكـــل الامراض الاخرى التي تظهر في البـــلاد المتخلفـــة والمقاطعة المهملة واهمال الناس وعدم الاهتمام بصحتهم سمة من سمـــات الادارة البرتغالية لقد كانت الادارة البرتغالية تهمل الناس عـــن قصد ولا تهتم بحياتهم اطلاقا والواقع انهم اخذوا كل شيء من بلادنا ولم يفعلـــوا شيئا بالمقابل ، وخصوصا في المجال الصحي بل انهم لم يعلموا الناس حتى اقل قواعد المحافظة على الصحـــة ، كانت هناك بعض المصحـــات الخاصة بالامراض التي تحتاج العزل ، اي الامراض المعدية في بعض المناطق ولكنها في الحقيقة مصحات عزل بدون دواء وكان علينا ان نعمل وان نستخـــدم كل وسيلة ممكنة لمساعدة الناس على التغلب على الامراض ولتعليمهـــم كيف يمكن ان تكون الوقاية من الامراض وهي كثيرة مع قلة الامكانيات كان هناك مستشفى في بيساو ولكن لا يمكن لهؤلاء الفقراء الذهاب اليه، بل وكان ممنوعا على هؤلاء الافارقة .

لقد كان الافريقي يموت دون ان يحصل على الدواء ودون ان يرى المستشفى او الطبيب والان فان الامور تسير افضل من السابـــق ولعلـــك تتصورين على ضوء الوضع الحالي كيف كانت الامور قبل الثورة .

لقد قامت حملة كبيرة لتطعيم المواطنين ضد الجدري والكوليرا وتنقلت الوحدات الميدانية من قرية الى قرية لهذا الغرض وهذا العمل في الواقع شاق فان العادات القديمة لا يمكن التغلب عليها بسرعة ونحن نعمل في وضع صعب وتتعامل مع مواطنين سيطر عليهم الفقر والجهل وهذا هو السبب في دعوة الحزب كل المواطنين لتعلم القراءة والكتابة وبعدئذ سوف تكون مهمتنا اسرع وقد تكون ايضا اسهل وبينما كان ابيلو يتكلم امتلأ الكوخ الذي كنا فيه، وان كان هؤلاء الذين يستمعون لا يعملون في المجال الصحي الا انهم كانوا يستمعون باتتباه شديد، منهم من جلس على حافة الخشب ومنهم من جلس على الارض او استند الى جدار الكوخ الخ .. ولقد كان هذا الكوخ اكبر من الاكواخ الاخرى اذ كان به مغسل ، كنت في الواقع اخشى الحيوانات الضارة ولقد علق بذهني حادث وقع امامي جعلني اعيش في خوف دائم من الحيوانات المفترسة في الظلام وكنت اتحدث الى نفسي عندما يحدث ان أتمشى لوحدي في ممر مظلم اعتقادا مني ان الحديث قد يجعل الحيوانات تهرب اذا ما حدث ان وجدت وهذا نوع من الاحتراس وهو على اي حال اعتقاد خاص بي قد لا ينفع لكن كنت أبحث عن شيء يطمئنني والحقيقة انه ليس من السهل ان يرى الانسان شيئا في الظلام وحتى لو حاول ان يعوّد نفسه على ذلك ، الا ان غريزة الخوف هي التي جعلتني أفكر في هذه الامور . بدأ المطر يهطل في المنطقة وهنا فانه يكون على هؤلاء الرجال ان يحملوا الامتعة والاسلحة معا وغالبا فوق رؤوسهم بينما المطر يبلل كل شيء وفي الليل كنت اسمع زخات ذلك المطر المتساقط فوق سقف الكوخ وحركة الحيوانات التي تبحث عن مكان يحميها من المطر ، كان المطر ينهمر بلا انقطاع وسرعان ما تحولت المنطقة الى شبه بحيرة وبدأت الاكواخ الصغيرة شبيهة بالجزر المحاطة بالماء من كل جانب انتظرت ان تتحرك الاكواخ من امكنتها وتبدأ عائمة فوق الماء الذي تجمع حولها الا ان هذه الاكواخ يظهر انها كالدجاج الافريقي اقوى من مظهرها ولقد

قاومت اكواخ العيدان هذه سرعة الرياح وتساقط الامطار ، فجأة دخل رجل اسمر مديد القامة يحمل بين يديه القهوة ، هؤلاء لا تمنعهم المتغيرات في هذه البلاد فلا المطر ولا الريح يمكن ان يغير من الوضع الذي اعتادوه، ثم تبع هذا الرجل الذي يحمل القهوة آخرون ولقد وقفوا جميعا حول الشمعة المضاءة في الكوخ ، سألت أبيليو عن برنامج تعليم الاطفال في المناطق المحررة وهو عضو في لجنة التعليم وبالاضافة الى ذلك مسؤول عن المدارس ولقد شاهدت مدرستين اقيمتا حديثا وساعد في اقامتهما الاطفال الصغار الذين سوف يدرسون بهاتين المدرستين هنا ، امر المدارس والمدرسين والدفاتر والاقلام والكتب امر عجيب فمثلا يستعمل الدفتر للكتابة وعندما تنتهي وريقات هذا الدفتر وتحفظ الدروس يمحى ما كتب به وتعاد الكتابة على نفس الوريقات وفي نفس الدفتر . ويتكرر هذا عدة مرات، بمعنى ان الدفتر الواحد يستعمل لاكثر من مرة وهكذا، اذ ان هذه هي الطريقة الوحيدة للتغلب على النقص الشديد في كل شيء ، وفيما عدا الحالات التي تتعرض فيها المنطقة للقصف الجوي الشديد فان هؤلاء الاطفال يمشون عدة اميال من مكان اقامتهم الى المدارس التي تبعد عادة عن مساكنهم وفي مناطق تتكاثر فيها الاشجار بحيث لا تتعرض للقصف والتدمير ، اما المدرسون فهم جميعا عند التوجه الى المدارس يحملون على اكتافهم بنادق او رشاشات ويسيرون مسافات طويلة ايضا عبر الغابات وهكذا ، قابلت في الطريق عددا كبيرا من الاطفال الصغار متجهون الى مدرسة وعلمت من احد المدرسين ان المدرسة القريبة قد تعرضت للقصف بالنابالم ولكن الاضرار طفيفة ، ومن المعروف ان أية مدرسة يكتشف مكانها تهجر فورا ثم تنقل الى مكان آخر وهكذا دواليك ، وقفت اشاهد هؤلاء الاطفال ، أجسامهم ضعيفة ونحيلة جدا لعل الملاريا هي السبب في هذه الاجسام الهزيلة وفكرت في ظروف معيشتهم وبرز امام عيني صورة الطفل الذي يجلس القرفصاء على حصير من الحبال في زاوية من كوخ ،

الطقس البالغ الحرارة والرطوبة .

لقد كانت المشكلة الاساسية في عهد البرتغاليين هي مشكلة الامية واذا حدث لاي طفل افريقي ان يدخل المدرسة فهو سوف يتعلم كل شيء عن الانهار وعن الملوك في البرتغال لكن لن يعرف انهار وجبال افريقيا لقد عمل البرتغاليون على تدمير ثقافتنا ومعنوياتنا ، ان مواطنينا الافارقة لا يعرفون شيئا عن افريقيا لكنهم الآن يعرفون ، يعرفون الحروف الهجائية الرياضيات الحساب الهندسة الجغرافيا التاريخ العلوم وبرغم ان المدارس الآن في هذه الادغال لا يتعدى التعليم فيها السنة الخامسة الا انها متقدمة في التعليم انها متقدمة جدا فيما يتعلق بمحو الامية ، ثم ان الطلبة بعدئذ يمكنهم مواصلة التعليم في كوناكري .

« الكريولي » اللغة التي يتكلمها الناس في البلاد كلها اصبحت الآن لغة مكتوبة ، الا ان الحزب قد قرر تعليم اللغة البرتغالية يقول ابيليو نحن نريد ان نتقدم بسرعة نريد التقدم السريع الممكن لشعبنا ، نحن نريد ان نحرر انفسنا وبلادنا من البرتغاليين وسيطرتهم ولكن اللغة لا علاقة لها بذلك ، ان اللغة البرتغالية سوف تفتح ابواب الثقافة لشعبنا، هذه حقيقة، حتى الآن فان النسبة المئوية صغيرة من الاطفال الذين تعلموا اللغة البرتغالية وتعودوا على طريقة الحياة البرتغالية ، وهؤلاء سوف يشغلون المناصب والوظائف الادارية في الدولة فيما بعد ، كان الاطفال لا يجدون فرص التعليم الا نادرا في مدارس الارساليات الدينية وحتى في هذه الحالة فأن التعليم يتركز على الغناء والرقص وقد يتعلم الطفل القراءة والكتابة اذا بقي فترة طويلة في المدرسة وهذه في الغالب غير ممكنة .

لقد تبين لي عموما في كل من موزامبيق وغينيا البرتغالية ان المدارس التي اقيمت في المناطق المحررة قد ادت دورا اساسيا في التعليم وان الافارقة

السود ينظرون الى هذا العمـل نظرة رضى بينما يتحدثون عن مـدارس الكنيسة البرتغالية بشيء من عدم الرضى فهذه كانت تعمل عـلى اساس سياسي • وحقيقة ان كثيرا من عناصر الحركة الوطنية قد تعلموا فيالمدارس الكاثوليكية كذلك فان بعضهم ينحدر من عائلة كاثوليكية •

ويقول ابيليو ان الوعي السياسي لدى الاطفال الافارقة السود الآن عالي جدا لان هؤلاء الاطفال يعيشون في وضع عسكري وسياسي وطنـي جيدا ، وهذا يومض او يخلق فيهم الاحساس بالانتماء الى هـذه الارض وهكذا فانه يمكن القول بأن الثورة قد شملت كثيرا من الانشطة ، الثورة الثقافية والاجتماعية والفنية وذلك ما قامت من اجله حركة التحرير •

المطر ما يزال مستمرا والبحيرة تكبر بتجمع المياه حول الاكواخ ولكن الجو منعش ، جاءت احدى الافريقيات وتدعى تامبو وهي تحمـل الاكل لوجبة الغداء ، الاكل كالعادة لا يختلف ولقد جاءت به في اناء مغلق وكان هذه المرة مع الغداء القهوة الفرنسية وهي خليط من البن المسحوق جيدا والسكر الذي يزيد عن الحد المطلوب للقهوة ، الا انهم يحبون السكر هنا كثيرا وفي كل حال فان اسم القهوة هكذا فهي وان لم تكن فرنسية الا ان اسمها فرنسي ، وكثيرون لم يعرفوا في حياتهم اي نوع من الحلويات هنـا كذلك فهم يحبون السكر وكذلك العسل غير انه لا يتوفر الا نادراً • كانت السيدة تامبو قد كلفت بان تكون معنا مؤقتا لاعداد وجبات الاكل وكذلك فهي كلفت بأن تكون مرافقة لي ، تامبو شابة في حوالي السادسة عشرة من العمر وهي من قبيلة البالانتي وكانت قد تطوعت للعمل مع الثورة منـذ اربعة سنوات وعملت في الاسعافات الطبية الاولية ، تامبو هذه تعتبر خبيرة في اعداد الاكل وهي كذلك في الحقيقة ، والطبخ هنا له طرق مختلفة عـن مثيله في اي مكان واذا لم يكن المكلف بذلك قد تدرب جيـدا فسوف يموت لا محالة ، اولا قبل القيام بالطبخ لا بد من جمع الحطب وبالتالـي

اقتلاع الحجارة من الاراضي لاستخدامها ايضا لنفس الغرض ولكن الخطر دائما يكمن هنا اذ انك لا تقتلع حجرا واحدا ، الا وكان تحته افعى سامة وهكذا فاذا هربت فسوف لن تحصل على الحجر المطلوب واذا لم تكن حذرا فانك سوف تموت ، ولذا فان الامر يحتاج كثير من المهارة والتعود، وكانت تامبو بالاضافة الى هذا تقوم بخدمتي فاذا اردت ان استحم كان عليها ان توفر ما يحتاج هذا الواجب ، وفي احدى الليالي عندما كنا متجهين الى منطقة اخرى لاحظت ان تامبو حزينة جدا لكنني لم اسألها عن سبب حزنها الا انني عرفت فيما بعد ، ان سبب حزنها مرض اخيها فلقد كان يصارع الموت ولم يعرف ممرضة ، وكانت تعتقد انه لا محالة سوف يموت ولكنها كلفت بمرافقتي وما كان لها الا ان تقوم بالواجب الذي كلفت به رغم كل شيء وهكذا فهي لم تطلب ان تبقى مع شقيقها الذي يصارع الموت وفضلت ان تقوم بواجبها وان كانت حزينة ، هناك في قبيلة البالاتي « اطباء » يقومون بمعالجة المرضى وهؤلاء يسمون المعالِجون « بكسر اللام » وهم يعالجون جميع الامراض بمختلف الطرق ويخترعون العلاج من عندهم وبحسب المرض وان كانوا يعتمدون كثيرا على العلاج النفسي وهذه في الواقع طريقة هامة جدا حتى لدى الاطباء الحقيقيين فلا بد ان يشعر المريض بثقة في الطبيب وفي الدواء لكي يشفى وقال لي احد هؤلاء البالاتنيون ، أنه كثيرا ما عالج البرتغاليون انفسهم بالطرق البدائية هذه ، وقال ان سكان القرى الافارقة يعتقدون كثيرا في الطرق التي تستخدم في العلاج هنا ، وهذا الطبيب يدعى باتراو ، وهو يتحدث عن الادوية التي يستخدمها او التي يبتكرها قائلا ان هذه الاعشاب التي نستخدمها نحن هنا هي كثيرا ما استخدمت في الطب الحديث واذا كان الطب الحديث قد اخترع واعتمد على الوسائل الحديثة فنحن نستخدم هذه الاشياء بطريقتنا والقرويون هنا يثقون في وسائلنا العلاجية خصوصا وهم يعرفون انه لا بديل عنها ، الطبيب باتراو يرتدي ثيابا اوروبية ويضع فوق رأسه قبعة

ثبت بها شعار منظمة التحرير ويقول انه في كثير من المناسبات كان الصلة الوحيدة بين المراكز الصحية التابعة للمنظمة والمناطق البعيدة والمختلفة جدا وكان يقدم الخدمة الطبية للمقاتلين قبل ان تقوم المنظمة باحداث المراكز الصحية الموجودة الآن. ان المرض القاتل دائما في القرى الواقعةفي الغابات هي تلك السموم ، اذ ان الافاعي السامة كثيرة جدا ولا يتوفر في اغلب الحالات المصل المضاد لسم الافعى فيقوم باتراو بتقديم العلاجاللازم ضد السم وهذا يتكون من بعض الاعشاب وقد يفيد في بعض الاحيان، ويقول الطبيب باتراو ان هذه الاعشاب تجعل المصاب بالسم يتقيأ وهذا يساعده كثيرا، كذلك بعض هذه الاعشاب توضع في ذات الوقت علىمكان اللذع فتمتص السم ايضا وتساعد الجهاز العصبي على المقاومة الخ ... وكان « باتراو » لا يعطي أسراره لاحد فلا الحزب ولا أحد يعرف الاعشاب او انواعها التي يستخدمها للعلاج وهذا السر يحتفظه الاب لابنه وهكذا فلا يعرف احد طبيعة العلاج او نوع الاعشاب ويقول لو كان هذا الامر قد عرف لما كان لي شيء اعمله ، سألته عن رأيه في الاطباء والشعب الحديث ، كيف ترى الادوية الحديثة والاطباء ؟؟؟ توقفت قليلا ورأيت ملامح الوجه المستدير الصغير تتغير فهو لا بد يدرك ان هناك صراعا بين الطب الحديث والقديم ، اجاب بعد فترة من التفكير ، اعتقد ان الاثنين ، الطب الحديث والطب القديم يمكن ان يكونا مفيدين،واضاف الا انني اعتقد بان الطرق البدائية العلاجية يجب ن تتمشى مع التطور الحديث ولكن لأعطيك مثالا ، اذا حدث وانكسرت رجل شخص ما فانني استطيع ان اعالجه كما يستطيع علاجه اي طبيب وهكذا ، وقال الطبيب باتراو انه يستخدم الاعشاب للتخدير وبعض الحبال للشد ويوضع بالتالي العظم في الاتجاه الصحيح ، ولاحظت انه يضع ادويته او اعشابه في أوان خشبية مصطفة قرب بعضها في الكوخ الذي يقيم فيه ، كثير من الاوراق الصفراء وجذور الاعشاب اليابسة وخليط من الزيوت وغيرها وهي دائما

جاهزة ، اذا ما طلب منه العلاج • رائحة الكوخ الذي يقيم فيه رطبة جدا كالغار العميق ، هناك اشياء لعلاج المصابين بالامراض العقليـــة واوراق لعلاج الصداع واضطراب الامعاء والتورم ومرض الاسنان الخ • وهــو يستطيع استخراج الطلقة النارية من الجسم المصاب فيقوم بتخدير المصاب بالاعشاب ثم يستعمل خيطا رفيعا لجذب الجسم الغريب هذا طبعا في حالة غياب وسائل الجراحة الحديثة وهي كثيرا ما تغيب •

وفي الحقيقة فان القبائل تحبذ الاطباء الذين يقدمون الادوية الحديثة وخصوصاالحقنة لانهم يعتقدون انالحبوب تبقى في الامعاء فقط بينماالحقنة تصل الى كل مكان في الجسم وان كانت هناك حالاتمرض كثيرة يطلب فيها المريض العلاجين اي الطبيب الذي يستخدم الادوية الحديثة والطبيب الذي يستخدم الاعشاب وهذا من اجل ان يتأكد ويثق انه سوف يشفى من المرض والواقع ان اطباء الحزب لا يعارضون هذا الوضع اذا ظهر لهم ان هناك اضرار قد تترتب على ذلك ويعتقد الموجهون في الحزب انــه لا يمكن منع الاطباء او المعالجون « بكسر اللام » من ممارسة العــلاج اذا امكن اقناع الناس بوسائل الطب الحديث، وخصوصا اقناع كبار السنمن المواطنين لان القبيلة عادة يسيطر عليها الكبار وان كان هؤلاء يعتقــدون بأن الوقت سوف يتكفل بهذا الامر ، ومع هذا فان سر هــذه الاعشاب سوف لا يموت مع الاطباء الذين يموتون لانهم ينقلونها لاولادهم قبــل موتهم وان هذه الأعشابسوف تساعد على بعض الاكتشافات الطبيةلخدمة الانسان، ومثلما قال باترو انهقد يأتي اليوم الذي يكتشف فيه اسرارجميع الاعشاب التي يستخدمها ليساعد الاطباء على مزيد من الاكتشافات الطبية ولكنه لن يفعل ذلك قبل ان يضمن لنفسه فرص العمل والى ان يحــدث ذلك فسوف تبقى الاعشاب سرا •

سألت الطبيب باتراو ، ماذا عن اولئك الذين لا يمكنهــم الوصول

اليك اذا ما عضت احدهم افعى سامة ؟؟

طالما انك لا تريد كشف سر العشب الذي يستخدم ضد السم مـاذا يكون حالي لو عضتني افعى وانا بعيدة عـن مكانك عدة اميال ؟؟ مـاذا سيحدث لي ؟؟

قال سوف تموتين فورا !

وبينمـا انتقل باتراو والطبيب في اموره قررت زيـارة المصحـة القريبة فكان بها طاقم طبي يتكون من خمسة وعشرين وكان طبيب افريقي جراح ، وبالمصحة حجرتا تمريض وفريق طبي متجول وصيدلية ومشرفـة اسعافات اولية مع بعض طلبتها الذين يساعدون في اعمال المستشفى •

لقد كان الطبيب الجراح هـو الطبيب المتخصص الوحيد في هـذه المنطقة وهو يقضي وقته كله وحتى وقت الراحـة متنقلا ليلبي الطلبـات الكثيرة من القرى وكان يقيم في احد الاكواخ قرب المستشفى وكالعـادة فهو يعاني من قلة الادوية ويقول ان الادوية والاحتياجات الاخرى يجب ان تطلب قبل اسابيع من نفاذها بسبب بعد المسافة وقلة المواصلات وفـي الغالب فان الادوية المطلوبة لا تتـوفر مثل المضادات والحبـوب المضادة للملاريا وادوية التخدير والضمادات والقطن كانت دائما قليلة ولا تتوفر، كذلك فان الادوية المضادة للامراض المستوطنة قليلة ، ومثل هذه الادوية لا توفرها الانظمـة المتعاطفة مع الحركـة واذا مـا اشتريت ممـا يأتي كمساعدات او تبرعات للمنظمة ، فان ذلك يؤثر على المـوارد التي توجه للجهود الحربية •

الفصل السابع عشر

كانوا يقومون بدفن امرأة مسنة من قبيلة البالاتتي وكان يستمع من بعيد البكاء ، الدفن قرب قرية في الغاب الغريب من موقعنا . المكان الذي اقمنا فيه كان في منطقة يزرع فيها الارز ، قدم لنا حصير فيه القش فرشناه تحت احدى الشجرات الكثيفة وهي تطل على حقل الارز وكأنها ترعـاه ، يوجد ايضا معسكر آخر قريب من نفس المنطقة به كثير من اشجار النخيل الوافرة الظل بسبب تشابكها وهنا تقيم اسر بكاملها حيث تجد الحماية من المقاتلين وتجد المكان الذي تقيم فيه ولمدة طويلة وهذا الامر يتنقل مـن قراها مع اشعة شمس الصباح لتحتمي في الحقول ثم تعود في بعض الاحيان ليلا الى تلك القرى وعلمت ان الارز قد زرع اثناء الليل وسوف يتم ايضا حصاده اثناء الليل توقيا للغارات البرتغالية ولنتصور كيف يمكن حصاد الارز في الليل وخصوصا تلك الليالي التي لا يظهر فيها القمر ؟ قيل لي ان المزارعـين يحصدون الارز باللمس وهنا ايضا زاد تعجبي لهـذا الامر !! الحصاد باللمس في غابة مليئة بالثعابين السامـة ؟ لكن هؤلاء الافارقـة يريدون اثبات قدرتهم على الحياة وعلى المقاومة برغم كل الظروف وحتى الطبيعية منها تلك التي تمثل نوعا من التحدي .. جرت العادة عند حالـة الوفاة ان يقام حفـل راقص ، والراقصون جميعا من الاطفال ، وكـانت المناسبة وفاة الامرأة البالاتتية المسنة ، ولقد دعينا لمشاهدة حفل التوديع الطريف ، جميع الاطفال يضعـون على منتصف ايديهم حزما مـن القش وكأنها باقة ورد ويضعون فوق رؤوسهم ايضا شيئا مشابها وهو ايضا من القش الخ .. كانت هذه السيدة قد ماتت بمرض وهذا موت طبيعي لـدى

هؤلاء الناس فهي مسنّة وماتت مريضة ، اذن فان الامر طبيعي ولقد تعالى الدخان بسبب تلك النيران التي اوقدوها واعتقدت انهم سوف يحرقون الجثمان لكنني عرفت فيما بعد انهم لا يحرقون الميت ولكن النار هي ايضا جزء من مراسم حفل الدفن والتأبين !

استمعت لاشياء كثيرة مختلفة ، الطبول وشبه الغناء القريب من الصراخ والصفير مع اختلاط الاصوات وان كان كثيرها نسائيا وكانت هناك ثلاث مجموعات من الافارقة حول النيران التي تتقد قد تبلغ كل مجموعة ثلاثماية شخص يدورون حول النار ويرقصون في وقت يرددون فيه اصوات مختلفة وهم يهزون اجسامهم يمنى ويسرى بينما تلمع جباههم واجسامهم السوداء المعروفة بسبب الحركة ولهيب النار. جميعهم يرقصون ويصرخون ويدورون في حلقات تتبع خطاهم اصوات الطبول ومن وقت لوقت يدخل حلقة الرقصة اولئك الاطفال الصغار حفاة الاقدام ويبدأون بحركة عجيبة قرب النار بينما ايديهم او سيقانهم محاطة بالقش القابل للاشتعال ترتفع اقدامهم كلما صار صوت الطبل مرتفعا وتنخفض في رتابة متوافقة .

لقد عرفت ان تلكم النسوة اللواتي يحطن النار وهن يرقصن ينتشين سعادة ولكنهن يحملن معهن روح تلك السيدة العجوز التي دفعت منذ قليل ولعل هذا الوضع نوع من التقليد المتبع والقائل بان الروح لا تموت وان روح الميت تشهد ما يعمل في مراسم الدفن والتأبين ولذلك فان اصوات النسوة تتوافق كالايقاعات الموسيقية او الانغام المتوافقة تماما وهي تتناسب مع صوت الطبول . كن جميعا يرقصن وبعد دقيقة من بداية كل رقصة يجلسن ثم يقفن ثم يعدن منحنيات على الارض ولكن وجوههن جميعا شبه الحجر الاسود الاصم بينما رقابهن تتحرك الى الخلف والى الامام ويرى الرأس وكأنه يتدحرج بشكل آلي وهكذا تبدأ كل رقصة

وتنتهي ، ووسط كل حلقة من الراقصين يجلس رجل من البالانتي يسمى الساحر وهو يجلس في وسط الحلقة واضعا نظارات شمسية على عينيه وفوق رأسه قبعة كقبعة النساء تماما وفي يده مظلة وكأنه يتقي مطرا غزيرا ويتحرك في الاتجاه المعاكس للاتجاه الذي يدور فيه الراقصون ووقف الرجال المقاتلون كما وقفت على جانب لنشاهد هذا الحفل المهيب الذي لا نعرفه تماما ولا اولئك الذين ينتمون الى قبيلة البالانتي واغلب هؤلاء ليسوا من البالانتي ، يقينا في هذا المشهد حوالي الساعة حتى خفت اصوات النساء وغادر الاطفال مكان الرقص كذلك غادر ضاربو الطبول الذين تحيط ارجلهم حزم القش وهي تلامس الارض عندما تطأها اقدامهم الحافية .

ويلاحظ ان حياة القبيلة في مثل الظروف التي يعيش فيها هؤلاء هي حياة رتيبة، لا يحدث فيها كثير من المتغيرات وان كانت الحركة دائمةوبرغم انه لا يحدث تغير اجتماعي يذكر فان الوضع القبلي ايضا لا يمنع احداث التغير الاجتماعي ولكن من يحدث التغيير الاجتماعي؟؟ طبعا ليس الاستعمار فليس من مصلحة البرتغال مثلا ان يحدث تغييراً اجتماعيا وان يعي هؤلاء الناس حقيقة الوضع وان يعرفوا الى اين وصل العالم واين هم قاعدون ، بل يجب ان يبقى هؤلاء في وضعهم المتردي تفتك بهم الامراض والجهل ، ولقد رأيت رجال البالانتي وهم اعضاء مقاتلون في حركة التحرير يطلبون من الساحر ان ينبئهم بما سوف يحدث قبل بدء المعارك الا ان هذا الوضع قد يتغير في الظروف الجديدة وتحت توجيهات المنظمة ، هذه الطقوس والعادات قد تجعل البالانتي يعتقد فيما يسمع وهو بذلك يحتمل ما يواجهه يوميا في حياته وطيلة عمره الذي لا يزيد في الغالب على خمسة وثلاثون سنة « متوسط الاعمار في حالات هؤلاء الناس هو ٣٥ سنة » خلالها يواجه مشاكل الحياة ، والاكل والملبس والشرب والسكن وهو في هذا يستخدم ادوات بدائية جدا وقد لا يجد هذه الادوات البدائية على

الاطلاق فيعتمد على قواه البدنية وهكذا • ويبرز دائما سؤال ، ماذا فعلت الادارة البرتغالية ؟؟ والجواب البديهي هو انها سلبت هذا المواطن حتى من ابسط الامور ، فهو يعمل ليلا نهارا ويستنفذ قواه دون ان يقابل ما يؤديه من خدمة اية مكافأة ــ لا صحة ولا تعليم ولا سكــن ولا عيش ولا امن ولا اقل المعاملة الانسانية !! شيء غريب عجيب يحدث كل يوم تحت سمع وبصر العالم والحضارة والتمدن ومنجزات القرن العشرين !!؟

قال لي رئيس احدى القرى المحررة والذي يبلغ من العمر ٤٨ سنة ان جميع ما تشاهدين هنا من عمل ايدينا نحن ، فلقد تركنا البرتغاليــون بلا شيء ، لا خدمات في اي قطاع لقد حملنا كل شيء من امكنة بعيدة على ظهورنا وفوق اكتافنا مثل الاخشاب اللازمة لاقامة الاكواخ التي تستعمل للسكن والمدارس وغيرها • لقد تركونا بلا تعليم ولا خدمات صحيــة ، كانت الدراسة غير مجانية واذا حدث وذهب اي طفل الى المدرسة فسوف يعود بعد عدة ايام الى اهله ولا يتمكن من الدراسة والتعليم لان والديه لا يملكان ما يدفعانه للمدرسة • كان التجمع ممنوعا فلا يجوز ان يلتقي اكثر من ثلاثة واذا حدث فسوف لن تكون هناك رحمة ، وكنا اذا اردنــا ان نحتفل وجب علينا ان ندفع ضريبة مقابل الاحتفال والرقص • كنا نموت كالحيوانات تماما فاذا جرح احد منا فلا دواء له ، لم نكن نرغب الحرب وكنا نريد ان نسوي الامور سلميا ولكنهم ما كانوا يستمعون لاصواتنــا ونداءاتنا • لم يقدموا لنا اية مساعدة ولم يتغيروا على الاطلاق • كــان علينا ان نحمــل السلاح وان نحارب وان نقاتل او ان نموت في سبيــل الحرية التي اردناها سلما وارادوها قتالا دون ان تكون لنا ، نحن نعرف اننا سوف ننتصر ، سوف نقيم الوطن الخاص بنا والحكم الخــاص بنــا والدولة التي تقدم الخدمة لكل مواطنيها دون فرق او تمييز ، دولــة في افريقيا ، دولة حرة في افريقيا الحرة •

انني اتذكر جيدا سنة ١٩٦٢ عندما هاجمت القوات البرتغالية قريتنا ولم تكن لدينا اسلحة يمكننا ان ندافع بها عن انفسنا ، قال هذا السيد ارماندوا فيرا وهو مسؤول عسكري في منطقة الجنوب . انني اتذكر جيدا ذلك الضابط البرتغالي الذي هاجم القرية بقواته وامرهم بقتل اي مواطن يشكون انه ساعد او آوى أي مقاتل من قواتنا، ولقدنكل رجاله بكل سكان القرية دون تفريق وهكذا جعلوا سكان القرى الاخرى يخافون بطش هؤلاء البرتغاليين وكان علينا ان نعطي هؤلاء القرويين الدليل على قدرتنا على ان نقاتل وان ننتقم لهم وان ندافع عنهم وعلينا ان نقدم الدليل على ان يثقوا بنا وهذا لم يكن سهلا ولا قريب المنال . انها معركة تأكيد الذات ــ هل يترك المواطن الافريقي تحت رحمة الغزاة وهل يترك هذا الافريقي القروي الفقير دون حماية ؟؟ قررنا ان نؤكد وجودنا وقررنا ان ندخل معارك متواصلة لنقنع هؤلاء المواطنين بقدرتنا على الحرب والقتال ، بعد كثير من المعارك وبعد وقت من الزمن اقتنع هؤلاء وبدأنا نشعرهم بقدرتنا وايضا قدرتهم في الدفاع عن بيوتهم والآن فان هذه القرى لا يمكن مهاجمتها الا جوا ، فلقد تشكلت ميلشيا للدفاع عن هذه القرى بالاضافة الى قوات الفدائيين التي تتحرك لتقاتل العدو في مناطق اخرى غير هذه القرى .

نحن لم نقاتل فقط من اجلهم بل جعلناهم يقاتلون من اجل بلادهم وكنا على اتصال دائم بهم جميعا في كل هذه القرى ــ كنا نشرح لهم وكنا ندربهم وكنا نجيب على اسئلتهم وهكذا اقنعناهم بان من يحمل البندقية قد يموت وقد لا يموت وان من مات فهو يدافع عن بيته وقريته وبلده اما من لا يحمل البندقية فسوف يموت وسوف ينكل به .. الخ . ان القائد الافريقي يكون دائما قريبا من مقاتليه ومن كل مواطنيه لانه معهم دائما اكثر من اي قائد اوروبي وقد يكون الاخير اكثر ثقافة وعلما وخبرة لكنه لا يحصل على هذه الميزة ، ميزة الالتصاق بالناس وهذه مبعث الثقة

واساس القدرة على المقاومة وعلى الانتصار • اننا نخطيء ونحن نمارس النقد الذاتي ونراجع انفسنا دائما ونصحح ما يجب ان يصحح ، ان الحرب قد يمكن كسبها بالقتال في المدن والقتال في الغابات وحول القرى وبالمظاهرات والاضرابات ، الا ان هذا لا يجب ان يأخذ طابع الاستمرارية اذ يجب ان يتغير التاكتيك ــ قال هذا السيد اميلكار كابارال قائد منظمة التحرير ، ولقد ارتكبنا خطأ آخر في تحليلنا للوضع الاجتماعي في البلاد فاعتقدنا ان الكل سوف ينضمون لصفوف الثورة بمجرد قيامها وباسباب الاضطهاد الذي تمارسه ضدهم القوات البرتغالية الا ان العكس قد حدث مع البعض ــ فلقد حدث وايدت بعض الفئات الاستعمار البرتغالي وتعاونت مع القوات التي تقوم بتدمير القرى وقتل الابرياء وهذا حدث لان هذا البعض كان قد اعتقد ان هذا التأييد قد يخدم مصالحهم؟؟

سألت كيف رأيتم في الثورات الاخرى وكيف استفدتم من خبرة وتجارب الثورات الاخرى ؟ يقول اميلكار ، لقد تعلمنا من الثورات الاخرى • تعلمنا ان القيادة يجب ان تكون واقعية ويجب ان تأخذبالموجود وتعتمد على الامكانيات الذاتية ــ كذلك فان القيادة يجب ان تكون واقعية في تقدير امكانيات العدو ، تقديرات حقيقية وصادقة ، ويضيف ، نحن ما زلنا نستفيد وتتعلم من تجارب الآخرين ، يقول كابارال، من خلال تجاربنا مع العدو ، في القتال وبرغم كل الصعوبات والمشاكل التي تواجهنا عرفنا ان مواجهة مشاكل انفسنا ومشاكل مواطنينا هي اصعب سواء الآن او في المستقبل مواجهة التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، نحن ندرك ان اية ثورة وطنية ما لم تواجه كل هذه الامور فسوف تفشل وسوف يكون النقد الموجه اليها قاتلا • نحن نعرف ان اي تطوير او تنظيم تحاول اي ثورة القيام به برغم كل المشاكل الخارجية لا بد ان يعتمد على الظروف الداخلية ــ اننا نعرف انه على المستوى السياسي كيفما كانت الامور جميلة وبراقة وجذابة فاننا لا بد ان نعرف امورنا معرفة واقعية

وحقيقية ومؤكدة وعلى اساس جهودنا الذاتية وتضحياتنا . لحسن الحظ او لسوء الحظ فان الثورة والتغيير الاجتماعي ليسا للتصدير .

سألت ، كيف تتصورون شكل الدولة بعد الثورة ؟؟ قال كابارال ، بشكل او بآخر كما تشاهدين ، نحن لا نتوقع اشياء عظيمة فسوف نعمل بقدر ما يتوفر محليا ونجعل مواطنينا يحكمون انفسهم بانفسهم تدريجيا، نحن نعتقد ان الادارة الذاتية لبعض المناطق شيء يناسب لان الادارةالذاتية تساعد على خلق جيل يتحمل المسؤولية ـ نحن على استعداد للتعاون مع الآخرين ولخلق علاقات مع كل الشعوب والدول على قدم المساواة . نحن لسنا ضد الرأسمالية لكننا ضد الاستغلال بجميع الاشكال ونحن نقول فقط لمن يريد التعاون معنا ، تفضل وقل لنا شروطك . بالنسبة للبرتغال فان كابارال يعتقد ان البرتغاليين قد كذبوا كثيرا وانهم سوف يستمرون وان استقلال غينيا سوف يجعلهم يخرجون من موزامبيق وانغولا ايضا . ان البرتغاليين عسكريا وماديا ما زالوا اقوياء ولكن نفسيا ومعنويا ليسوا كذلك ، وحتى الآن فان الاسلحة تصلهم من حلفائهم ، فعندما ندمر لهم مائة عربة هذه السنة فان حلفاءهم يقدمون مائة عربة اخرى في السنة القادمة .

كنت قد سألت ارايجو ان يصف لي منظمة التحرير ـ قال انها حزب وطني يعمل على تقدم البلاد واضاف نحن نتلقى الذخائر والاسلحة من كل مكان بكل تقدير وشكر ولكن هذا لا يعني ان نظامنا السياسي متفق مع من يقدم الينا السلاح وسوف لن يتغير نظامنا السياسي بل يبقى مثلما كان قبل بدء القتال والثورة . لقد طلبنا الاسلحة من الشرق فقدمت الينا الاسلحة والمساعدات لا لاننا شيوعيون ولكن لاننا مناضلون صادقون ، ولقد طلبنا السلاح والمساعدات من الغرب لكن الغرب لم يقدم الينا شيئا بسبب حلف الناتو وعضوية البرتغال في هذا الحلف . لو كان الغرب قدم

لنا البازوكات مثلما عمل مع البرتغال لكنا قبلناها شاكرين او قدم لنا جـ ٣ او بنادق الفال لان مقاتلينا يحبونها ، البرتغاليون يصنعون في لشبونة الآن هذا النوع من البنادق لكنها ليست جيدة وليست كما يجب لانها بعد عدة طلقات تسوء والجنود البرتغاليون انفسهم يرفضون استخدامهـا وهؤلاء يتمنون الحصول على النوع الروسي الموجود لدينا (أ ك ١٠) والتـي يقولون عنها (جـ ٤) وهي من احسن الانواع •

حسن ابراهيم الموشي

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة

مكتبتي الخاصة

على موقع ارشيف الانترنت

الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الفصل الثامن عشر

تقرر ان يقوم رجال القائد عمرو دجالوس بالهجوم على قلعة كوفار البرتغالية في الجبهة الجنوبية ليلة الاحد وكان علي ان ارافق هؤلاءالرجال في هذه العملية العسكرية • قال عمرو سوف تكون عملية سريعة جدا وسوف نخرج سريعا بعد القيام بالهجمة ونعتقد ان البرتغاليين سوف يفتحون النار علينا مباشرة وقد يباشرون هجوما مضادا ما لم ننهكهم في الهجمة الاولى في هذه القلعة ، ووجه الكلام الي قائلا اذا كنت لا تستطيعين ألفرار سريعا فان رجالي سوف يحملونك ؟؟ قلت بتصميم انني استطيع وخشيت اثناء الكلام ان يكون يقرأ الحقيقة في عيني ومظهري وفي ملابسي الغير منظمة بسبب السفر المتواصل منذ اربعة ايام • وكنت أعد نفسي من اجل ان التقي بهذا القائد ومقاتليه ، كانوا في منطقة زراعيةمحاطة بالاشجار وفيهذه الاثناء جيء ببعض الاسرىالسود وهؤلاءكانوا يقاتلون مع البرتغاليين وبدأ استجوابهم • علمت انهم قد استسلموا مباشرة عندما اصطدموا بمقاتلي الجبهة رغم انهم كانوا مسلحين ببنادق موزر (وهي نوع جيد للقتال) قال عمرو ان البرتغاليين يحيطون بعض القرى بالاسلاك الشائكة لعزلها تماما عن نشاطنا وخصوصا تلك القرى التي تكون قريبة من معسكراتهم وفي المناطق الاستراتيجية الهامة حيث يمكنهم السيطرة عليها وعلى سكانها ويعتقدون انهم بذلك يستطيعون عزل هؤلاء المواطنين وابعادهم عن تأثير جبهة التحرير ، وهذه القرى التي يقومون بعزلها يستخدم رجالها مجانا في شق الطرقات وحفر المخابيء وبعض الاعمال الاخرى التي يريدها البرتغاليون لحمايتهم من هجماتنا ، وهؤلاء القرويون

لا يمكنهم الخروج من القرى المعزولة لانها محاطة بالاسلاك الشائكة وبالحراسة الدائمة ولا يوجد في كل قرية الا مخرج واحد يمكن الخروج منه وهذا المخرج محروس بشكل شديد ومنظم ، وحقيقة ان هناك من يتعاونون مع البرتغاليين وهؤلاء الذين يعملون مع البرتغاليين وهم افارقة من هذه القرى يحاول البرتغاليون استخدامهم ضدنا ويبعثون بهم للاتصال بالمواطنين واختراق صفوف رجال جبهة التحرير ، وهذه مشكلة بالنسبة لنا فنحن عندما نقبض على اي افريقي اسود يقول لنا انه كان رهينة لدى البرتغاليين وانه ارغم على ان يقوم ببعض الاعمال لهؤلاء وهو لا خيار له اذ انه سوف يقتل اذا ما رفض التعاون .. الخ وقال عمرو ان عملاءهم السود يمكنهم ان يضروا بالثورة اكثر من الجنود البرتغاليين لانهم يتحركون من قرية الى اخرى ويمكنهم دائما ان يقولوا انهم مارون الى مكان غير الذي كانوا فيه ، واثناء مرورهم يقومون بجمع المعلومات عن مواقعنا وتجهيزاتنا ومواطنينا . كان بين هؤلاء الذين اسروا عدد من الاطفال وشاب يبلغ الثامنة عشرة من العمر اراه خائفا ولقد عزل هؤلاء الاطفال عن الباقين ـ سألت عمرو ماذا سيحدث لهؤلاء ؟ وكان سؤالي اثناء ما كنا تتفقدهم ، قال سوف نطعمهم ونعيدهم الى ذويهم في القرى القريبة لانهم في الواقع من المناطق المحررة ، اقصد هؤلاء الاطفال ، اما هذا الشاب فسوف يستجوب وتلاحظين انه يرتدي ملابس الجنود البرتغاليين وهو مسلح ايضا وقد نعتبره اسير حرب وبالتالي سوف يسجن. عاودت السؤال ماذا يحدث مع الثلاثة الآخرين وهم رجال ؟؟ هؤلاء لم يقتلوا بعد اذا كنت تقصدين ذلك قال عمرو ، اذا تأكد من التحقيق انهم جواسيس فسوف يحاكمون وسوف تكون المحكمة عادلة واذا تأكد العكس فانهم سوف يذهبون الى المناطق المحررة ولن يمسهم شيء وعندما يعرفون لماذا نحن نقاتل سيلتحقون بصفوف الثورة ، عندما يقرر البرتغاليون ترك احد معسكراتهم تكون دائما مشكلتهم هي اولئك

المدنيين الذين ابقوهم قرب معسكراتهم وهم في الغالب لا يتركونهم ، فاما ان ينقلوهم معهم او يقتلونهم جميعا . ذكر لي فاسكو انه قد حدث سنة ١٩٦٩ ان ترك البرتغاليون معسكرا بعد هجوم قام به رجالنا وعندما تركوه وجدنا مئات من المواطنين الافارقة مقتولين وكانوا يعيشون في منطقة قريبة من المعسكر البرتغالي والمنطقة كانت محاطة بالاسلاك الشائكة !! ونحن نعتقد انهم قتلوا جميعا لان البرتغاليين لاقوا صعوبة في نقلهم وخشيوا لو تركوهم ان يقعوا بين ايدينا فانهم يقولون لنا كل شيء عن هؤلاءالبرتغاليين ولذا فقد قتلوهم جميعا !! وهم على كل حال لا يقيمون وزنا لحياةالافريقي طفلا كان او كهلا او امرأة !!

اذاعة صوت التحرير من كوناكري صوتها يصارع ويلهث ليصل الى هؤلاء المقاتلين وهو يصل ضعيفا جدا ومشوشا ، يقول المذيع هنا اذاعة صوت التحرير من كوناكري ، انه يتمنى لكم ساعات سعيدة في الاستماع اليه ويقدم اليكم الآن نشرة الاخبار العالمية . وبعد الفترة العالمية تبدأ الاذاعة بالبث باللغات المحلية وهنا فان جميع القرى تستمع الى هذه الاذاعة ـ وهنا في المعسكر فان عمرو وبقية الرجال الاقوياء يقضون في انتظار اخبار الحرب ، سوف يكون الهجوم غدا على احد المعسكرات البرتغالية الهامة وسوف يتركه البرتغاليون الى غيره وهكذا تكون الحرب مدا وجزرا الى ان يحين طرد هؤلاء نهائيا من افريقيا .

لقد عشت الفترة الطويلة هذه مع هؤلاء الرجال وحظيت معهم بكل تقدير واحترام وهذا لا يعني انهم لا يشعرون بوجود امرأة معهم لكنهم يقدرون الصداقة والرفقة وقداسة النضال ، الليلة التي تمر قبل البدء بالهجوم المقرر تناولنا قليلا من الاكل وقالوا لنا انه سوف لن يكون هناك وقت للافطار غدا لم يكن لدينا ما يكفي من الماء وهذا يعني انه لا يجوز الاغتسال ، ولقد تعلمت الشيء الكثير من هؤلاء المقاتلين ، الشيء الذي

يجعلني لا اهتم حتى بالضروريات في كثير من الاحيان ــ وهم لديهم قاعدة متبعة تقول : ــ

١) عليك ان تحمل فقط الاشياء الضرورية جــدا ، وهذا يعني ان تترك الاشياء الاخرى مثل الاشيــاء التــي تستخدمهــا السيدات لانها سوف تزيد الثقــل وهذا غــير مرغوب ، والاشياء التي يتركها الانسان سوف لــن يحصل عليها مجددا .

٢) احمل معك على الاقل بذلتين وقميصا اضافيــا ، وحمل البذلتين فقط لانه يساعد على ان ترتدي واحدةوتغسل الاخرى ، لا تضع مع ملابسك الملابس المبللة اذا غسلت لانك ستندم على ذلك .

٣) الاحذية الجلدية لا تساعدك في الارض الافريقية وهي غير مريحة ، استخدم الاحذية الخفيفة المصنوعة مــن القماش .

٤) احمل القليل من الصابون والورق والسجاير ومن لا يدخنون افضل لانهم يكونون دائما اصحاء .

٥) عليك ان تحمل ماء الكولونيا في زجاجات مــن البلاستيك ومعجون الاسنان الخ .

٦) استخدم الحبوب التي تنقي المياه ولا تنس الحبوب المضادة للمالاريا .

الى آخره من الارشادات وهذا يدل دلالة قاطعة على اهتمام الحزب بجميع الامور التي يجب ان يتبعها المقاتلون .

خـاتمة

في موزامبيق وبعد اغتيال زعيم المنظمة السيد ادواردو موندلـين انتخبت حركة التحرير قائدها العسكري ساموراً مويسيس ميشيل ليخلف السيد ادواردو كرئيس وانتخبت السيد مارسيلينو دوس سانتوس كنائب للرئيس .

زوجة الرئيس ميشيل جوسينا التي كانت مقاتلة في الخطوط الامامية وكان قد تزوجها منذ ثلاثة سنوات وهي تصحبه عادة في تنقلاته في غابات موزامبيق ماتت عندما اصيبت بمرض في شهر ابريل ١٩٧١ وكانت تبلـغ من العمر ٢٥ عاما .

وطبقا لمعلومات حركة تحرير موزامبيق ، فان الكنـائس في الغرب كان قد ظهر منها بعض التحول خلال السنتين الماضيتين تجاه حركة التحرير ولقد وعدت بعض الكنائس بتقديم المساعدات المادية للجرحى المدنيين ، وبالاضافة الى هذا فان قادة المنظمات الثلاثة في كل من موزامبيق وغينيـا بيساو وانغولا كانوا قد استقبلوا في اجتماع كبير في روما بواسطة البابا بولس السادس وكان لهذا الاستقبال صدى واسع مما جعـل حكومـة البرتغال تحتج . بعد ذلك فان رجال الدين البيض في موزامبيق قـرروا مغادرة البلاد وعدم العمل احتجاجا على الكنيسة في المستعمرات البرتغالية التي انحازت الى جانب البرتغال وقرر ايضا المجلس الكنسي بان الحكومة البرتغالية تقوم باعمال ضد الانسانية وانهـا تمارس الظلم والاضطهـاد وبعدئذ قررت حكومة البرتغال منع جميع رجال الدين البيض من العمل

في المناطق الافريقية التي تسيطر عليها ، كذلك حاكمت احدهم بتهمة التحريض ودعوة الافارقة السود الى مساندة حركة التحرير .

خلال فصل الربيع والصيف من سنة ١٩٧٠ اعلنت القوات البرتغالية انها قتلت في عمليات جوية وبرية عدد ٤٠٠ مقاتل افريقي ودمرت ٢٥ قاعدة من قواعد حركة التحرير كان هذا البيان صادرا عن الجيش البرتغالي من لورينكو ماركيز وبيبرا ، ولقد ذكر البيان ان الهدف الرئيسي ولاية كابو ديلغادو ويضيف البيان انه اثناء هذه العملية اشترك اكثر من خمسة وعشرون الف جندي في القتال وان خمسة عشر الف طن من المواد ايضا استخدمت ضد قواعد ومناطق حركة التحرير وكذلك فان حوالي مليون ورقة منشور قد اسقطت على السكان وحوالي مائة وخمسين ميلا من الطرق قد شقت في الادغال .

وطبقا لبيان حركة التحرير فان جميع الجيوش قد ردت على اعقابها في ذات الفترة نتيجة للهجوم المضاد الذي قامت به قوات حركة التحرير وذكرت مصادر حركة التحرير ان جميع الذين قتلوا كانوا مدنيين بسبب القصف الجوي الذي قامت الطائرات البرتغالية به .

مرافقتي في رحلتي كانت ديوليندا سيمانقو تشغل الآن منصبا مهما في حركة التحرير ولقد انجبت طفلا من الرجل الذي تزوجته وقد قتل ويدعى فيرناردو راوول .

لقد شددت حركة التحرير هجماتها اليومية على مواقع القوات البرتغالية وبلغت الهجمات خلال سنة ١٩٧١ مائة وتسعة على قواعد هامة وهي كذلك تهاجم في مواقع اخرى ، ولقد تحاشت مهاجمة المدنيين في هذه المستعمرة .

فهرس

بربارة ليساريدس

ثورة الأدغال

دار العودة – بيروت

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة

مكتبتي الخاصة

على موقع ارشيف الانترنت

الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem